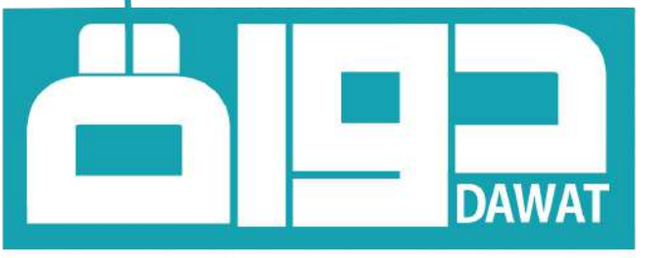

مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة والأدب العربي

رقم الإيداع في دار الوثائق

العراقية ١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤

www.dawat.imamhussain.org

E-mail: daralarabia@imamhussain.org

mob:+9647700477445 — +9647734616433

+9647827236864 — +9647721458001

بسم الله الرحمن الرحيم
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ
صدق الله العلي العظيم
(الروم : 22)

رئيس التحرير

أ.م.د. خالد عباس السياب

هيـــــأة التحريـــــر

أ.د. مصـــــطفى الضـــبع / مصـــر / جامعة الفيـــوم
أ.د. محمـــود محمـــد الحسن / سـوريا / جامعـة حمـــاة
أ.د. عبـد العـلي الـــودغيري / المغرب / جامعـــة الربـــاط
أ.د. نصر الدين بن محمد الصادق / الجزائر / جامعة الشهيد حمه لخضر
أ.د. غزلان هاشمي / الجزائر / جامعة محمد الشريف مساعدية
أ.د. صاحب جعفر أبو جناح / العراق / الجامعة المستنصرية
أ.د. صبـــاح عبـــاس الســـالم / العراق / جامعـــة بابـــل
أ.د. كريـــم حســـين ناصـح / العراق / جامعـــة بغـداد
أ.د. رحيم جبـــر الحسنـــاوي / العراق / جامعـــة بابـــل
أ.د. فـــاروق الحبوبـــي / العراق / جامعـــة كربـــلاء
أ.د. أحمـد جـــواد العتـــابي / العراق / الجامعة المستنصرية
أ.د. مهدي صالـــح الشمري / العراق / جامعـــة بغـــداد
أ.د. لطيفة عبد الرسول الضايف / العراق / الجامعة المستنصرية
أ.د. صـادق حسين كنيـج / العراق / الجامعـة المستنصـرية
أ.د. محمـد عبـد مشكـــور / العراق / جامعـــة بغـــداد
أ.د. نجـم عبـد الله غـالي الموسـوي / العراق / جامعـة ميسـان
أ.د. كريمـــة نومـاس المـدني / العراق / جامعـة كربـلاء
أ.د. فـــائز هـــاتو الشـــرع / العراق / الجامعة المستنصـرية
أ.م.د. طـــلال خليفـــة سلمان / العراق / جامعـــة بغـــداد
أ.م.د. حســـن جعفـر صـــادق / العراق / جامعـــة بغـداد
أ.م.د. خـالد سهـر محـي / العراق / الجامعـة المستنصـرية
أ.م.د. حيـــدر عبـد علي حميـــدي / العراق / جامعة كربلاء
م.د. كـــاشف جمـــال / الهنـد / جامعـــة جـــواهر لال نهـرو

مديـــــر التحريـــــر

د. لطيـــف القصـــاب

التـــدقيق اللغـــوي

اللغـــــة العربيـــــة

أ.م.د. غـانم كامـل سعود
الأستـاذ عبـاس الصبـاغ

اللغـــــة الانكليزيـــــة

م.م. مظفـــر الربيعـــي

محرر الموقع الألكتروني

حيـــــدر العـــــامري

التصميـــم والإخـــراج

حســام الديـــن محمـــد

التنســـــــيق

م. حســـــن الزهيـــــري
عـز الـدين صـالح الطائي

المتابعـــــــــة

أم.د. حســـين محمديـــان
محمـــد عـــلي الربيعـــي
عـــلاء الـــدين الحســـني
قاســـــم المـــــوسوي
مصـعب هـــادي الـنعماني
حيـدر ازهـــر الفتـــلاوي

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة لمجلة دواة

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

الرقم :ب ت ٤ / ٩٦٠٨
التاريخ : ٢٠١٤/١٠/٢٢

No:
Date:

" معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة دواة

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ،وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لاغراض الترقية العلمية في "**مجلة دواة**"المختصة بالدراسات وابحاث اللغة العربية الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

المحتويات

دليل المؤلفين..... ٦

كلمة العدد..... ١٤

م.م تيسير حبيب رحيم

مادةُ (ج.ن.ب) في القرآن الكريم

دراسة في صورها البنائية ودلالاتها ١٥

أ.د. ثائر سمير حسن الشمري

اعترافاتُ الشعراءِ العباسيين ٣٣

أ.م .د. بشرى ياسين محمد

"يا سيدَ الشهداءِ" وديمومةُ أثر النّص في المُتلقّي

في ضوء المنهج الأسلوبيّ ٥٩

م.م. وئام منعم جبار الخفاجيّ م.م. حيدر محمّد عبيد الخفاجيّ

االقرائنُ النحويةُ وأثرُها في توجيه المعنى

((كتاب إعراب الحديث النبويّ للعكبريّ أنموذجًا)..... ٧١

د. محمّد معز جعفورة

إنشائيةُ الذّاتِ في المعلّقات ٩٣

د. حسام جايل

البنياتُ العليا في ديوان» يتحدث الطمي«

دراسة نحوية نصية ١١٥

أ. د. محمد حسين علي زعين م. م. علاء صالح عبيد حسين

"فونوتيقيا النظامِ الصوتيّ التوليديّ في اللغة العربية" ١٣٥

م.م ساجد حمزة غليم مساعد

اللسانياتُ والتراثُ العربي دراسة مقاربة ١٦١

م .م. ميعاد مكي فيصل الركابي

القلبُ المكانيُّ بين العربيّة واللّغات الساميّة

دراسةٌ ساميّة مقارنةٌ..... ١٧٥

م.د.شكيب غازي بصر ي الحلفي.

الترخص في قرينة الرتبة دراسة في استعمال القرآن الكريم ١٩١

دليل المؤلفين

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة الملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا والمكتوبة بإحدى اللغتين العربية والإنكليزية في مجالات اللغة العربية و آدابها والدراسات التربوية.

٢. يقدم الأصل مطبوعاً على ورق (A4)بثلاث نسخ مع قرص مدمج(CD) بحدود (١٠٠٠٠_١٥٠٠٠) كلمة وبخط simplified Arabic)) على أن تُرقّم الصفحات ترقيمًا متسلسلاً بنظام (WORD 2007) .

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الإنكليزية كل في حدود صفحة مستقلة على أن يتضمّنَ الملخص عنوان البحث باللغتين.

٤. يجب أن تتضمّن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث و عنوانه ،وجهة عملِه ورقم هاتفه وبريده الالكتروني، وذكر أبرز الكلمات المفتاحية الخاصة بالبحث، مع عدم ذكر اسم الباحث او الباحثين في صلب البحث أو أية إشارة إلى ذلك باللغتين العربية والإنكليزية.

٥. يشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في آخر البحث وتراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق.

٦. يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش وفي حالة وجود مصادر أجنبية تخصص لها قائمة منفصلة عن قائمة المصادر العربية ويراعى في ترتيبها نظام (الألف باء) .

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره أو مصادره مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى وعليه أن يشير إلى أنّ البحث قد قُدِّم إلى مؤتمر أو ندوة وانه لم ينشر ضمن أعمالها -إن شارك به في مؤتمر أو ندوة- ويشار إلى اسم الجهة العلمية أو غير العلمية التي قامت بتمويل البحث أو المساعدة في إعداده .

٩. يجب أن لا يكون البحث منشوراً سابقاً وليس مقدماً الى اي وسيلة نشر أخرى .

١٠. تعبّرُ جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجهات فنية .

١١. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أ قُبلت البحوث للنشر أم لم تقبل وعلى وفق الآلية الآتية :

أ. يبلغ الباحث بتسلم المادة المرسلة للنشر .

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع .

ت. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على أعدادها نهائيا للنشر .

ث. البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

ج.يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

١٢. يراعى في أسبقية النشر :

أ. البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار

ب. تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث

ت. تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها

ث. تنويع مجالات البحوث كل ما أمكن ذلك

١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير على أن يكون ذلك في مدة أسبوعين من تاريخ تسلم بحثه .

مجلة دواة

استمارة نقل حقوق النشر والتوزيع والملكية الفكرية إلى هيأة تحرير مجلة دواة

بموجب هذه الوثيقة أوافق / نوافق على نقل حقوق النشر والتوزيع والملكية الفكرية إلى هيأة تحرير مجلة دواة للبحث الموسوم .....

.....

كما أنني المؤلف (المؤلفون) الموقع / الموقعون أدناه اتعهد / نتعهد واقر /نقر بما يلي:

١- ان البحث لا يتضمن أو يحتوي على مواد مأخوذة من مصادر أخرى محمية بحقوق الطبع والنشر.

٢- لم يقدم هذا المخطوط للنشر كليا او جزئيا لأية جهة اخرى سواء في مجلة علمية أم صحفية ام وسيلة اخرى.

٣- الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي في كتابة البحث المعنون أعلاه وتحمل كافة المسؤولية القانونية عن الحقوق الفكرية والمادية للغير.

٤- الموافقة على نشر المخطوط في المجلة بأية وسيلة سواء أكانت مطبوعة أم الكترونية أم اية وسيلة اخرى وعلى نقل حق النشر والتأليف إلى هيأة تحرير مجلة دواة.

٥- التقيد بتعليمات النشر المعمول بها في المجلة وتدقيق البحث لغويا.

٦- الالتزام بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التقييم كافة في حال الرغبة في سحب البحث أو عدم متابعة إجراءات نشره.

٧- يحتفظ المؤلف (المؤلفون) بجميع حقوق الملكية مثل حقوق براءات الاختراع والحق في استخدام كل أو جزء من المقالة في الأعمال المستقبلية الخاصة بهم مثل المحاضرات والبيانات الصحفية وتنقيح الكتب المدرسية.

٨- في حالة موافقة هيأة تحرير المجلة على نشر البحث أوافق / نوافق على أنه ليس من حقي/ حقنا التصرف بالبحث سواء بالترجمة أم الاقتباس أم النقل من البحث المذكور أعلاه أم تلخيصه أم الاستفادة منه بوسائل الإعلام، إلا بعد الحصول على موافقة خطية من رئيس التحرير.

اسم الباحث الرئيس.....رقم الهاتف.....

اسم المؤسسة التي يعمل بها الباحث.....

عنوان البريد الالكتروني للباحث الرئيسE-mail .....

تسلسل الباحثين (إن وجدوا) مرتبين حسب تسلسلهم في البحث عند النشر في المجلة:

اسم الباحث التوقيع

١-

٢-

٣- التاريخ

ملاحظة يرجى إرسال نسخة ممسوحة ضوئيا من الاستمارة الموقعة حسب الأصول عن طريق البريد الالكتروني إلى رئيس التحرير.....

أخلاقيات النشر:

يجب على الباحثين إجراء أبحاثهم بداً من مقترح بحث إلى موضوع نشر بما يتماشى مع أفضل الممارسات وقواعد سلوك الهيئات المهنية ذات الصلة و / أو الهيئات التنظيمية الوطنية والدولية. وفي حالات نادرة، فانه من الممكن مواجهة القضايا الأخلاقية أو سوء السلوك او التصرّف في المجلّة المعنية عند تقديم البحث للنشر فيها.

المسؤوليات الأخلاقية للمؤلفين:

تلتزم هذه المجلة بدعم نزاهة السجل العلمي. و هي بوصفها عضوا في لجنة أخلاقيات النشر(COPE) ، فان المجلة ستتبع توجيهات COPE حول تطبيق المبادئ التوجيهية المتعلقة بكيفية التعامل مع أفعال سوء السلوك او التصرف المحتملة.

ينبغي ان يمتنع المؤلفون عن تحريف نتائج البحوث التي قد تؤدي الى الحاق الضرر بالثقة في المجلة، والكفاءة المهنية للتأليف العلمي، وفي نهاية المطاف الاضرار بالمسعى العلمي بأكمله، حيث يتم الحفاظ على نزاهة البحث وعرضه باتباع قواعد الممارسة العلمية الجيدة، والتي تشمل *:

• يجب عدم تقديم نسخة البحث إلى أكثر من مجلة واحدة للنظر فيها في نفس الوقت.

• ينبغي ان يكون العمل المقدم أصلياً و ان لا يكون قد نُشر في أي مكان آخر بأي شكلٍ أو لغة (جزئيا أو كليا) ، إلا إذا كان العمل الجديد يتعلق بتوسيع العمل السابق. (يرجى توفير الشفافية بشان أعاده استخدام المواد لتجنب المخاوف المتعلقة بإعادة تدوير النصوص (السرقة الأدبية).

• يجب عدم تقسيم الدراسة واحدة إلى عدة أجزاء لزيادة كمية المواد المقدمة وتقديمها إلى العديد من المجلات أو إلى مجلة واحدة بمرور الوقت (مثلا «تقطيع / نشر السلامي»).

• يكون النشر المتزامن أو الثانوي مبررًا في بعض الأحيان، شريطة استيفاء شروط معينة. تشمل الأمثلة: ترجمات أو نسخة بحوث مخصصّة و موجهة لمجموعة مختلفة من القرّاء.

• يجب تقديم النتائج بوضوح وبصراحة دون تلفيق أو تزوير أو معالجة غير لائقة للبيانات (بما في ذلك التلاعب القائم على الصور).

يجب على المؤلفين الالتزام بالقواعد محددة التخصصات، والخاصة بالانضباط للحصول على البيانات واختيارها ومعالجتها.

• لا يتم عرض أي بيانات أو نصوص أو نظريات من قبل الآخرين كما لو كانت خاصّة بالمؤلف (السرقة الادبية).

يجب تقديم إقرارات مناسبة لأعمال أخرى (بما في ذلك المواد التي يتم نسخها نفسها (تكاد تكون حرفية) وتلخيصها و / أو إعادة صياغتها)، وتستخدم علامات الاقتباس (للإشارة إلى الكلمات المأخوذة من مصدر

آخر) للنسخ الحرفي للمواد، والأذونات المضمونة للمواد التي تخضع لحقوق الطبع والنشر.

ملاحظة مهمة: قد تستخدم المجلة برنامجًا على الحاسوب للكشف عن السرقة الادبية.

- يجب على المؤلفين التأكد من حصولهم على أذونات لاستخدام البرمجيات والاستبيانات / المسوحات على الانترنت والمقاييس في دراساتهم (إذا اقتضى الامر ذلك).
- ينبغي علي المؤلفين تجنب التصريحات غير الصحيحة عن الكيان (الذي يمكن ان يكون شخصاً فرديا أو شركة) أو أوصاف سلوكهم أو أفعالهم التي يحتمل ان ينظر اليها علي انها هجمات شخصية أو ادعاءات او مزاعم بشان ذلك الشخص.
- ينبغي ان تكون البحوث التي قد يساء تطبيقها بحيث تشكل تهديداً للصحة العامة أو الأمن القومي محددة بشكل واضح في نسخة البحث (مثل الاستخدام المزدوج للبحث).ومن الأمثلة على ذلك خلق النتائج الضارة للعوامل أو السموم البيولوجية، وتعطيل مناعة اللقاحات، والمخاطر غير العادية في استخدام المواد الكيميائية، و البحوث / التكنولوجيا الخاصة بالتسليح (من بين أمور أخرى).
- يُنصح المؤلفون بشدة بالتأكد من مجموعة المؤلفين، و Corresponding Author المؤلف المعني، وان يكون ترتيب المؤلفين جميعهم صحيحاً عند تقديم ورقة البحث. لا يُسمح عمومًا بإضافة و / أو حذف المؤلفين خلال مراحل مراجعة البحث، ولكن قد يكون هناك ما يبرر ذلك في بعض الحالات حيث ينبغي شرح أسباب التغييرات في التأليف بالتفصيل.

يرجى ملاحظة أنه لا يمكن إجراء تغييرات على التأليف بعد قبول ورقة البحث.

* كل ما سبق اعلاه هو إرشادات و توجيهات ويحتاج المؤلفون إلى التأكد من احترام حقوق الأطراف الثالثة مثل حقوق الطبع والنشر و / أو الحقوق المعنوية.

ينبغي للمؤلفين، بناء علي الطلب، ان يكونوا علي استعداد لإرسال الوثائق أو البيانات ذات الصلة من أجل التحقق من صحة النتائج المقدمة. ويمكن ان يكون ذلك في شكل بيانات أولية أو عينات، او سجلات، وما إلى ذلك ، و يتم استبعاد المعلومات الحساسة في شكل بيانات سرية أو ملكية فكرية خاصة.

إذا كان هناك اشتباه في سوء السلوك أو الاحتيال او الغش المزعوم، فستقوم المجلّة و / أو الناشر بإجراء تحقيق وفقًا لإرشادات COPE. إذا كانت هناك مخاوف فعلية صحيحة بعد التحقيق، فسيتم الاتصال بالمؤلف (المؤلفين) المعنيين تحت عنوان البريد الإلكتروني الخاص بهم و ستتاح لهم الفرصة لمعالجة هذه المسالة.

اعتمادًا على الموقف، قد ينتج عن ذلك تنفيذ التدابير التالية من قبل المجلة و/ أو الناشر، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- إذا كانت ورقة البحث لا تزال قيد الدراسة ، فقد يتم رفضها وإعادتها إلى المؤلف.
- إذا كانت ورقة البحث قد نشرت بالفعل على الإنترنت ، وهذا يتوقف على طبيعة وشدة الانتهاك او الخرق:

١. قد يتم ذكر وجود خطأ مطبعي / تصحيح مع المادة العلمية.

٢. يمكن وضع عبارة للتعبير عن القلق ازاء هذه المادة العلمية.

٣. أو في الحالات الشديدة قد يحدث سحب للمادة العلمية او التراجع عنها.

سيتم تقديم السبب في حدوث أخطاء المطبعية المنشورة / وتصحيحها أو التعبير عن القلق أو مذكرة التراجع عن المادة العلمية. يرجى ملاحظة أن التراجع عن المادة العلمية يعني أنها ستكون محفوظة على المنصة على الموقع، وسوف توضع عليها علامة مائية «تم التراجع retracted» ويتم تقديم توضيح حول سبب التراجع في ملاحظة مرتبطة بالبحث الذي يحمل علامة مائية.

- قد يتم ابلاغ مؤسسة المؤلف.

ويمكن ادراج اشعار بالانتهاك المشتبه فيه للمعايير الأخلاقية في نظام استعراض النظراء كجزء من سجل المكتبة (السجل البيبلوغرافي) الخاص بالمؤلف و المادة العلمية.

الأخطاء الأساسية:

انّ المؤلفين ملزمون بتصحيح الأخطاء بمجرد اكتشاف خطأ كبير أو عدم دقة في مادتهم المنشورة، حيث يُطلب من المؤلف / المؤلفين الاتصال بالمجلة وتوضيح المعنى الذي يؤثر به الخطأ على المادة المنشورة. يعتمد اتخاذ القرار بشأن كيفية تصحيح المصادر التي اعتمد عليها المؤلف تعتمد على طبيعة الخطأ، فقد يكون هذا تصحيحًا للمادة أو تراجعًا عنها. يجب أن توفر ملاحظة التراجع شفافية كاملة حول معرفة أي من أجزاء المادة العلمية تكون متأثرة بالخطأ.

اقتراح المراجعين او استبعادهم:

ان المؤلفين مدعوون لاقتراح المراجعين المناسبين لمراجعة بحوثهم و/أو طلب استبعاد بعض الافراد المعينين عندما يقدمون اوراق بحوثهم. فعند اقتراح المراجعين ، يجب علي المؤلفين التأكد من ان المراجعين يكونون مستقلين تماما وغير مرتبطين بالعمل بأي شكل من الاشكال. يوصى بشدة باقتراح مزيج من المراجعين من البلدان مختلفة والمؤسسات المختلفة. عند اقتراح المراجعين، يجب على Corresponding Author المؤلف المعني توفير عنوان بريد الكتروني خاص بمؤسسته لكل مراجع مقترح للبحث، أو، إذا لم يكن ذلك ممكنا لتضمين وسائل أخرى للتحقق من الهوية مثل رابط إلى صفحة رئيسية شخصية، رابط إلى سجل المنشور أو الباحث أو تعريف المؤلف في خطاب أو كتاب التقديم. يرجى ملاحظة أن المجلة قد لا تستخدم الاقتراحات، ولكن الاقتراحات موضع ترحيب وقد تساعد في تسهيل عملية مراجعة النظراء.

معنى Corresponding Author هو المؤلف الذي يتم التواصل معه اثناء مرحلة نشر و تحكيم الورقة البحثية، كما يتم الاتصال به في حالة وجود أي شيء يتعلق بالبحث بصفة عامة.

دليل المقيم

اسم المحكم:

الجامعة: الكلية: المرتبة العلمية:

عنوان المقالة: القسم:

تاريخ وصول البحث الى المحكم .. / .. / ٢٠..	تاريخ اعداد التحكيم ../ .. / ٢٠..
مدى تطابق موضوع الورقة مع اختصاص المحكم ☐ عال ☐ متوسط ☐ ضعيف	المنهجية العلمية في استنباط النتائج ☐ ممتاز ☐ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة
محتوى الورقة ☐ نظرية جداً ☐ نسبة متزنة من الجانب النظري والتطبيقي ☐ تطبيقية جداً	تقسيم النتائج في الورقة ☐ ذات تطبيقات مهمة ☐ ذات تطبيقات جديرة بالاهتمام ☐ متوسطة الاهمية ☐ ضعيفة بدون تطبيقات واضحة
القيمة المضافة الى قطاع المعرفة ☐ المفاهيم النظرية جديدة، والنتائج جديدة ☐ المفاهيم النظرية معروفة، والنتائج جديدة ☐ المفاهيم النظرية معروفة، والنتائج معروفة ☐ المفاهيم النظرية معروفة، والنتائج غريبة ☐ المفاهيم النظرية غريبة، والنتائج غريبة	منهجية البحث ☐ ممتازة ☐ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة
هل نُشر البحث مضمون البحث سابقاً ☐ نعم ☐ لا في حالة الإيجاب أين تم النشر؟ ..... نسبة الاستلال ببرنامج (Turnitin) ( )	المستوى اللغوي (الاسلوب والقواعد اللغوية) ☐ ممتاز ☐ جيد ☐ متوسط ☐ ضعيف

<table>
<tr><td>حجم الورقة
☐ عدد الصفحات مناسب دون حشو
☐ عدد الصحفات غير مناسب (ثمة حشو فيها)
☐ غير متأكد</td><td>المراجع والإشارة إلى الأعمال السابقة
☐ جيدة
☐ متوسطة
☐ ضعيفة</td></tr>
<tr><td>الأهمية الإجمالية من وجهة نظر القارئ
☐ ممتازة
☐ جيدة
☐ متوسطة
☐ ضعيفة</td><td>هل ترشح الباحث إلى جائزة أفضل ورقة علمية للعام الحالي
☐ نعم
☐ لا</td></tr>
<tr><td colspan="2">نوع البحث</td><td>القرار النهائي
☐ غير صالح للنشر : المحتوى غير مناسب للمجلة
☐ صالح للنشر مع التعديل
☐ صالح لنشر دون تعديل</td></tr>
<tr><td>☐ بحث علمي اصيل في حال توافر الشروط الاتية:
١- يتناول موضوعه فكرة جديدة.
٢- له قيمة مضافة في حقل الاختصاص او يعالج مشكلة حديثة لم يسبق التطرق لها.</td><td>☐ بحث قيم في حال توافر الشروط الاتية:
١- يتوافر فيه شروط البحث العلمي .
٢- يقدم اضافة جديدة في احدى مفرداته</td><td></td></tr>
</table>

الملاحظات الموجهة إلى الباحث (او الباحثين)

(ملاحظات بناءة تعمل على رفع مستوى الورقة من حيث الشكل والمضمون)

الملاحظات الموجهة إلى هيئة التحرير(لن يراها الباحثون)

(ينبغي ملء الملاحظات مهما كانت نتيجة التحكيم، وهي تسمح لهيئة التحرير بأتخاذ القرار عن الاختلاف)

التوقيع:

البريد الالكتروني:

الهاتف:

الملاحظـــات

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

اللسانيات علم حديث يستهدف سبر أغوار اللغة وما تنطوي عليه من مفاهيم وقضايا بغية إيضاح الصلة بينها وبين متحدثيها ، ومن ثم الإنطلاق نحو فهم العلاقة بين اللغة والمجتمع وحركته بشكل عام ، بما يضمن الوصول إلى الروابط الفكرية المتعددة ، العامة ، ووصفها وصفا دقيقا. هذا العلم ، اللسانيات ، علم مستقل بنفسه يتعاطى مع منطق اللغة بطريقة اصطلاحية ، أو بلغة مصطلحية عالية ومحكمة ، تستدعي الصبر ، والتّأنّي في فهمها من أجل أن يكون التطبيق متّسما بالأصالة ، وملامسا أعماق النص المدروس ، فالباحث في هذا العلم سواء على مستوى التنظير أو التطبيق عليه أن يكون متمكنا من أدواته ، عارفا بآليات الدراسة اللسانية تنظيرا وإجراء وتطبيقا. إنّ التراث اللساني العربي يستوعب الجديد ، ويقبل الإفادة من اللسانيات الحديثة ، ويستجيب لمناهجها ونظرياتها ، ثبت ذلك في كثير من الدراسات اللسانية العربية التطبيقية على نصوص إبداعية تراثية. وعليه ، فلا ضير من إعادة قراءة هذا التراث للوصول إلى فهم أدقّ له ، وإعادة تنظيم أو وصف قواعد لغتنا بطريقة أقرب إلى مقاصد ناطقيها أو المتحدثين بها. إنّ اللسانيات بمجالاتها المتعددة ، النصيّة ، والاجتماعية ، والإدراكية ، والنفسية ، والجغرافية ، والتداولية ... الخ ، مجالات خصبة إذا أُحسِن استعمالها ، أو تطبيقها على واقعنا اللغويّ التراثيّ القديم أو المعاصر ، في مستواه الكتابي خاصة. إنّ التأكيد على مشروعية الإفادة من الدراسات اللغوية الحديثة ، له أهمية وأولوية ، لما لهذه الدراسات من فاعلية واضحة ، وأثر مفيد في رفد منظومة العلوم اللغوية بشكل خاص ، والعلوم الإنسانية بشكل عام بمنظور منهجيّ وتحليليّ ، وبآليات البحث التطبيقي ، الأمر الذي يشكّل إضافة معرفية أصيلة ونوعية للمسألة اللغوية ، ما يعزّز المفاهيم أو المناهج الحديثة في هذا العصر ثقافة وفكرا. إنّ (دواة) كانت ولم تزل من بين المجلات المحكّمة السّباقة إلى حثّ الباحثين ودعوتهم للإفادة من النظريات اللغوية الحديثة ، بالقدر الذي يحافظ على تراثنا اللغوي ، ولايمسّ أصالته أو خصوصيته ، وأنها لمصادفة سعيدة أن يصدر هذا العدد الجديد متزامنا مع دخولها عامها السادس ، مؤكدة على بقائها كأنها كوكب درّيّ ، ينير درب المبدعين والباحثين عن الحقيقة ،والمدافعين عن لغة القرآن الكريم ، ولغة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، وآل بيته الطيبين الطاهرين

هيأة التحرير

مادةُ (جـ.نـ.ب) في القرآن الكريم
دراسة في صورها البنائية ودلالاتها

Article (J. N. B.) in the Holy Quran
study in its structural forms and their implications.

م.م تيسير حبيب رحيم
المديرية العامة لتربية محافظة المثنـــــــــــى
Mr. Taysir Habib Rahim
Directorate General of Muthanna Governorate.

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم / المعاجم العربية/ الصور البنائية / المعاني الحقيقية والمجازية

ملخص البحث

القرآنُ الكريمُ كتاب مقدس أُنزل من لدن الله تعالى لهداية بني البشر لما فيه خيرهم وصلاحهم،وهو كتاب مليء بالعلوم والمعارف وفي المجالات شتى. والبحث فيه عن دلالة أي لفظة لغوية يحتاج إلى الوقف على أصل هذه اللفظة واستعمالها في اللسان العربي ،وذلك من خلال تتبع أصل هذه اللفظة في المعاجم العربية؛ولهذا حتّمت طبيعة البحث أن ينقسم إلى مبحثين : الأول يشتمل على تتبع مادة (جـ ،نـ ،ب) في المعاجم العربية وبيان أصل هذه المادة اللغوية وما حُمل عليها من معان ثانوية.وفيه تبين أنّ لهذا المادة ثلاثة أصول هي (البُعد،والناحية،وشق الإنسان وغيره)ومنها ترشحت معان ثانوية متصلة بهذه الأصول الثلاثة بلغت ستة وعشرين معنى منها :(التنحية،والفناء،والقرب،والاعتزال،والجنابة،و نوع من أنواع الريح،...) أمّا المبحث الآخر فقد خصص لدراسة هذه المادة في القرآن الكريم ،وبيان المعاني الواردة فيه منها ،مع بيان دلالاتها اللغوية، وفيه تبين أنّ ما جاء من معاني هذه اللفظة هي سبعة معان فقط هي: (التنحية والابتعاد، وشق الإنسان،والجهة أو الناحية،وأمر الله،و الجنابة، والبعد، والقرب) .وقد كان للتحول الصرفي والقرائن السياقية الأثر الهام في بيان معاني هذه اللفظة ودلالاتها.

Abstract

The Quran is a holy book that was sent down by God to guide human beings for their goodness، a book full of science and knowledge in various fields. And the search for the significance of any linguistic word that needs to stop the origin of this word and use in the Arabic tongue، by tracing the origin of this word in the Arabic dictionaries، therefore the nature of the research to be divided into two sections: The first includes the tracking of Article (J. N. B.)، In the Arabic dictionaries and the statement of the origin of this linguistic material and the secondary meanings. It was found that this article has three origins (farther، displacement، division of man and others)، including secondary meanings were related to these three assets amounted to twenty-six of them: And the courtyard، proximity، retirement، generosity، and some kind of wind، ...) It was revealed that what came from the meanings of this word are seven meanings only: (the removal and departure، and the division of man، and the area or the command of God،....).

The morphological shift and the contextual evidence have had an important impact on the meaning of this word and its implications.

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجاً،وصلِّ اللهم على خير الناس شرفاً ونسباً،محمد وآله الطيبين الطاهرين أعلام التقى.

ما يزال القرآن الكريم منبعاً ثريّاً ينتهل منه طلاب العلم مادتهم العلمية بالفروع كافة(العلمية والإنسانية) وهذا بحث تناولت فيه مادة(جـ ،نـ ،ب) في القرآن الكريم دراسة في صورها البنائية ودلالاتها . و كان السياق خير متكئ لمعرفة هذا الاستعمال. وقد سبقت دراستي هذه أكثر من دراسة على مواد قرآنية أخرى[١].

ويقوم هذا البحث على مبحثين وخاتمة.أمّا المبحث الأول فتناولت فيه أصل مادة(جـ ،نـ ،ب)في المعاجم العربية ،والمعاني التي خرجت إليها حقيقة كانت أو مجازية في حين كان المبحث الآخر محطة لذكر معانيها اللغوية الواردة في القرآن الكريم وبيان دلالاتها الصرفية والنحوية ،ومن ثم جاءت الخاتمة متضمنة أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث. وقد اعتمد البحث على مجموعة من المعاجم اللغوية كالعين،ومقاييس اللغة،ولسان العرب،ومجموعة من كتب تفسير القرآن كتفسير الكشاف ،وتفسير البحر المحيط ،وتفسير مفاتيح الغيب،وثلة من المصادر والمراجع النحوية والصرفية.

ولا أدعي أنّ هذا البحث قد بلغ الغاية المنشودة،بل هو غيض من فيض،راجياً من الله القبول والسداد فإنّه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

مادة (جـ ،نـ ،ب) في المعاجم العربية

إنّ المتتبّع لأي مادة لغوية في القرآن الكريم لابدّ عليه من الرجوع لأصل هذه المادة في المعاجم العربية ليقف على معانيها الحقيقية والمجازية. فالجيم والنون والباء أصلان متقاربان يدلّ أحدهما على الناحية والآخر على البعد.قال ابن فارس(ت ٣٩٥هـ): ((الجيم والنون والباء أصلان متقاربان أحدهما: النّاحية والآخر البُعْد.)) [٢] فجانبا كل شيء ناحيتاه كجنبتي العسكر والنهر ونحوهما [٣] ،و ((الجَنبَةُ: الناحيةُ من كلّ شيءٍ، كأنه شِبهُ الخَلوَةِ من الناس)) [٤]وأنشد الأخفش:

النّاسُ جَنْبٌ والأميرُ جَنْبُ [٥]

أي: الناس في ناحية والأمير في ناحية أخرى. ومنه قيل لناحيتي الوادي جنبتاه [٦] هذا هو الأصل الأول أمّا الأصل الأخر فهو البعد و منه قيل للرجل البعيد منك في القرابة (أجْنب) [٧] و((جَنَّبَ الشيءَ وتجَنَّبَه وجانَبَه وتجَانَبَه واجْتَنَبَهُ بَعُد عنه)) [٨] ومنه قيل للرجل الذي جامع أهله (جنُب)؛لأنه يبعد عمّا يقرب منه غيره من الصلاة والصيام ودخول المساجد [٩] وقيل: ((الجار الجنب هو البعيد مطلقاً)) [١٠]

وذهب ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) و الراغب(ت٥٠٢هـ) إلى أنّ أصل هذه المادة هو الجارحة (شقّ الإنسان وغيره) يعني جانبه ،ثم استعير للناحية كاستعارة سائر الجوارح لذلك،كاليمين و الشمال. [١١] قال ابن سيده (ت٤٥٨هـ) : ((الجَنْب، والجَنَبَة، والجانِب: شق الإنسان وغيره.والجمع: جُنُوب، وجوانب، وجنائِب، الأخيرة نادرة)) [١٢] وقيل : هو ما تحت إبط الإنسان إلى كشحه [١٣] .

ومن هذين الأصلين ترشحت معان عدة بصيغ واشتقاقات عدة منها ما كان متصلا بهما ،ومنها ما حمّل عليهما من باب المجاز ،ومن هذه المعاني ما يأتي:

١- الجار الغريب أو القريب: قال الخليل (ت ١٧٠ هـ): ((والجار الجُنُب الذي جاورك من

قوم آخرين ذو جناية لا قرابة له في الدار، ولا في النسب)) [١٤]وقالوا لمن ينزل غريبا : جَنَب فلان في بني فلان،يجنُب جنابة،ونعم القوم هم لجار الجنابة ،يعني لجار الغربة [١٥] وذكر ابن سيده ،و ابن منظور(ت ٧١١هـ) إن الجار الجَنْب بفتح الجيم هو الجار اللازق بك إلى جَنْبك .[١٦]والرجل الجانِب يعني الغريب،وقيل : الجُنُب والجمع أجناب والجنيب :الغريب والجنابة ضد القرابة [١٧]قال علقمة:

فلا تَحرِمَنّي نائِلاً عن جَنابةٍ

فاني امرؤٌ وسط القِبابِ غَريب [١٨]

أي عن غربة ((ورجل أجنَب،هو البعيد منك في القرابة)) [١٩]هؤلاء قوم أجناب. قالت الخنساء:

فأبكي أخاك لأيتامٍ و أرملةٍ

وابكي أخاك إذا جاورت أجنابا [٢٠]

٢- القرب: كقولهم: جناب القوم أي: ما قرب من ساحتهم [٢١] و((رجل ليّن الجانِب (والجَنْب)أي سهل القرب)) [٢٢] والجانب ((ما قرب من محلة القوم والجمع أجنِبَة)) [٢٣] وقولهم –في معنى جنب الله- : في قرب الله [٢٤].

٣- الفناء والمحلة:فـ ((الجناب :الفناء)) [٢٥]وهذا المعنى مأخوذ من قولهم: ((أنا في جناب فلان أي في فنائه ومحلته)) [٢٦] قال الجوهري(ت ٣٩٣هـ): ((والجَناب، بالفتح:الفناء وما قرب من محلة القوم؛والجمع أجْنِبَة)) [٢٧]

٤- الانقياد والطاعة: كقولهم :فرس طوع الجناب ،إذا كان سلس القيادة وأصحب جَنيبه إذا طاوعه [٢٨]،والجنيبة الدابة المنقادة ،وكل طائع منقاد جنيب [٢٩].ورجل مجنوب ،تعني:رجل مقود. [٣٠]

٥- علة تصيب الإنسان:فـ ((المجنوب:الذي به ذات الجنب،وهي قرحة تصيب الإنسان داخل جنبه)) [٣١]، وقيل: هي علة صعبة [٣٢]،ورجل جنيب الذي يشكي جنبه [٣٣] وقيل: جَنِب [٣٤].وقيل:جُنب بالبناء للمجهول [٣٥].وذكر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) انّ ذات الجنب داء الصناديد [٣٦].

٦- الدفع والتنحية:كقولهم : جنّبته عن كذا، إذا دفعته عنه [٣٧]وجنبته الشيء ،نحيته عنه [٣٨]و ((وجَنَبَه الشيءَ وجَنَّبَه إيَّاه وجَنَبَه يَجْنُبُه وأَجْنَبَه نَحَّاهُ عنه)) [٣٩].

٧- الاعتزال: قال الخليل : ((ورجل ذو جَنبة أي: ذو اعتزال عن الناس، مُجتنِب لهم والمُجانِبُ: الذي قاطع وقد اجتنب قُربكَ.)) [٤٠] وقعد فلان جَنْبَةً، أي:اعتزل عن الناس [٤١].قالوا: جانب الكرام واجتنب اللئام [٤٢] والجنيب كل من اجتنبك فلا يختلط بك فهو معتزل عنك [٤٣].

٨- نوع من أنواع الريح: قال الخليل: ((والجَنُوبُ: ريحٌ تجيء عن يمين القِبلة، والجميع: الجَنائبُ وقد جَنَبَتِ الرِّيح تَجنُبُ جُنوباً.)) [٤٤] إذا هبت من الجنوب [٤٥]ويقال:سحابة مجنوبة إذا هبّت بها الريح الجنوب وأجنبَ القوم إذا دخلوا فيها [٤٦]. وعدّ ابن فارس هذا المعنى شاذاً عن الأصل اللغوي لمادة (جـ ، نـ ،ب) (البعد و الناحية) [٤٧]. ويبدو لي أنّ هذا المعنى متصل بأحد الأصول الثلاثة لمادة (جـ،نـ،ب)ألا وهو الناحية (الجانب)؛إذ إنّ هذه الريح إنّما سُميت بالجنوب ؛لأنها تهبّ من ناحيتها وجهتها.

٩- الخير والشر الكثير:كقولهم :إنّ عند بني فلان خيراً مَجْنبا وشرّا مَجْنباً[٤٨] أي: الكثير من الخير والشر. قال ابن منظور : ((والمَجنب ،بالفتح:الشيء الكثير.يقال:إنّ عندنا لخيراً مَجنباً وشراً مجنباً ،أي كثيراً)) [٤٩] وقيّده ابن فارس بالخير الكثير من دون الشر [٥٠].

١٠- قلّة لبن الإبل: قال الخليل: ((وجَنَّبَ بنو فلانٍ فهم مُجَنِّبون، إذا لم يكن في إبلهم لبن)) [٥١] وقيل :إذا

قلّ لبنها[٥٢] قال الجُميحُ:

لما رأت إبلي قلَّت حلوبتُها

... وكلُّ عامٍ عليها عامُ تَجنيبِ [٥٣] .

١١- اسم لنبات:قال الخليل: ((والجَنبَة، مجزومٌ، اسم يقع على عامَّةِ الشَّجَر يُترك في الصَّيف)) [٥٤] وكل نبت ينمو في الصيف يقال له: جَنبة[٥٥] وقال الأَزهريُّ : الجَنْبةُ : اسمٌ لنُبوتٍ كثيرةٍ وهي كلّها عُرْوَة سُمِّيَتْ جَنْبةً لأَنها صَغُرتْ عن الشجَر الكبار وارتفعتْ عن التي لا أُرُومةَ لها في الأَرض ... وقيل : هو ما فَوْقَ البَقْلِ ودونَ الشجرِ وقيل : هو كلّ نَبْتٍ يُورِقُ في الصَّيْفِ من غيرِ مَطَرٍ أَو هي ما كان بيْنَ البَقْلِ والشَّجرِ وهُمَا ممّا يَبْقَى أَصْلُه في الشِّتَاءِ ويَبِيد [٥٦].

١٢- لعبة للصبيان:ذكره الخليل ،قال: ((والجُنابي: لعبة لهم ،يتجانب الغلمان فيعتصم كل واحد من الآخر)) [٥٧].

١٣- جناحا العسكر:قال ابن منظور: ((والمُجنّبتان من الجيش: الميمنة والميسرة)) [٥٨] والمُجنبة اليمنى هي يمين العسكر والمجُنبة اليسرى،وقيل:المُجَنّبتان يعني كتيبتين من الجيش[٥٩] .وذكر الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) أنّ المجنِّبتين بكسر النون هما ميمنة الجيش وميسرته،والمجنَّبة بفتح النون هي مقدمة الجيش [٦٠].

١٤- نوع من التمر:قال صاحب التاج: ((الجَنِيبُ كأَمِيرٍ تَمْرٌ جَيِّدٌ معروفٌ من أَنْوَاعِه والجَمْعُ : صُنُوفٌ من التَّمْرِ تُجْمَع وكانوا يَبِيعُونَ صَاعَيْنِ من التَّمْرِ بصاعٍ من الجَنِيبِ : فقال ذلك تَنْزِيهاً لهم عن الرِّبَا)) [٦١] .

١٥- ما شابه الضلع: قال الخليل: ((والجَنَب في الدابة يشبه الضلع، وليس بضلع))[٦٢] والجَنَب مصدر قولهم:جَنِبَ البعير،إذا ضلع من جنْبه.وهو أن تلتصق رئته بجنبه من شدة العطش.وقيل:هو أن يلتوي من شدة العطش. [٦٣]

١٦- حي في الحجاز: كقولهم :هذا رجل جَنابي:إذا كان منسوب لأهل جانب بأرض نجد [٦٤].((و جَنب:حي في اليمن)) [٦٥] والجِنابُ بكسر الجيم أَرض معروفة بِنَجْد [٦٦] وقيل قوم من العرب. [٦٧]

١٧-العديل (الشبيه) :كقولهم من المجاز: اتق الله الذي لا جنيبة له ،أي لا عديل له [٦٨].

١٨- انحناء وتوتير : قال صاحب الصحاح: ((والتجنيب انحناء وتوتير في رجل الفرس)) [٦٩].

١٩- الناقة العليقة:كقولهم للناقة التي يمتارون عليها:الجنيبة وجمعها جنائب [٧٠].وهي أن تعطي الناقة لقوم يتمارون عليها.[٧١]

٢٠- أدنى أرض العرب للعجم: ((والمِجنَب أيضاً: أقصى أرض العجم إلى أرض العرب وأدنى أرض العرب إلى أرض العجم.)) [٧٢] قال الكميت:

وشَجْو لِنَفْسِيَ لم أَنْسَه ..

. بِمُعْتَرَك الطَّفِّ فالمِجْنَبِ[٧٣]

٢١- علبة من الجلد: قال ابن منظور: ((والجَنبة: جلدة من جَنْب البعير يُعمل منها علبة،وهي فوق المعِلَق ودون الحوأبة [٧٤].)) [٧٥]

٢٢- اسم لآلة: كقولهم : مِجنب للشَبَحَة : وهي الآلة التي تشبه المشط وليس لها أسنان ويكون طرفها الأسفل مرهفا يرفع به التراب على الأعضاد والفلجان. ومنه قولهم: جَنَب الأرض بالمِجنَب. [٧٦]

٢٣- الذئب:كقولهم للذئب جَنِبا:وذلك لتضالعه كيدا ومكرا[٧٧]

٢٤- الستر:كقولهم :جَنَب البيت بالمِجنب إذا ستره به، والمِجنب :شيء مثل الباب يقوم عليه مشتار العسل[٧٨] .

٢٥- الرجل القصير:ذكره الخليل ، قال: ((والجَأنَبُ،

بالهمز، الرجلُ القصيرُ الجافي الخلقةِ، ورجلٌ جأنبٌ إذا كان كزاً قبيحاً.))[٧٩] .

٢٦- الرجل المحقور: قال الخليل: ((والجانِب المُجتنِب الضعيف المحقور))[٨٠] .

ممّا سبق يتبيّن أنّ كلّ ما ذكر من معان لهذه اللفظة متصل بأصلي (البعد والناحية)،فالجار الغريب والدفع والتنحية والاعتزال، وقلة اللبن –مثلا- متصل بأصل البعد. والقريب،والفناء والمحلة والانقياد والطاعة وجناحا العسكر والعديل –مثلا- متصل بأصل الناحية.

المبحث الثاني

معاني مادة (جـ ،نـ ،ب) في القرآن الكريم

وبعد هذا الاستطراد لمعاني هذه المادة اللغوية في المعاجم العربية ،نذكر هنا ما ورد منها في القرآن الكريم.إذ إنّ المعاني السابقة لم ترد كلها في متن البحث وما ورد منها هو :

أولاً: الابتعاد والتنحية: ورد هذا المعنى في القرآن الكريم (اثنتي عشرة مرة) ،جميعها تدلّ على الابتعاد والاجتناب عن الأمور العظيمة التي لو قاربها بنو البشر وفعلوها كان الهلاك مصيرهم،فمنها ما كان يحثّ على الابتعاد عن عبادة آلهة غير الله تعالى كعبادة الأصنام والطاغوت[٨١]،ومنها ما حثّ على الابتعاد وترك معصية الله كارتكاب كبائر الذنوب والفواحش،وقول الزور،وكثرة الظن[٨٢]،وشرب الخمر وعمل الميسر والأنصاب وكل رجس من عمل الشيطان[٨٣]،ومنها ما جاء يخبر عن الأشقياء الذين ابتعدوا عن تذكير ووعظ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[٨٤] ومنها ما أخبر عن حال الأتقياء الذين تباعدوا عن نار جهنم.[٨٥]

و قد ورود هذا المعنى في القرآن مختصراً على الصيغة الفعلية من دون نظيرتها الاسمية ،ويبدو لي أنّ هذا الأمر جاء متناسباً دلالياً مع الحاجة في التجديد والاستمرارية في الحثّ على الابتعاد عن هذه الأمور الشنيعة والمهلكة للناس.إذ إنّ الصيغة الفعلية ذات دلالة واضحة على التجدد والاستمرار في حدوث الفعل. ومن ذلك ما يأتي:

١- قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)[براهيم: ٣٥}

فـ(اجنبني) في الآية المباركة بمعنى باعدني أو باعد بيني وبين عبادة الأصنام أو نحّني عنها أي : اجعلني وبنيّ في جانب بعيد عن عبادتها [٨٦]ومثلما هو ملاحظ فإنّ لفظة(اجنبني) جاءت بصيغة الأمر من الثلاثي المجرد وهذه لغة أهل نجد ،والحجازيون يقولون بالتضعيف أو بالهمز أي :جنبّني أو أجنبني،وقيل: إن القرآن عمد إلى هذه اللغة لما فيها من خفة ويسر في النطق [٨٧] ويبدو لي أنّ هذا يتناسب مع مقام التأدب الذي كان عليه إبراهيم (عليه السلام) وهو يتكلم مع الذات المقدسة فهو في مقام الطالب والسائل وهذا ما يتطلّب منه (عليه السلام) الطلب برفق ولين فلا جدوى من التضعيف أو الهمز لما فيهما من غلظة وشدة في الطلب.

٢- : قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) {الشورى: ٣٧}

فـ(يجتنبون) تعني يبتعدون ،أي أنهم يبتعدون عن كل كبائر الإثم والفواحش و ((كبائر الإثم : الفعلات الكبيرة من جنس الإثم وهي الآثام العظيمة التي نهى الشرع عنها نهياً جازماً وتوعّد فاعلَها بعقاب الآخرة مثل القذف والاعتداء والبغي ... و { الفواحش } :

جمع فاحشة وهي : الفعلة الموصوفة بالشناعة والتي شدّد الدِّين في النهي عنها وتوعّد عليها بالعذاب أو وضعَ لها عقوبات في الدنيا للذي يُظهر عليه من فاعليها . وهذه مثل قتل النفس ، والزنا ، والسرقة ، والحرابة .))[٨٨]وقد أُختلف في إعراب قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) أهي معطوفة على الصفات المذكورة قبلها،أم هي في موضع رفع بالابتداء على تقدير:الذين يجتنبون الكبائر والفواحش[٨٩] ويبدو أنّ الأول أولى بالقبول من الآخر فعدم التقدير أولى بالقبول من التقدير.

والملاحظ أنّ الصلة (يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) قد عطفت وموصولها على ما قبلها من الصفات في السورة المباركة والمقصود من ذلك ((هو الاهتمام بالصلات فيكرّر الاسم الموصول لتكون صلتُه معتنى بها حتى كأنَّ صاحبها المتّحد منزَّلٌ منزلة ذوات)) [٩٠]

وممّا يلاحظ في هذه الآية أنّ مادة (ج،ن،ب)التي أفادت معنى الابتعاد جاءت بصيغة الفعل المضارع وهي بهذا قد خالفت الصلات التي عُطفت عليه هي وما عُطف عليها إذ إنّ تلك الصلات كلها قد جاءت بصيغة الفعل الماضي ،ويبدو لي من هذا أنّ الله تعالى أراد أن يبيّن استمرارية صفة الابتعاد والترك لهذه الأمور الشنيعة عند هؤلاء القوم ودوامها فهي لا تنقطع بحال من الأحول؛ إذ إنّ((صيغة المضارع في العربية تفيد التجديد والحدوث والاستمرار))[٩١]

٣- - قال تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) { الزمر: ١٧}

فـ (اجتنبوا)قي الآية المباركة تعني تركوا وابتعدوا عن عبادة الأصنام وغيرها ممّا يُعبد من دون الله[٩٢] .وكما هو ملاحظ فإنّ مادة (جـ،نـ ،ب)جاءت بصيغة (افتعل)المسندة إلى واو الجماعة،ومن أشهر دلالات هذه الصيغة الاجتهاد والطلب في تحقيق الفعل،وقد يكون هذه الاجتهاد مخفياً لا يجهر به فاعله [٩٣]قال سيبويه (ت١٨٥هـ): ((وأمّا اكتسب فهو التصرف والطلب. والاجتهاد بمنزلة الاضطراب.))[٩٤] ،ويقول ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ) : ((و(افتعل)للمطاوعة غالباً نحو :غممته فاغتمّ،وللاتخاذ نحو:اشتوى،وللتفاعل نحو:اجتوروا،وللتصرف نحو:اكتسب)) [٩٥] وقال الرضي(ت٦٨٦هـ) وهو يشرح قول ابن الحاجب: ((قوله « وللتصرف « أي: الاجتهاد والاضطراب في تحصيل أصل الفعل، فمعنى كسب أصاب ومعنى اكتسب اجتهد في تحصيل الإصابة بأن زاول أسبابها فلهذا قال الله تعالى: (لها ما كسبت) أي: اجتهدت في الخير أو لا فانّه لا يضيع (وعليها ما اكتسبت) أي: لا تؤاخذ إلاّ بما اجتهدت في تحصيله وبالغت فيه من المعاصي)) [٩٦]،وهذا ما نلاحظه في دلالة (اجتنب) في الآية المباركة فهي تخبر بأنّ هؤلاء القوم قد جدّوا واجتهدوا في تحصيل فعل الاجتناب والابتعاد عن عبادة الطاغوت ؛لذلك فهم يستحقون البشرى من لدن الله تعالى.

ثانياً: شقّ الإنسان وغيره: وقد ورد هذا المعنى (تسع)مرات[٩٧] منها :

١- قال تعالى: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا)}الإسراء: ٨٣{

فـ (جانب) في الآية المباركة تعني: شق الإنسان وجانبه وهو ((منتهى جسمه من إحدى الجهتين اللّتين ليستا قُبالَة وجهه وظهرِه ، ويسمّى الشِقّ)) [٩٨]وقيل: إنّما سميّ شقّ الإنسان جانبا ؛لأنه تباعد عن شقه الآخر[٩٩] ،ومن هذا يمكن القول بأن كلمة (جانب) في الآية المباركة قد جاءت محتفظة بدلالتها المعجمية

(البعد) وهذا المعنى يتناسب دلاليا مع استعمال الفعل (نأى) فكلاهما يحملان معنى البعد فـ (النأي) تعني البعد [١٠٠]قال تعالى چ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ چ الأنعام: ٢٦ وفي هذا الاستعمال توكيد للإعراض عن الله تعالى [١٠١]

٢- قال تعالى: (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا) {الإسراء: ٦٨}

فـ(الجانب) في الآية المباركة معناه الشقّ قال صاحب التحرير : ((والجانب : هو الشق وجعل البر جانباً لإرادة الشق الذي ينجيهم إليه ، وهو الشاطئ الذي يرسون عليه إشارة إلى إمكان حصول الخوف لهم بمجرد حلولهم بالبر بحيث يخسف بهم ذلك الشاطئ، أي أن البر والبحر في قدرة الله تعالى سيان ، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في البر والبحر . وإضافة الجانب إلى البر إضافة بيانية)) [١٠٢] وتبيّن سابقاً بأنّ الجانب سمّي جانبا لتنحّيه وتباعده عن الجانب الآخر ومنه يبدو لي أنّ استعمال كلمة (جانب)جاء مشعراً بأصلها اللغوي (البعد)أي أنكم وإن كنتم في جهة بعيدة - بظنكم- فلا تأمنوا عذاب الله وشدة بأسه.

٣- قال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)} آل عمران: ١٩١{

فـ (جنوبهم)في الآية المباركة جمع (جانب) ،وهو شق الإنسان الأيمن أو الأيسر[١٠٣] والملاحظ أن مادة (جنب) في الآية المباركة جاءت على صيغة جمع التكسير (فُعُول) الدالّ على الكثرة[١٠٤] وقد عُطفت على (قعود) التي هي جمع تكسير أيضا،وهذا فيه دلالة على تعظيم حالة الذكر التي كانوا عليها؛فذكرهم لله كان ذكرا كثيراً.وهذا يتناسب مع سياق المدح لهؤلاء القوم من لدن الله تعالى.

ثالثاً :الناحية أو الجهة: وقد ورد هذا المعنى في (ست مرات)[١٠٥] منها :

١- قال تعالى: (وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) {مريم: ٥٢}

أي من الناحية اليمنى لجبل الطور [١٠٦]والأيمن إمّا صفة للطور أو لجانب [١٠٧] وقد رجّح أبو حيان(ت٧٤٥هـ) بأن يكون الأيمن صفة للجانب لا للطور قال: ((والظاهر أن { الأيمن } صفة للجانب لقوله في آية أخرى { جانب الطور الأيمن } بنصب الأيمن نعتاً لجانب الطور ، والجبل نفسه لا يمنة له ولا يسرة ولكن كان على يمين موسى بحسب وقوفه فيه ، وإن كان من اليمن احتمل أن يكون صفة للجانب وهو الراجح ليوافق ذلك في الآيتين)) [١٠٨] وقيل :إنّ صفة الأيمن مشتقة من اليمن والبركة[١٠٩]

٢- قال تعالى: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) {القصص: ٤٤ } فـ (جانب) تعني المكان أو الناحية الذي وقع فيه ميقات موسى (عليه السلام) من الطور [١١٠] والملاحظ أنّ لفظة (جانب) في الآية السابقة قد وصفت بـ (الأيمن) وهي صفة مشتقة من اليمن والبركة ، أمّا في هذه الآية فقد جاءت مجردة من الوصف. وبيان ذلك إنّ الأولى تتكلم عن قصة موسى وتكليم الله تعالى له وهذا غاية اليمن والبركة ،أمّا الأخرى فتتكلم عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهي تنفي عنه أن يكون موجوداً في تلك الناحية التي حصل فيها تكليم الله لموسى (عليه السلام) واحتراساً من توهّم نفي اليمن والبركة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يصف الجبل بالأيمن. [١١١]

٣- قال تعالى: (لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى

وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) {الصافات: ٨}

فـ (جانب) في قوله تعالى بمعنى الجهة،أي إنهم يقذون من جميع جوانب السماء. [١١٢]

رابعاً: البُعد: وقد ورد هذا المعنى مرتين ،الأولى في قوله تعالى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) {القصص: ١١}

فـ (عَنْ جُنُبٍ) في النص المبارك تعني عن بُعْد أي: من مكان بعيد،يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد [١١٣] وقيل معنى (عن جنب) يعني عن جانب؛لأنها كانت تمشي على الشط[١١٤] وقيل إن معناها كانت تنظر إليه عن شوق والأخير لغة جذام يقولون: جنبتُ إليك أي اشتقت [١١٥] وجاءت لفظة (جنب) لموصوف محذوف تقديره مكان أي: عن مكان بعيد[١١٦] والملاحظ أن هذا الوصف جاء بالصيغة الاسمية من دون الفعلية وهذا ما يعطيه قوة في الدلالة ؛لأن الوصف بالاسم أقوى دلالة من الوصف بالفعل إذ إنّ الاسم يدلّ على الثبوت والفعل يدلّ على التجدد،وما كان ثابتاً أشدّ تأثيراً في النفس من المتجددّ [١١٧] فضلاً عن أنّ صيغة (فُعْل) التي جاءت بها مادة (جنب) هي إحدى صيغ الصفة المشبهّة[١١٨] والصفة المشبّهة تدلّ ثبوت الصفة ودوامها- غالباً- وهذا كله يتناسب دلالياً مع لفظة (بصُر)الدالّة على قوة النظر والإبصار،أي قوة استعمال حاسة البصر وهو التحديق في المبصَر،إذ إنّ (بصُر) أشدّ دلالة من (أبصر)[١١٩] .

وأمّا المرة الأخرى:فقوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) {النساء: ٣٦}

فالجار الجنب هو الجار البعيد سواء أكان هذا البعد مكانيا أو عقائديا أو نسبيا، قال ابن عباس(ت٦٨هـ) : ((والجار الجنب هو الجار الأجنبي الذي لا قرابة بينك وبينه))[١٢٠] وقيل:هو الجار اليهودي ، والنصراني . فهي عنده قرابة الإسلام ، وأجنبية الكفر . وقالت فرقة :هو الجار قريب المسكن منك ، والجنب هو بعيد المسكن منك . [١٢١] وقيل : هو الجار الذي نزل بين القوم وليس منهم،وهو وصف على وزن (فُعْل) وقيل مصدر لذلك فهو لم يطابق موصوفه[١٢٢] .

خامساً: الجنابة: وقد ورد هذا المعنى مرتين ،الأولى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا) {النساء: ٤٣}

فـ (جنبا) وصف لمن أصابته الجنابة ،وقيل هو مصدر؛ لذلك لم يجمع إذا أُخبر به عن الجمع،والمراد به المباعد للعبادة من الصلاة إذا جامع امرأته[١٢٣] و ((الجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث؛ لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب))[١٢٤] وهذا المعنى (الجنب) إمّا أن يكون مأخوذاً من البُعد ،أي الابتعاد عن الطهارة أو من القرب كأنه ضاجع أو مسّ بجانبه جنباً[١٢٥]

والملاحظ في الآية المباركة أن قوله (وَلَا جُنُبًا) حال مفرد قد عطف على قوله (وَأَنْتُمْ سُكَارَى)وهو جملة اسمية وبينهما فرق فـ ((الحال إذا كانت جملة دلّت على المقارنة ، وأمّا اتصافه بمضمونها فقد يكون وقد لا يكون نحو جاء زيد وقد طلعت الشمس والحال المفردة صفة معنى فإذا قال : لله تعالى عليّ أن أعتكف وأنا صائم نذر مقارنته للصوم ولم ينذر

صوماً فيصحّ في رمضان ، ولو قال : صائماً نذر صومه فلا يصحّ فيه))[١٢٦] ويبدو أن مجيء الحال جملة اسمية في النهي الأول أبلغ وأكثر توكيداً في النفس من المفرد الوارد في النهي الآخر ؛إذ إنّها تدلّ على الثبوت وهذا ما يقتضيه المقام فكون المصلي في حالة السكر وهو في مقام الواقف بين يدي الجليل تعالى فيكون موقفه هذا منافياً لحال المسلم العابد،في حين أنّ الحالة الأخرى التي جاء النهي عنها فهي لا تنافي حال المسلم إذا إنها حالة طبيعة .

والمرة الأخرى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) {المائدة: ٦}

وما قيل في الآية الأولى ينطبق هنا فلا جدوى من التكرار.

سادساً :أمر الله:وقد ورد هذا المعنى مرة واحدة ،وذلك في قوله تعالى: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) {الزمر: ٥٦}

فقوله في (جنب الله)أي: في حق الله و أمره وطاعته أو في قربه أو في سبيل الله ودينه[١٢٧]أو في كلّ ما يؤدي إلى الوصول إلى رضا الله تعالى ؛إذ إنّ العرب تسمّي السبب الموصل إلى الشيء جانبا[١٢٨]. وإضافة الجانب إلى الله تعالى من باب المجاز لاستحالة أن تكون له جارحة.[١٢٩] وقيل إن المضاف إليه محذوف تقديره طاعة الله أو حق الله أي ما يحق له سبحانه ويلزم وهو طاعته عز وجل[١٣٠] ويبدو أن كلمة (جنب)قد بقيت محتفظة بدلالتها المعجمية (البعد) إذ إنّ أمر الله وحقه وطاعته كان من أسباب تفريطهم فيها هو بعدهم عن الله تعالى.

سابعاً : الصاحب القريب :وقد ورد هذا المعنى مرة واحدة وذلك في قوله تعالى : قال (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) {النساء: ٣٦}

فكلمة (جنب)في قوله (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) معناها القريب إلاّ أنّ المفسرين اختلفوا في نوع هذا القريب فمنهم من قال: هو الرفيق في السفر ومنهم من قال: الزوجة[١٣١]وقال الزمخشري: ((هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك إمّا رفيقاً في سفر ، وإمّا جاراً ملاصقاً ، وإمّا شريكاً في تعلّم علم أو حرفة ، وإمّا قاعداً إلى جنبك في مجلس أو مسجد))[١٣٢] وذهب الشيخ الطوسي أن هذا المعنى ينطبق على جميع هؤلاء[١٣٣].

الخاتمة:

١- إنّ القرآن الكريم كتاب ثري بالعلوم والمعارف كلما امتدت له يد الأقلام جاءت مملوءة بشيء منها.

٢- إنّ الأصل اللغوي لمادة (جـ ،نـ ،ب) هو البعد والناحية وشقّ الإنسان وغيره، أمّا المعاني الأخرى فهي محمولة عليهما من باب المجاز ،وكلها متصلة بتلك الأصول الثلاثة.

٣- وردت مادة (جـ ،نـ ،ب) في القرآن الكريم (٣٣) مرة،وقد جاءت هذه المادة موزّعة على الصيغتين الفعلية والاسمية.

٤- إن القرآن الكريم قد راعى الأصل اللغوي لمادة (جـ ،نـ ،ب) (البعد ،والناحية،وشقّ الإنسان وغيره) وهي الأكثر وروداً من بين المعاني الأخرى ،إذ ورد معنى (البعد) أربع عشرة مرة، ومعنى (شق الإنسان وغيره) تسع مرات،ومعنى (الناحية) ست مرات.

٥- لم ترد كل المعاني التي ذكرتها المعاجم العربية لهذه المادة في القرآن الكريم ،وما ورد منها هو معنى الابتعاد والتنحية ،والجهة أو الناحية،وشق الشيء،والجنابة، والبعد،وأمر الله،والصاحب القريب.

٦- إنّ تغير الصيغة الفعلية لم يكن هو العامل الوحيد وراء تغير دلالة مادة (جـ ،نـــ ،ب)بل كان للسياق والقرائن الأثر الهامّ وراء ذلك.فمثلاً جاءت لفظة (جنُب) التي على صيغة (فعُل)تحمل معنيين (البعد ،و الجانبة) كذلك لفظة (جانب) التي على صيغة (فاعل) تحمل معنيين (شق الإنسان ،و الناحية).

الهوامش

١- ينظر :على سبيل المثال لا الحصر :الجذر (خلص) في القرآن الكريم دراسة في البنية والدلالة،د نجاح فاهم و م.م علياء نصرت،مجلة جامعة كربلاء العلمية:م:٩،عدد:٣،٢٠١١ ،ومادة (صرف) ومعانيها في القرآن الكريم،حسن غازي السعدي،مجلة جامعة بابل/العلوم الإنسانية:م:٢٣،عدد:١.

٢- معجم مقاييس اللغة ،أحمد بن فارس،باب الجيم والنون وما يثلثهما،١: ٤٣٨.

٣- ينظر: العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي،مادة جنب،١: ٢٦٢.

٤- المصدر السابق

٥- لم أهتد إلى قائله

٦- ينظر لسان العرب،ابن منظور،مادة جنب،١: ٢٧٦.

٧- ينظر: المصدر السابق:١: ٢٧٧.

٨- المصدر السابق:١: ٢٧٨.

٩- ينظر: معجم مقاييس اللغة،١ :٤٨٣.وتهذيب اللغة

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس:محمد مرتضى الزبيدي،مادة جنب،٢: ١٨٥.

١١- ينظر: المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني:٩٩

١٢- المحكم والمحيط:٣٢٠ ،وينظر:لسان العرب:١، ٢٧٥.

١٣- ينظر:تاج العروس:٢، ١٨٣.

١٤- العين:١: ٢٦٣،وينظر: الصحاح:١: ١٠١.وأساس البلاغة:١: ١٥١

١٥- ينظر: الصحاح:١: ١٠٣

١٦- ينظر:لسان العرب:١: ٢٧٥.

١٧- ينظر:لسان العرب:١: ٢٧٧.

١٨- شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل:الأعلم الشنتمري:٣١

١٩- العين:١: ٢٦٤

٢٠- ديوان الخنساء،شرحه ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى:١٥٠

٢١- ينظر العين:١: ٢٦٣

٢٢- العين: ١: ٢٦٢، وينظر: لسان العرب:١: ٢٧٨

٢٣- الصحاح:١: ١٠٢

٢٤- ينظر :لسان العرب:١: ٢٧٥

٢٥- ينظر: مجل اللغة،ابن فارس:مادة جنب،١٩٩.و المحكم والمحيط الأعظم،علي بن إسماعيل بن سيده،٣٢٢.

٢٦- أساس البلاغة: الزمخشري:١: ١٥٠.

٢٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،إسماعيل بن حماد الجوهري:١: ١٠٢.

٢٨- ينظر:أساس البلاغة :١ :١٥١،والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:١: ١٠٢ولسان العرب:١: ٢٧٦.

٢٩- ينظر:الصحاح وتاج العربية:١: ١٠٢،ولسان العرب:١: ٢٧٦

٣٠- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم:٣٢١

٣١- الصحاح:١: ١٠٣
٣٢- ينظر: لسان العرب:٢: ٢٨١
٣٣- ينظر العين:١: ٢٦٣، ولسان العرب: ٢: ٢٧٥.
٣٤- ينظر:المحكم والمحيط الأعظم:٧: ٣٢٠
٣٥- ينظر:تاج العروس:٢: ١٨٤
٣٦- ينظر:أساس البلاغة:١: ١٥١
٣٧- ينظر العين :١: ٢٦٣.والمحكم والمحيط الأعظم: ٧: ٣٢١،ولسان العرب:٢: ٢٧٧.
٣٨- ينظر الصحاح:١، ١٠٢
٣٩- لسان العرب:٢: ٢٧٨.
٤٠- العين:١: ٢٦٣،وينظر: لسان العرب: ٢: ٢٧٨
٤١- ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١: ٤٨٣.
٤٢- ينظر: أساس البلاغة :١: ١٥١.
٤٣- ينظر العين:١: ٢٦٣
٤٤- العين:١: ٢٦٣،وينظر: الصحاح:١: ١٠٣
٤٥- ينظر: أساس البلاغة:١: ١٥١
٤٦- ينظر: الصحاح:١: ١٣٢.
٤٧- ينظر:معجم مقاييس اللغة:١: ٤٨٣.
٤٨- ينظر: العين: ١: ٢٦٣
٤٩- الصحاح:١: ١٠٣
٥٠- ينظر:مجمل اللغة:١٩٩
٥١- العين: ١: ٢٦٣
٥٢- ينظر: الصحاح:١: ١٠٢.ومجمل اللغة:١٩٩.
٥٣- شعر الجميح الأسدي:شرح وتحقيق:محمد علي دقة:٤٨١
٥٤- العين: ١: ٢٦٣
٥٥- ينظر: الصحاح:١: ١٠٣.وينظر:لسان العرب:١: ٢٨١
٥٦- ينظر: تاج العروس:٢: ١٨٩
٥٧- العين:١: ٢٦٣.وينظر: لسان العرب: ١: ٢٨٣
٥٨- لسان العرب: ١: ٢٧٦
٥٩- لسان العرب:١: ٢٧٦
٦٠- ينظر:تاج العروس:٢: ٢٨٥،و لسان العرب: ١: ٢٧٦
٦١- تاج العروس:٢: ١٩٩،وينظر: القاموس المحيط ،الفيروز آبادي:١: ٤٩
٦٢- العين: ١: ٢٦٣

٦٣- ينظر: الصحاح:١: ١٠٣،ومجمل اللغة: ١٩٩
٦٤- ينظر: العين:١: ٢٦٤
٦٥- الصحاح: ١: ١٠١
٦٦- ينظر:لسان العرب:١: ٢٧٩
٦٧- ينظر: مجمل اللغة:١٩٩
٦٨- ينظر: أساس البلاغة:١: ١٥١.
٦٩- الصحاح:١: ١٠٢،وينظر: لسان العرب:١: ٢٧٨
٧٠- ينظر:الصحاح:١: ١٠٢
٧١- ينظر: لسان العرب: ١: ٢٧٩
٧٢- الصحاح:١: ١٠٣،وينظر: لسان العرب:١: ٢٨٣
٧٣- شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي،أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي:١٣٩
٧٤- لمعلق: العُلْبة إذا كانت صغيرة ثم الجَنْبة أكبر منها تعمل من جَنْب الناقة ثم الحَوْأَبة أكبرهن. (لسان العرب: مادة: علق:١٠: ٢٦١)
٧٥- لسان العرب: ١: ٢٦٧،وينظر:المحكم والمحيط الأعظم:٧: ٣٢١
٧٦- ينظر:المحكم والمحيط الأعظم:٧: ٣٢٢،ولسان العرب: ١: ٢٨٠،وتاج العروس:٢: ١٩٤
٧٧- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم:٧: ٣٢٣،ولسان العرب:١: ٢٨٠
٧٨- ينظر: تاج العروس:٢: ١٩٣
٧٩- العين:٢٦٤،وينظر:تاج العروس:٢: ١٩٥
٨٠- العين:١: ٢٦٣.وينظر: لسان العرب:٢: ٢٧٨
٨١- ينظر: سورة إبراهيم:٣٥،والزمر:١٧،والنحل:٣٦
٨٢- ينظر:سورة النساء:٣١،سورة الشورى:٣٧،والنجم:٣٢،والحجرات:١٢.
٨٣- ينظر: سورة المائدة: ٩٠،والحج:٣٠
٨٤- ينظر:سورة الأعلى:١١
٨٥- ينظر:سورة الليل:١٧.
٨٦- ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي: ١٣ ٢٣٤،والتحرير والتنوير:محمد الطاهر ابن عاشور:١٣: ٢٣٨.
٨٧- ينظر: التحرير والتنوير:١٣: ٢٣٨ ،و الكشاف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله
٨٨- التحرير والتحبير:٢٥: ١١٠
٨٩- ينظر: التبيان في تفسير القرآن:٩: ١٦٣،تفسير البحر المحيط ،أبو حيان الأندلسي:٧: ٤٩٩ ، والتحرير والتنوير:٢٥: ١١٠
٩٠- التحرير والتنوير:٢٥: ١١٠

٩١- الفعل زمانه وأبنيته:د إبراهيم السامرائي:٢٠٤-٢٠٥
٩٢- ينظر:تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب،محمد الرازي٢٦: ٢٥٨ .
٩٣- ينظر: أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية:د.نجاة عبد العظيم الكوفي:٥٩
٩٤- الكتاب كتاب سيبويه:أبو بشر عمرو بن عثمان٣٤: ٧٤
٩٥- شرح شافية ابن الحاجب،رضي الدين الاستراباذي،١: ١٠٨
٩٦- المصدر السابق١: ١١٠
٩٧- ينظر على سبيل المثال:التوبة:٣٥،والحج:٣٦،والسجدة ١٦.
٩٨- التحرير والتنوير:١٥: ١٩٢
٩٩- ينظر: التبيان في تفسير القرآن:٣: ١٩٣
١٠٠- ينظر:المصدر السابق
١٠١- ينظر:الكشاف:٣: ٥٤٧ ،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة٣: ٢٢٧
١٠٢- التحرير والتنوير:١٥: ١٦٢.
١٠٣- ينظر: الكشاف:١: ٦٧٦، و روح المعاني:٤: ١٥٨
١٠٤- ينظر الكتاب كتاب سيبويه،٣: ٥٦٧، وشرح شافية ابن الحاجب:٢: ٩١
١٠٥- ينظر على سبيل المثال:مريم:٥٢،وطه:٨٠ ،و القصص: ٢٩.
١٠٦- ينظر:مفاتيح الغيب:٢١: ٢٣٢،وتفسير البحر المحيط:٦: ١٨٨
١٠٧- ينظر:تفسير البحر المحيط:٦: ١٨٨
١٠٨- المصدر السابق
١٠٩- ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،٤: ٢٥٦
١١٠- ينظر: الكشاف:٤: ٥٠٩
١١١- ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،٤: ٢٥٦
١١٢- ينظر: الكشاف:٥: ٢٠٢ وتفسير البحر المحيط:٧: ٣٣٨
١١٣- ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،جار الله الزمخشري٤: ٤٨٦،وتفسير البحر المحيط:٧: ١٠٢،والتحرير والتنوير:٢٠: ٨٣
١١٤- ينظر: تفسير البحر المحيط :٧: ١٠٣ وروح المعاني:٢٠: ٥٠
١١٥- ينظر:تفسير البحر المحيط:٧: ١٠٢،و روح المعاني:٢٠: ٥٠
١١٦- ينظر:تفسير البحر المحيط:٧: ١٠٢،وروح المعاني:٢٠: ٥٠،والتحرير والتنوير:٢٠: ٨٣
١١٧- ينظر:معاني الأبنية:د. فاضل السامرائي:١٤
١١٨- ينظر:شذى العرف في فن الصرف ،أحمد الحملاوي:٥٦
١١٩- ينظر: التحرير والتنوير:٢٠: ٨٣.
١٢٠- تفسير البحر المحيط:٣: ٢٥٤

١٢١- ينظر:تفسير البحر المحيط :٣: ٢٥٤ ،وروح المعاني:٥: ٢٨،والتحرير والتنوير:٥: ٥٠

١٢٢- ينظر التحرير والتنوير:٥: ٥٠

١٢٣- ينظر: التحرير والتحبير:٥: ٦٢

١٢٤- تفسير البحر المحيط:٣: ٢٦٧

١٢٥ ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عطية الأندلسي، ٢: ٥٧.

١٢٦- روح المعاني:٥: ٣٩.

١٢٧- ينظر: الكشاف:٥: ٣١٥ ،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد٥: ٩٥ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٤: ٥٣٨

١٢٨- ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:٥: ٩٥

١٢٩- ينظر: تفسير البحر المحيط:٧: ٤١٧

١٣٠- ينظر :روح المعاني:٢٤: ١٧

١٣١- ينظر تفسير البحر المحيط،٣: ٢٥٥ و روح المعاني:٥: ٢٩ ،والتحرير والتنوير:٥: ٥١

١٣٢- الكشاف:٢: ٧٤

١٣٣- ينظر التبيان في تفسير القرآن:٣: ١٩٣

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانياً:الكتب المطبوعة:

١- أبحاث صرفية،خديجة زبار الحمداني،دار صفاء للنشر والتوزيع ـ عمان،ط ١،٢٠١٠م.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،أبو السعود بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)،تح:عبد القادر أحمد عطا،الناشر:مكتبة الرياض الحديثة،الرياض،مطبعة السعادة،(د ت).

٣- البحر المحيط،محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٩هـ)،دراسة وتح وتعليق:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)،تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان،ط٢،دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٢

٥- بنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية:د.نجاة عبد العظيم الكوفي،دار الثقافة للنشر والتوزيع،١٤٠٩-١٩٨٩

٦- التبيان في تفسير القرآن،أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠ هـ)، تح وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي،ط١، الناشر مكتب الإعلام الإسلامي ،مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي،١٤٠٩هـ.

٧- التحرير والتنوير،محمد طاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر،تونس،١٩٨٤.

٨- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب،محمد الرازي المشتهر بخطيب الريّ(٦٠٤هـ)،ط١،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان - بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٩- ديوان الخنساء،شرحه ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي (ت ٢٩١هـ)،تح:د. أنور أبو سويلم،ط ١، دار عمار،١٤٠٩هـ -١٩٨٨م.

١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)،عنيت بنشره وتصحيحه للمرة الثانية إدارة المطبعة المنيرية،دار إحياء التراث العربي،بيروت – لبنان،(د ت).

١١-شذا العرف في فن الصرف،أحمد الحملاوي،ط١،الناشرمنشورات المحبين للطباعة والنشر،١٤٣٠هـ.

١٢- شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل:الأعلم الشنتمري،قدم له ووضع حواشيه د. حنا نصر الجتي،ط ١،الناشر:دار الكتاب العربي،بيروت،١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٣- شرح شافية ابن الحاجب،رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي(ت٦٨٦هـ)،تح: محمد نور الحسن وآخرون،ط١،دار إحياء التراث العربي،بيروت-لبنان د .ت.

١٤- شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي،بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي،تح: د. داود سلوم ود. نوري حمودي القيسي،ط٢، مكتبة النهضة العربية،بيروت،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٥- الفعل زمانه وأبنيته:د إبراهيم السامرائي،ط ٣،١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ،مؤسسة الرسالة،بيروت – لبنان.(د ت)

١٦- كتاب سيبويه،أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠هـ)،تح وشرح:عبد السلام محمد هارون،الناشر مكتبة الخانجي.

١٧- كتاب العين ،عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)،تح:د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي،(دت).

١٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٥٣٨هـ)،تح وتعليق ودراسة:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون،ط١،الناشر مكتبة العبيكان،الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.
١٩- لسان العرب:ابن منظور(ت٧١١هـ)،طبعة جديدة مصححة اعتنى بتصحيحها،أمين محمد عبد الوهاب،ومحمد صادق العبيدي،ط٣،دار إحياء التراث العربي،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت-لبنان،(د ت).
١٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)،تح: عبد السلام عبد الشافي محمد،ط١، ١٤٢٢ دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان
١١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت ٣٩٥هـ)،تحق : عبد السلام محمد هارون،ط١، دار الفكر، : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٢- معاني الأبنية في العربية،د.فاضل صالح السامرائي،دار عمار للنشر والتوزيع،عمان-الأردن،ط الثانية،٢٠٠٧.
١٣- المفردات في غريب القرآن،أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تح:محمد سيد كيلاني،دار المعرفة،بيروت – لبنان،(د. ت)

ثالثاً: البحوث المنشورة:-

١- الجذر (خلص) في القرآن الكريم دراسة في البنية والدلالة،د نجاح فاهم و م.م علياء نصرت،مجلة جامعة كربلاء العلمية:م:٩،عدد:٣،٢٠١١م.
٢- الشاعر الجاهلي الجميح بن الطماح الأسدي:شرح وتحقيق:محمد علي دقة،مجلة جامعة الملك سعود،م ٥،الآداب ٢،١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣- مادة (صرف) ومعانيها في القرآن الكريم،حسن غازي السعدي،مجلة جامعة بابل/العلوم الإنسانية:م:٢٣،عدد:١. ٢٠١٥م.

اعترافاتُ الشعراءِ العباسيينَ

Confessions of the Abbasid poets.

أ.د. ثائر سمير حسن الشمري
كلية التربية الأساسية/جامعة بابل
Dr. Thaer Samir Hassan Al - Shammari.
College of Basic Education / Babylon University.

كلمات مفتاحية : الاعتراف، الشعر العباسي، الشيب، المدح، الذنوب

ملخص البحث

كثيراً ما يتحدّثُ الشاعر – في شعره – إلى غيره، مادحاً أو راثياً أو متغزلاً أو هاجياً وما إلى ذلك، فنراه يوجّه شعره إلى الآخر في أكثر الأحيان، إلّا أنّ ذلك لا يعني امتناعه عن الالتفات إلى نفسه، متحدّثاً عنها، واصفاً إيّاها ، ومن ذلك ما يبوح به من اعترافات عن أمور كان يؤدّيها، أو يعبّر عن قضايا تكون له فلسفة خاصة بها، أو آراء يطرحها في شعره، وتلك الاعترافات هي التي ستكون محور بحثي هذا، فالشعراء العباسيون اعترفوا بجملة أمور إنماز بعضها بالجرأة ؛ وبعضها الآخر بالصراحة – كما سنرى- .

Abstract

Often، the poet speaks - in his poetry - to others، praising or ruthless or arrogant or Hagia and so on، as he draws his poetry to the other more often، but that does not mean his reluctance to pay attention to himself، speaking of him، describing him، and This is evidenced by the confessions of the things he was doing، or reflect issues that have his own philosophy، or opinions put forward in his poetry، and those confessions will be the focus of this research، the Abbasid poets confessed to some things، including some boldness; we will see.

المقدمة

كثيراً ما يتحدّث الشاعر – في شعره – إلى غيره، مادحاً أو راثياً أو متغزّلاً أو هاجياً وما إلى ذلك، فنراه يوجّه شعره إلى الآخر في أكثر الأحيان، إلّا أنّ ذلك لا يعني امتناعه عن الالتفات إلى نفسه، متحدّثاً عنها، واصفاً إيّاها ، ومن ذلك ما يبوح به من اعترافات عن أمور كان يؤدّيها، أو يعبّر عن قضايا تكون له فلسفة خاصة بها، أو آراء يطرحها في شعره، وتلك الاعترافات هي التي ستكون محور بحثي هذا، فالشعراء العباسيون اعترفوا بجملة أمور إنماز بعضها بالجرأة ؛ وبعضها الآخر بالصراحة – كما سنرى- .

وممّا تجدر الاشارة إليه هو أنّ الاعتراف لا يعني بالضرورة أنْ يكون سيرة ذاتية للشاعر، وفي الوقت نفسه هو ليس حديثاً عن مذكرات الشاعر، كمل يفعل بعض الأدباء والسياسيين ورجال الأعمال في الوقت الحاضر، بل هو بوح مختصر عن بعض ما يفعله الشعراء في حياتهم، أو بما صرّحوا به من آراء اتسمت بالجرأة، كما ذكرت قبل قليل، فقد أعلنوا عن أمور وصرّحوا بها، في الوقت الذي تجنّب فيه ذكرها شعراء آخرون.

واقتضت طبيعة البحث أن يكون بناؤه على ثلاثة محاور رئيسة، كان الأول منها يرصد ما اعترفوا به من أمور تتعلّق بالشيخوخة والشيب ومساوئهما وكل ما يندرج تحتهما، في الوقت الذي تركزّت فيه الاعترافات بأكاذيبهم في مدائحهم في المحور الثاني، أمّا المحور الثالث، فقد اعتنى بما اعترفوا فيه بارتكابهم للذنوب التي افتخر بعضهم بارتكابها، في حين ندم بعضهم الآخر على فعلها، فضلاً عن تخصيص محور رابع للاعترافات الأُخَر التي تحدثوا عنها ولم يجمعها رابط واحد كما في المحاور الثلاثة الرئيسة.

المحور الأول- الشيخوخة والشيب:

تتابعت اعترافات الشعراء العباسيين المنبثقة أصلاً من تقدّمهم في السِّنِّ، وشعورهم بمساوئ الشيخوخة وآلامها، على الرغم من أنّ كثيراً من الشعراء لم يشيروا إلى تلك المساوئ في أشعارهم، إلّا أنّ نفراً من الشعراء اعترفوا بأمور عدّة، بدت لهم من طريق علامات الشيخوخة، أو التقدّم في السنّ، فدعبل الخزاعي – على سبيل المثال- يعلن عن أنّ الجهل قبيح في حال وصول الإنسان إلى سنِّ الأربعين، ولهذا السبب ينصح مَن يصل إلى تلك السّنّ بزجر قلبه عن كلّ ما يمكن أنْ يجلب له الإثم، حتّى إنْ كان ذلك القلب جموحاً، يقول:

الجَهْلُ بعد الأربعينَ قَبِيحُ
فَزَعِ الفؤادِ وإنْ ثناهُ جُمُوحُ[1]

وحين غدا الشاعر نفسه شيخاً طاعناً في السّنّ، رفض هدية ممدوحه أبي دلف العجلي، التي كانت جارية عذراء، وكان سبب الرفض – بحسب اعتراف دعبل – أنها لا تتناسب مع سنِّه، مشبهًا إيّاها بالجوزة بين فكّي رجل لا يملك أسناناً، فهو لا يستطيع كسرها، في كناية واضحة عن أمر معلوم، أَلَا وهو عدم قدرته على مغازلتها في مثل هذا العمر، وهذا اعتراف صريح من لدن الشاعر الذي قال:

اللهُ أجرى مِنَ الأرزاقِ أكثَرَها
على يَدَيكَ بخيرٍ يا(أبا دُلَفِ)
ما خَطّ (لا) كاتِباهُ في صَحِيفَتِهِ
كما تُخَطَّطُ (لا) في سائِرِ الصُّحُفِ
باري الرِّياحَ، فأعْطى وهي جارِيَةٌ
حتّى إذا وَقَفَتْ أعطى ولم يَقِفِ
ما يَصْنَعُ الشّيخُ بالعذراء يَمْلِكُها
كَجَوزَةٍ بين فَكَّيْ أَدرِدٍ خَرِفِ
إنْ رامَ يَكْسِرُها بالسِّنِّ تَثْلِمُهُ
وكَسْرُها راحةٌ للهائِمِ الدَّنِفِ[2]

وعلى الرغم من اعتراف ابن الرومي بأنه أصبح شيخاً وقوراً، وذكره أنّ النساء بَدَأنَ ينادينه بالعمّ والأب، وعلى الرغم من اعترافه بأنّ تلك الدعوة دعوة إجلال وتكرمة ؛ لكونها تدلّ على الوقار والاحترام، إلّا أنّه كان يتمنى لقباً آخر غير ذلك اللقب، في إشارة صريحة إلى عدم رضاه عمّا وصل إليه من السّنّ، إذ قال:

أصبحتُ شيخاً له سَمْتٌ وأُبَّهةٌ
يدعونني البِيضُ عَمًّا تارةً وأبا
وتلك دعوةُ إجلالٍ وتكرمةٍ
وددتُ أنِّي مُعْتَاضٌ بها لقبا[٣]

ويشبّه الشاعر ابن أبي الصقر الواسطي نفسه- حين طال به الأمد – بالجدار الواهي الذي دنا للسقوط، فتداركه أصحابه بما يسنده ويمنعه من السقوط، وذلك لأنّ الشاعر طعن في السّنّ، واستخدم العكّاز ليتمكّن من المشي، الأمر الذي اضطره إلى ذلك التشبيه الذي لا يدلّ إلّا على مساوئ الهرم والشيخوخة، فالحال النفسية هي التي دعته إلى القول:

صِرْتُ لَمَّا كَبُرتُ ثُمّ تَعَكّزْ
تُ وما بي شَيخُوخَةٌ مِن حَراكِ
كَجِدارٍ واهٍ أرادَ انقِضَاضاً
فَتَلَافَاهُ أهلُهُ بِسِماكِ[٤]

إنّ الحال النفسية التي يمرّ بها الشاعر في أثناء شيخوخته كانت دافعاً يحضّه على الاعتراف بنتائج التقدّم في السّنّ غير المرغوب فيها، فالشاعر السابق نفسه يعترف بأنّه أصبح مسكيناً في بيته؛ بعد أنْ بلغ الثامنة والثمانين من عمره، فهو لا يسمع، ولا يرى، الأمر الذي دفعه إلى الدعاء على نفسه بأن لا يبلغ سِنَّ التسعين، فضلاً عن دعوته بالرحمة لكل مَن يسمع دعاءَه ويقول (آمين)، وهذا يدلّ على أنّه لم يعد راغباً في الحياة وهو محروم من نعمة الصحّة، التي لا يشعر المرء بالسعادة من دونها:

بعدَ ثمانٍ وثمانِينا
في مَسْكَنِي قد صِرْتُ مِسْكِينا
لا أسمَعُ الصّوتَ ولا أُثْبِتُ الشْـ
ـشَخْصَ، فلا بَلَّغْتُ تِسْعِينا
وَيرحم اللهُ تعالى امْرَءًا
يَسمَعُ قَولي ، قال: آمِينا[٥]

وحين بلغ عُمر الشاعر أسامة بن منقذ تسعين عاماً، كان اعترافه أشدّ قسوةً ودلالة من اعترافات سابقيه، فهو يعترف بأنّه لم يعد ذا حول ولا قوّة، فالسنون الطوال أثّرت سلباً في يده ولسانه ومال إلى ذلك من أمور كان باستطاعته فعلها قبل بلوغه تلك السّنّ، لذا أخبرنا في مقابلة لطيفة بلاغيّاً، ومؤلمة معنويًّا، أنّ الأعداء لم يعودوا يخشون بأسه وسطوته، في الوقت الذي لم يعد فيه اخوانه يرجون نفعه ونصرته لهم، والسبب هو تقدّمه في السّنّ التي لم تعد تسمح له بما يجعله ضارًّا أو نافعاً، لذا يعترف بأن الإنسان الذي يدرك تلك السّنّ لا يرى خيراً في الدنيا، لكونه لا يُرجى لنفع ولا لضرّ، بحسب قوله:

كفى حَزَناً أنّ الحوادثَ قَصَّرَتْ
يَدِي ولسانِي عن نوالٍ وعن أمْرِ
فما يَخْتَشِي الأعداءُ بأسي وسَطوتِي
ولا يرتجي الاخوانُ نفعي ولا نَصْرِي
إذا نابَهُم خطبٌ فكلُّ استطاعَتِي
تَلَهُّبُ أنفاسٍ أحرَّ من الجَمْرِ
ولا خيرَ في الدُّنيا لِمِثلي ولو صَفَتْ
إذا كان لا يُرجى لنفعٍ ولا ضَرِّ[٦]

والشاعر نفسه يعترف – في مناسبة أخرى – بأنّ الموت أكثر راحة للإنسان الذي بلغ من الكبر عتيّا، فإذا تقوّس ظهره، وأصبح لا يستطيع المشي إلّا بالاستعانة بالعصا، فانّ الحياة واستمرار العيش لا يكون فيها إلّا التعذيب له، ولاشكّ في أنّ ذلك

الاعتراف لم يصدر عنه إلّا بسبب البؤس الذي يعيشه مع تلك السّنّ التي طالت به، ودفعته إلى القول متألّماً:

إذا تقوَّسَ ظهرُ المرءِ من كِبَرٍ
فعادَ كالقوسِ يمشي، والعصا الوترُ
فالموتُ أروحُ آتٍ يستريحُ بهِ
والعيشُ فيه له التّعذيبُ والضَّرَرُ[٧]

ويُعدّ الشيب أحد علامات الشيخوخة والهرم، وإنْ لم يكن حالاً عامة، إلّا أنّه – وبحسب رؤية أكثر الشعراء العباسيين – يعدّ أوضَح الأدلة على شيخوخة الإنسان الذي زارته نجومه، لذا نجد كثيراً من الشعراء في حال اعتراف بمساوئه حين يزورهم، ويحلّ ضيفاً في أعالي رؤوسهم، فكان الاعتراف بابتعاد النساء عن الشعراء المتجلّلين ببياضه أهمّ الاعترافات التي حصلنا عليها من طريق الحديث عن أبرز مساوئ الشيب، فأبو تمام كان احد الشعراء المعترفين بأنّ الشيب كان العامل الأبرز في ابتعاد النساء عنه، وذلك بعد أنْ وصفه بالداء الذي لا دواء له، فهو – بنظره – كالموت الذي لا يرجى الشفاء منه، والشيب – لديه – يشبه (الثغام) (نبات أبيض)، ومع ذلك البياض، رأى أنه حوّل حسناته إلى ذنوب عند النساء، ونراه يعترف بأنّهنّ ما عِبنه إلّا لكونه أمراً معيباً أصلاً، كما أنّهنّ لم ينكرنه إلّا لأنّه أمرٌ مستنكر أيضاً، فهو على قناعة بأنّ آراءهنَّ في الشيب سليمة تماماً، لذا يحتجّ لهجرهنّ له بسبب شيبه بأن الله تعالى يجعل المتقين في جنّته شباباً وليس شِيباً، وهذا – برأيه- دليل على أنّ الشيب غير مرغوب فيه، يقول:

كُلُّ داءٍ يُرْجَى الدَّواءُ له إلّـ
ـا الفَظِيعَين : مِيتةً ومَشِيبا|
يانسيبَ الثّغامِ ذنبُكَ أبْقى
حَسَناتِي عندَ الحِسانِ ذُنُوبا
ولَئِنْ عِبْنَ ما رَأينَ لَقَد أنْـ
ـكَرْنَ مُسْتَنْكَراً وعِبْنَ مَعِيبا
أو تَصَدَّعْنَ عن قِلىً لَكَفَى بالشَّيـ
ـبِ بيني وبينهُنَّ حَسِيبا
لو رأى اللهُ أنَّ للشيبِ فَضْلًا
جاوَرَتْهُ الأبرارُ في الخُلْدِ شيبا[٨]

ويرى ابن الرومي أنّ الشّيب – وإنْ كان قليلاً – سببٌ لابتعاد النساء عن صاحبه، وكما احتجّ أبو تمام لاعترافه السابق، احتجّ ابن الرومي هو الآخر لاعترافه هذا، فهو بعد اعترافه بابتعاد النساء عنه بسبب شيبه، سوّغ ذلك الابتعاد باحتجاج بليغ ومؤثّر في المتلقّي، وذلك حين أعلن عن أنّ القذاة التي تصيب العين، تغدو مؤلمة على صغرها، فهي غير قليلة في الألم الناشئ من وجودها في عين أحدهم، وكذلك الشيبة الواحدة – بحسب رأيه – في رأس الإنسان، فانّها تكون مسوِّغاً مقنعاً لابتعاد المرأة عمّن يتجلّل بها، إذ قال:

طرفتُ عيونَ الغانياتِ وربّما
أمالتْ إليَّ الطّرفَ كلَّ مميلِ
وما شبتُ إلّا شيبةً غير أنَّهُ
قليلُ قذاةِ العينِ غير قليلِ[٩]

ويعترف ابن المعتز بكرهه لنفسه حين بدا شيبه، لذا نراه لا يستغرب عدم حبّ النساء له مع الحال هذه، فاستفهامه الإنكاري عن كيفية حبّ النساء له؛ اعتراف بأنّهنّ على حقّ:

تولّى الجهلُ وانقطع العِتابُ
ولاحَ الشّيبُ وافتضحَ الخِضابُ
لقد ابغضتُ نفسِي في مَشيبي
فكيف تُحبنِي الخَوْدُ الكِعابُ[١٠]

ويكرّر أبو هلال العسكري فكرة ابن المعتز السابقة نفسها بعد قرن كامل من الزمن، فهو – بعد ايهامه المتلقي بأنه يتحدّث إلى صاحبيه طالباً منهما

عدم التعجّب من النساء؛ لكونهنّ عِبنَ عليه مشيبه، ويرى أنّهنّ ما عبنه إلّا لأنه شيء معيب – يبغض شيبه حين يراه في رأسه، فكيف يطلب من النساء أنْ يكون ذلك الشيب حبيباً إليهنّ؟!

فضلاً عن أنّ الألم الذي انتابه نتيجة كره المرأة له أو لشيبه، كان مدعاة له لتذكّر أيّام شبابه حين كان يتحلّى بالقوّة والنشاط، قائلاً:

فلا تعجبا أنْ يعبنَ المشيب
فما عبنَ من ذاك إلّا معيبا
إذا كان شيبي بغيضاً إليَّ
فكيف يكون إليها حبيبا
وقد كنتُ أرفلُ برد الشباب
قشيباً وأرفلُ وشياً قشيبا
إذا مِلتُ قضيباً رطيباً
وإنْ صِلتُ صِلْتُ قضيباً قضوبا[١١]

وعلى الرغم من سمّو نفس الشريف الرضي عن كلّ ما هو دنيء وفاسد، إلّا أنّه اعترف بعدم مبالاته بظهور الشيب في رأسه فيما لو دام له ودّ النساء، ولكنّ النساء يهربن بمجرد طلوع شيب الرأس، وذلك ما كان يؤلم الشاعر، وإنْ كان متّصفًا بأعلى مراتب الشرف، فهو القائل:

قالوا: الشيبُ ! فعِمْ صَباحاً بالنُّهى
واعْقُرْ مَرَاحَكَ للطَّروقِ الزّائِرِ
لو دامَ لي وُدُّ الأوانِسِ لَمْ أُبَلْ
بطُلُوع شَيْبٍ وابيضاضِ غدائِرِ
لكنّ شيبَ الرّأسِ إنْ يَكُ طالِعاً
عِندي فَوَصْلُ البِيضِ أوّلُ غائِرِ[١٢]

أمّا أخوه الشريف المرتضى، فإنّ أشدّ ما يؤلمه جرّاء حلول الشيب، هو تبدّل حال الحبيبة، فهو قبل نزول الشيب برأسه لم يكن ذا عيوب لدى النساء، ولكن بعد مشيبه بدأت النساء تخطّ عيوبه بأيديهنّ، فكان ذلك مدعاة لاعترافه بأحد أهم مساوئ الشيب، أَلَا وهو ابتعاد النساء وتغيّر حالهنّ بعد رؤيتهنّ للشيب برأس الشاعر، الذي قال متألماً على عمره الذي مضى:

وكنتُ رطيبَ الغصنِ قبل حلولِهِ
وغُصْنِيَ لَمّا شِبْتُ غير رَطيبِ
وما كنتُ ذا عَيبٍ وقد صرتُ بعده
تُخَطُّ بأيدي الغانياتِ عيوبي
فليس بكائِي للشّبابِ وإنّما
بُكائي على عُمْرٍ مضى ونحيبي[١٣]

وعلى الرغم من ابتعاد النساء عن الشعراء المتوّجين بالشيب، نجد بعضهم مصرًّا على الاستمرار بطريق الغواية والعبث، فلا ينوي التوبة من الذنوب، ولا يرعوي عن ممارسة الآثام، فابن المعتز – مثلاً- يعترف بأنه كسد في سوق النساء، بعد شيب شعره، إلّا أنّه بقي يحنّ إلى التصابي، ولا يريد السير في طريق الصلاح، فالمشيب يناديه ليمشي في طريق الفلاح، إلّا أنّه يعترف بسيره في الطريق المخالفة، أَلَا وهي طريق الغواية والرذيلة، قائلاً:

كَسَدْتُ وكنتُ أنفُقُ في المِلاحِ
وأمْسَى الرأسُ مُبيَضَّ النَّواحي
ولكنني أحِنُّ إلى التّصابي
وأنفُرُ من مُعاشَرةِ الصَّلاحِ
ويَدعوني المشيبُ إلى فلاحِي
فأمشِي القَهْقَرى نحوَ الفَلَاحِ[١٤]

ولذلك نجد أبا منصور الثعالبي مخاطباً نفسه، وداعيًا إيّاها إلى التوبة، واتباع سبل الرشاد، في أثناء رؤيته نجوم الشيب في رأسه، قائلاً:

أبا منصورٍ المغرورَ أقْصِرْ
وأبصِرْ طُرْقَ أصحابِ الرشادِ
ألستَ ترى نجومَ الشّيبِ لاحَتْ
وشيبُ المرءِ عنوانُ الفسادِ[١٥]

واعترف بعض الشعراء بأنّهم لجأوا لصبغ

الشيب من أجل التواصل مع النساء، في محاولة منهم لدوام القرب منهن، وعدم هجرهنّ لهم، وبذلك ظلوا مستمرين بارتكاب الذنوب، ولم تكن التوبة تخطر لهم ببال، ومن أولئك الشعراء يزيد المهلبي، الذي اعترف صراحة بذلك، محتجّاً لتواصله بارتكاب الإثم بالعود الذي ينجح تقويمه في أول إنباته، ولا يصلح ذلك بعد تصلّبه، فلا فائدة من تقويمه، قائلاً:

صبغتُ الرَّأسَ خَتْلًا للغواني
كما غَطَّى على الرَّيبِ المُريبُ
أُعَلِّلُ مرَّةً وأُساءُ أُخرى
ولا تُحصَى مِنَ الكِبَرِ الذُّنُوبُ
أُسَوِّفُ تَوبتي خمسينَ عاماً
وظَنِّيَ أنّ مثلي لا يَتوبُ
يُقَوَّمُ بالثِّقافِ العودُ لَدْناً
ولا يتقوَّمُ العُودُ الصَّلِيبُ[١٦]

غير أنّ الخضابَ لم يكن علاجاً ناجعاً في كثير من الأحيان، وذهب إلى هذا المعنى كثير من الشعراء العباسيين، إذ اعترفوا بعدم جدواه، فهو – لدى بعضهم – عذاب موكّل بعذاب، فالصبغ والشيب كذلك، ولكن الشعراء يلجأون إليه محاباة للنساء، فلولاهنّ لما كانوا يصبغون الشيب، ولأذعنوا له، كما يرى الشاعر محمد بن يحيى اليزيدي في قوله:

إنّ شيباً صلاحُهُ بالخِضابِ
لعذابٌ موكَّلٌ بعَذابِ
ولَعَمْرُ الإلهِ لولا هوى الـ
ـبيضِ وأنْ تشمئزَّ نفسُ الكعابِ
لأرحْتُ الخدَّينِ من وَضَرِ الخَطْـ
ـرِ وأذعنتُ لانقضاءِ الشّبابِ[١٧]

ويعترف ابن الرومي بعدم جدوى الخضاب، فسلطة الشيب سلطة عليا، لا يتمكن أحد من التغلب عليها، فالشيب هو المنتصر دوماً، لذا لم يستطع الصبغ ولا الحنّاء التغلب عليه ؛ لأنه سرعان ما يظهر بنصوله البيض الجديدة، ثم يضيف الشاعر في اعترافه أنّ الشيب قادر على محو صبغة الله (سبحانه وتعالى)، وهي صبغة السواد، ومن ثم فهو أقدر على محو الصبغة التي يصنعها الإنسان، قائلاً:

أَلَا أيهذا الشّيبُ سمعاً وطاعة
فأنت المُناوى – ما علمتُ – المظفَّرُ
أَبَى الخِطْرُ والحنّاء حربكَ إنَّهُ
بدا لهما- لاشكَّ- أنْ سوفَ تظهَرُ
إذا كنتَ تمحو صبغةَ اللهِ قادراً
فأنتَ على ما يصبغ الناسُ أقدرُ[١٨]

وجاء اعتراف ابن المعتز ليؤكد حقيقة عدم جدوى الخضاب مع الشيب، فهو (الشاعر) بعد إعلانه عن مجيء الشيب وقتله للشباب، يرى أن أفضل شيء يمكن أن يفعله للانتقام منه هو بوضع الخضاب عليه، لا ليتخلص من بياضه، وإنّما ليعذبه برائحته النتنة – بحسب قوله- فهو يعترف أن الشيب والحناء كليهما عذاب، فسلّط العذاب على العذاب، وهذا اعتراف بفشل محاربة الشيب من طريق خضابه، يقول:

فإنْ يكنِ المشيبُ طَرا علينا
وأودَى بالبشاشةِ والشّبابِ
فإنّي لا أُعذِّبُهُ بشيءٍ
أشَدَّ عليه من نَتنِ الخِضابِ
رأيتُ الشّيبَ والحِنّا عذاباً
فَسَلَّطْتُ العذابَ على العذابِ[١٩]

وحتّى إنْ خضَّبَ الشاعر شيبه، وتصوّر أنّه أخفاه وقضى عليه، نلاحظ أنّه سرعان ما يدرك تحوّله إلى شخص آخر لا يتناسب مع شخصه الحقيقي، وهذا مضمون اعتراف الشاعر منصور بن إسماعيل الفقيه، وذلك حين أعلن أنّه لو أراد ستر شيبه عن حبيبته، فسيكون شخصاً مختفياً وراء وجه مريب، وهذا مالا يريده الشاعر الذي قال:

هَبْني سترتُ مشيبي
تستُّراً عن حبيبي
فهل أروحُ وأغدو
إلّا بوجهٍ مُريبِ[٢٠]

وقد يستعين الشاعر بوسائل أُخَر لمحاربة الشيب سوى الخضاب والحنّاء، إلّا أنّه سرعان ما يدرك فشلها أيضاً، وهذا ما تكلّم عليه الشاعر أبو دلف العجلي، إذ استخدم المقراض لنتف الشيب إلى أنْ شعر بالتعب فأعفاه، ثم حاول النيل منه بقصّه مراراً وتكراراً حتّى تصوّر بأنه قد أفناه وقضى عليه، لكنه سرعان ما يظهر من جديد، وكأنّ الشاعر كان يربّيه، لا يحاربه ويحاول أنْ يفنيه، لذا لم يعد بوسعه فعل شيء أمام ذلك المتسلّط صاحب اللون الأبيض إلّا الاعتراف بعدم استطاعة محاربته، فتركه على حاله؛ بسبب التعب الذي ناله من محاولة التخلّص منه، إذ قال:

اشْتَعَلَ الرَأسُ فأخْفَيتُهُ
وكَلَّ مِقراضِي فأعفَيتُهُ
وكلّما حاولتُ قصَّا لهُ
ذذ وقلتُ في نفسيَ أفْنَيتُهُ
عاوَدَنِي من غَدِهِ طالِعاً
كأنّني بالأمسِ ربَّيتُهُ
أرومُ ما ليست لهُ حِيلَةٌ
أعيانيَ الشيبُ فَخلَّيتُهُ[٢١]

وتكلّم بعض الشعراء العباسيين على مساوئ الشيب الأُخَر، فهم بعد أنْ تأكّدوا من ابتعاد النساء عنهم بسببه، وحاولوا إخفاءه بطرائق عدّة، ولكن من دون جدوى، بدؤوا يفكرون بما هو أسوأ من ذلك، فقد تآلفوا معه، وكيّفوا أنفسهم للعيش بوجوده معهم، لذا رأوا أنّ وجود الشيب علامة للموت، أو قربه، فأدركوا أنّ ظهور الشيب يعني قرب الموت، أو أنّ الشيب هو رسول الموت، وأوّل شاعر عباسي يلقانا معترفاً بأنّ الشيب رسول الردى هو البحتري، الذي نراه نادماً- في أحد نصوصه – لأنّه جلا مرآته ؛ لكونها كانت سبباً لرؤية بياض شيبه الذي غزا رأسه وعارضيه، وبدا الشاعر متحسّراً على اعتداء المشيب على شبابه، ومن ثمّ أعلن عن اعترافه بأن الشيب رسول للموت، وبسبب ذلك الشعور نرى دوام تحسّره حين أيقن انّ الموت قريب منه:

جَلَوتُ مِرْآتي ، فيا لَيتَنِي
تَرَكْتُها لم أجْلُ عنها الصَّدا
كي لا أرى فيها البياضَ الذي
في الرّأسِ والعارِضِ منّي بدا
ياحَسْرتا ! أين الشبابُ الذي
على تَعَدِّيه المشيبُ اعْتَدَى ؟
شِبْتُ فما انْفَكَّ من حَسْرَةٍ
والشَّيبُ في الرأسِ رسولُ الرَّدى
إنّ مَدَى العُمْرِ قريبٌ، فما
بقاءُ نفسي بعدَ قُرْبِ المَدَى؟![٢٢]

وعلى الرغم من اقتناع الشاعر ابن بّسام بما آلت إليه حياته بعد المشيب، وإدراكه بأنّ أيّام الشباب ولّت وانقضت، إلّا أنه يتمنى لو أنّ أيّام الشباب تُباع لكي يشتريها ؛ لما فيها من السرور واللّهو، إلّا أنّه يعترف – في نهاية المطاف- بتوديعه لأيّام الصّبا، فليس بعد المشيب استمتاع بالحياة، وعليه الاستعداد لترك الحياة، والنظر إلى الدنيا بعين موّدع، فالموت آتٍ لا محالة بعد مجيء الشيب، فقال:

أقْصَرْتُ عن طَلَبِ البَطالةِ والصِّبا
لَمَّا عَلَاني للمَشِيبِ قِناعُ
للهِ أيّامُ الشّبابِ ولَهْوُهُ
لَوْ أنّ أيّامَ الشّبابِ تُباعُ
فَدَعِ الصِّبا ياقلبُ واسلُ عنِ الهَوَى
ما فِيكَ بعد مَشيبِكَ اسْتِمتاعُ

وانظُرْ إلى الدُّنيا بعينِ مُوَدِّعٍ
فلقد دَنا سَفَرٌ وحانَ وداعُ[٢٣]

ويصوّر أبو بكر بن دريد الأزدي الشيب بهيأة الصاحب الذي لم يكن يرجو الاقتراب منه، إلّا أنّه وجده أكرم صاحب بعد اللّقاءِ به على الرغم منه، وتمنّى عدم فراقه، بعد أنْ كان لا يودّ التقرّب منه، ولا غرابة في تمنّيه ؛ لأنّ فراق ذلك الصاحب (الشيب) له يعني موته ولا شيء سواه، والشاعر لا يرغب في الموت، وهذا يعني أنّه عدّ الشيب رسولاً للموت أيضاً كسابقيه حين قال:

ولي صاحبٌ ما كنتُ أهوى اقترابه
فلمّا التقينا كان أكرم صاحبِ
يعزُّ علينا أنْ يفارق بعدما
تمنيتُ دهراً أنْ يكون مجانبي[٢٤]

وفي بيتَي الأزدي مفارقة غريبة، تصوّر حال الإنسان عموماً، وحال الشاعر على وجه الخصوص، وتعبّر عن الشعور الخفي في طريقة التفكير بالشيب، وما سيؤول إليه حال الإنسان بعد مجيء ذلك الشيب، لاسيما التفكير بالموت.

وربما يكون اعتراف الشريف الرضي بقرب الموت بعد حلول الشيب ضيفاً برأس الإنسان، من أروع ما قيل في هذا المضمون، سواء من حيث الفكرة، أو من حيث طريقة التصوير من الناحية الفنية، على الرغم من الألم الموجود في أثناء رسمه للوحته، فهو يتحدث عن المنايا، ويرى أنّها تترصّد الإنسان صاحب الشيب أكثر من غيره، فتجعله هدفاً لنبلها المتواترة ؛ لكي تقضي عليه، ثمّ يسوّغ الشاعر لفكرته هذه، من طريق المنايا التي لا ترى الإنسان حين يتصف لون شعره بالسواد، ولكنها تهتدي إليه حين يبدو الضوء في شعره؛ بسبب البياض الذي صبغه، ثم يستدرك الشاعر بعد التعبير عن مضمون صورته السابقة، ويتمنى لو أنّ بإمكانه أنْ يفتدي سواد شعره بسواد عينيه، بل بسواد ضمائره ؛ لكي لا يكون هدفاً للموت، بحسب قوله:

وأرى المنايا إنْ رأتْ بك شيبةً
جَعَلَتْكَ مَرمَى نَبْلِها المُتواتِرِ
تَعْشُو إلى ضَوءِ المَشيبِ فَتَهْتَدِي
وتَضِلُّ في ليلِ الشّبابِ الغابِرِ
لو يُفْتَدى ذاك السَّوادُ فَدَيتُهُ
بسَوَادِ عَيْنِي بَلْ سَوَادِ ضَمائِرِي[٢٥]

ولم يبتعد اعتراف الشريف المرتضى عن اعتراف أخيه الرضي في رسم صورة الموت بعد مجيء الشيب، فهو الآخر يردّ على تساؤل أثاره الآخرون عن سبب كرهه للشيب، فما كان منه إلّا الإعلان عن اعترافه بقرب الموت ؛ لأنّ الشيب – برأيه – يرسم طريقاً واضحة للموت، الذي سيأتي إلى صاحب الشيب، في الوقت الذي يبتعد فيه عن صاحب الشعر الأسود، قال:

يقولون لي لِم أنتَ للشيبِ كارهٌ
فقلتُ طريقُ الموتِ عند مَشيبي
قَرِبتُ الرَّدى لما تَجَلَّلَ مَفرِقي
وكنتُ بعيداً منه غيرَ قريبِ[٢٦]

وإذا كان الشعراء السابقون قد عدّوا نزول الشيب في رؤوسهم بمثابة رسالة لهم، تعلن عن قرب موتهم، فإنّ بعض الشعراء لم يحتملوا – ولو بشكل مجازي – رؤية الشيب وهو يعلو رؤوسهم، فعدّوا الشيب والموت أمراً واحداً، فالشيب – لديهم – لا يختلف عن الموت بشيء، لذا كان البحتري لا يبالي بالموت حين رأى بوادره (الشيب) في رأسه ؛ لأنهما أمرٌ واحد، وذلك بعد وضع متلقيه بالصورة، حين اعترف له بمعاداته لمرآته ؛ لكونها سبباً رئيساً لرؤية شيبه الذي لا يختلف عن الموت، في حين كانت – سابقاً - تُريه شبابه الذي يعني له أنّ العمر طويل أمامه، فقال باكياً شبابه:

عادَيتُ مِرْآتي فآذَنْتُها
بالهَجْرِ، ما كانت وما كُنتُ
كانت تُرِيني العُمْرَ مُسْتَقْبَلاً
وهي تُريني الفَوتَ مُذْ شِبْتُ
واعْمُرا ! نَوحْاً لفقدانِه
سِيَّانِ عندي شِبْتُ أم متُّ![٢٧]

وشبَّهَ الشريف الرضي الشعرة البيضاء في مفرقه بالصبح حين يبدو نوره من خلال الظلام، وكان له قصد بليغ من وراء تشبيهه هذا، فلم يُرِد منه إلّا إخبار متلقّيه بأنه غير راغب في ذلك النور، فلا فرق لديه بين تلك الشيبة البارزة في شعره، ونزول السيف على رأسه، فكلاهما مؤلم، ثمّ يعلن عن سبب قوله هذا، المتمثّل بالحبيبة التي كان يلتقي بها وهو ينعم بريعان الشباب، في حين يلتقيها بعد مشيبه مع شعوره بالذلّ، بحسب قوله:

وشاعَتِ البيضاءُ في مَفرِقي
شَعْشَعَةَ الصُّبْحِ وَراءَ الظَّلاَمْ
سِيّانِ عندي أَبَدَتْ شَيبَةٌ
في الفَودِ أو طَبَّقَ عَضْبٌ حُسامْ
أَلْقَى بِذُلِّ الشَّيبِ مِن بَعدِها
مَن كُنتُ ألقاهُ بَذَلّ الغُلاَمْ[٢٨]

واعترف بعض الشعراء بمساوئ الشيب الأُخَر غير التي تحدّثوا عنها فيما سبق، فقد اعترف بعضهم بأنّ الشيب مرض، كما فعل أبو بكر بن دريد الأزدي، فبعد تشبيهه للشيب –الذي غزا رأسه بعد سنّ الخمسين- بدبيب الصبح في وسط الظلام، أعلن عن أنّ الشيب سقمٌ ولكن من دون ألم، ثم أعلن عن تعجّبه من المرض الذي لا يؤلم، قائلاً:

أرى الشّيبَ مُذْ جاوزتُ خمسينَ دائباً
يَدِبُّ دَبيبَ الصُّبحِ في غَسَقِ الظُّلَمْ
هو السُّقمُ إلاّ أنّه غير مؤلمٍ
ولَمْ أرَ مثل الشّيبِ سُقماً بلا أَلَمْ[٢٩]

وتراود الفكرة نفسها ذهن الصنوبري، فيصوغها شعراً يعترف فيه بأنه مريض بمرض الشيب، ولكنه لا يشعر بأيّ ألم كسائر الأمراض، لذا تدعوه حاله النفسية المريرة إلى تشبيه الشيب بالضيف الذي يرفض الرحيل إلاّ بترحيل صاحبه عن الدنيا، يقول:

أُدعَى صحيحاً وبي من شَيبتي مَرَضٌ
مُذْ جاوزتُ خمسينَ دائباً
وذو المشيبِ مريضٌ ما به وَجَعُ
ضيفٌ مُقيمٌ بدارٍ غيرِ مُنقَلِعٍ
يوماً عن الدارِ إلاّ يومَ تنقلعُ[٣٠]

كما أنَّ هناك مجموعة من الأمور الناتجة عن الشيب، كان قد اعترف بها بعض الشعراء العباسيين، منها- مثلاً- أنّ الشيب له منظر جميل في العيون؛ لكونه أبيض ناصعاً، إلاّ أنّ تلك الصفة تغدو سوداء فاحمة في القلب، أي في قلب حامل الشيب، وصرّح بالمعنى هذا الشاعر أبو تمام، إذ قال:

له منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصِعٌ
ولكنه في القلبِ أسودُ أسفَعُ[٣١]

ويُمنّي ابن المعتز نفسه بالصبر حين ذهاب شبابه، بعد يأسه من خضاب الشيب، الذي يبدو دوماً، فضلاً عن سنِّه (سنّ الشاعر) التي تدلّ على وجود الشيب حتى إنْ كان مخضّباً، ولذلك يعترف الشاعر برحيل زمن الشباب واستحالة عودته، فيستخلف الله (سبحانه وتعالى) بعد ذهابه، قائلاً:

لابُدّ للشَّيبِ أنْ يَبدو وإنْ حُجِبا
عُدُّوا سِنِّي تَرَوا شَيبي وإنْ خُضِبا
مَضَى الشّبابُ فلستُ الدَّهرَ لاقِيَهُ
استخلِفُ اللهَ صَبراً مِنه إذْ ذَهَبا[٣٢]

وحين ظهر الشيب في عارِضَي السّريّ الرّفّاء، توهّم الشاعر أنّه ازداد ذلًّا بسبب وجوده، فاعترف بقبح صورته حين رآها في المرآة، فما كان منه إلّا البصق عليها؛ لكونها أرته منظراً لم يرغب

في رؤيته يوماً، فقال:

عَرَضَ المشيبُ لعارِضَيَّ فزادَنِي
ذلًّا وزادَ ذوي المَحاسِنِ تِيها
وأرتْنِيَ المِرآةُ يوماً صُورَتي
فَطَفِقْتُ أبصقُ للسماجةِ فيها [٣٣]

إنّ ألفاظاً تُستَعْملُ في نصٍّ شعري مثل: (الذلّ، ابصق، السماجة) كفيلة في توصيل الرسالة المؤلمة التي دعت الشاعر إلى استعمالها؛ فهي تعكس مزاجه السيئ الذي كان يمرُّ به بوجود الشيب رفيقاً له، الأمر الذي دعاه إلى الاعتراف بقبح منظره حين رؤيته بالمرآة التي أصبحت من أعدائه.

وتبدو مأساة بعض الشعراء أكبر من غيرهم، حين تغزو جيوش الشيب رؤوسهم وهم ما زالوا في ريعان الشباب، ومنهم الشريف الرضي، الذي أعلن عن نزول الشيب في رأسه وهو في العشرين من عمره، فكان سبباً في ابتعاد العيش الرطيب، لذا يرى الشاعر أنّ بصره أُصيب بالقذى حين اختفى سواد شعره؛ لأن سواد الشعر كان سابقاً ذا ضوء ساطع بنظره، بخلاف ابيضاضه الذي حوّل حياته إلى ظلام دامس، في كناية حزينة عن ذهاب أيام الصبا والشباب وما يترتب عليها من بهجة وسرور، وإنْ كان الرضي بعيداً عن تلك الحياة العابثة- ومن ثم يعترف الشاعر بأنّ عمر الفتى الحقيقي في أيام شبابه فقط؛ لأنّ نزول الشيب في رأسه يعني انقضاء العمر:

عِشرُونَ أعجَلْنَ الصِّبا وجُزْنَ بي
غاياتِهِ، وما قَضَينَ وَطَرِي
فكيفَ بالعَيشِ الرّطِيبِ بعدما
حَطَّ المشيبُ رحلَهُ في شَعَرِي
سَوادُ رأسٍ أمْ سوادُ ناظِرٍ
فإنّه مُذ زالَ أقذَى بَصَرِي
ما كان أضْوَى ذلِكَ اللّيلَ على
سَوادِ عِطْفَيهِ، ولمّا يُقْمِرِ
عُمْرُ الفَتى شبابُهُ، وإنّما
آوِنَةُ الشّيبِ انْقِضاءُ العُمُرِ [٣٤]

وفي الوقت الذي يتخيّل فيه مهيار الديلمي أنّ هناك مَن يخبره أنّ المشيب ملبس جديد، نراه سرعان ما يطلب منه أخذ ذلك الملبس الجديد، بشرط أن يردّ له الثوب البالي، كناية عن الشباب الراحل الذي يرغب الشاعر في استرداده، إذ قال:

قالوا: المشيبُ لِبسةٌ جديدة
خذوا الجديدَ واستردّوا لي الخَلَقْ [٣٥]

ولا شكّ في أنّ هذه الصورة قادرة على إثارة مشاعر الحزن والأسى على الشباب الراحل، وتعكس معاناة فاقده، وهي ذات دلالات عميقة تظهر عمق المعاناة والوجع الدفين الذي عانى منه الشاعر وغيره من الشيب وسلبياته؛ إلى الدرجة التي تجعله يفضّل البالي على الجديد، ولو على سبيل المجاز، وليس الحقيقة كما رأينا.

ويعدُّ الشريف المرتضى نزول الشيب فضيحة للشباب، فضلاً عن أنّه يتقصّد جرح القلب مرّات عدّة ؛ ليزيد الألم عند صاحبه، ويتوهّم الشاعر – من منظار نفسه- أنّ الأعداء شمتوا به واشتفوا، بسبب تجلّل رأسه بالشيب، وذلك ممّا لا وجود له في أرض الواقع إلّا لدى الشاعر الذي اعترف بتلك الأمور؛ بسبب شعوره بظلم الشيب حين يهجم على شَعره، فدعاه إلى القول:

فَضَحَ الشَّيبُ شبابي فافتضحْ
ونَكا قلبي به ثمّ جَرَحْ
جدّ لي من بعد مزحٍ صبغُهُ
ورَكوبُ الجدِّ من كان مَزَحْ
فاشتفى منّي عَدُوِّي واكتفى
ورأى كُلَّ الذي كان اقترحْ [٣٦]

كانت تلك أبرز مضامين اعترافات الشعراء العباسيين المتعلقة بالشيخوخة والشيب، بدءًا بابتعاد

النساء، وانتهاءً بالاعتراف بمساوئه المختلفة التي تباينت من شاعر إلى آخر، فضلاً عن الأمور المشتركة التي تطرّقنا لها فيما مضى.

المحور الثاني- الكذب في المدح:

أصبح غرض المديح غرضاً مكشوفاً للجميع في سماته وأساليب نظمه وأهدافه، فهو غرض تكسّبي، يرغب الشعراء – من ورائه – في الحصول على الجوائز المادية أو العينية، وهذا كفيل بتواجد كثير من الأكاذيب فيه، فكثرة الدراسات حوله، جعلت هذا الأمر واضحاً، وغير قابل للنقاش، مع وجود الاستثناء طبعاً، ومن الأدلة التي تؤكّد زعمنا هذا، اعتراف كثير من الشعراء العباسيين – على وجه الخصوص - بأكاذيبهم التي دبّجوها في مدائحهم، ففي بعض الأحيان يمرّ الشاعر بحالة نفسية تتصف بالإحباط، سواء من الممدوح أو من غيره، تدفعه إلى ذلك الاعتراف الصارم، لاسيما للممدوحين بالدرجة الأساس، وتندرج تلك الاعترافات في ضمن أفكار معيّنة يتحدث عنها الشعراء، منها الاعتراف صراحة بأنّ بعض المديح كذب، أو كلّه في أحايين أُخَر، كما فعل بكر بن النطاح، الذي اعترف صراحة بأنّ مدحه لأبي دلف كان كذباً، وذلك بعد أنْ نسب الكذب إليه، وجعله أشدّ الناس كذباً، قائلاً:

أبا دُلَفٍ يأكذبَ النّاسِ كُلِّهِمْ

سواي فإنّي في مديحك أَكْذَبُ[٣٧]

وعلى الرغم من أنّ البحتري كان شاعراً لحوحاً، طمّاعاً، كثير الرغبة في استحصال الأموال من ممدوحيه بشتّى الطرائق، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من الاعتراف بأنّ بعض مدائحه هو وسواه كانت تحمل صفة الكذب، وذلك في أثناء مدحه لإسماعيل بن بلبل، فحين فرغ من مدحه، اعترف في آخر بيت من قصيدته بأنّ بعض المدح كان يتكوّن من الكذب ولا شيء سواه، فقال:

ولم أُحابِكَ في مَدْحٍ تُكَذِّبُهُ

بالفِعْلِ منك، وبعضُ المدحِ من كَذِبِ[٣٨]

ولأبي الطيّب المتنبي فلسفة مختلفة مع هذا الغرض، فهو في هجائه لكافور، يعترف بأنّ الشعر الذي مدحه به سابقاً، لم يكن مدحاً له على وجه الحقيقة، وإنّما كان هجاءً للناس كلّهم ؛ وربما كان شعوره المتألّم من الناس الذين أجبروه على تقديم مدائحه لكافور، مع أنّه لا يستحقّها، سبباً رئيساً دفعه إلى نسبة الهجاء لهم من وراء مدحه لكافور، قال:

وشِعْرٍ مَدَحْتُ به الكَركَدَنْـ

نَ بينَ القَرِيضِ وبينَ الرُّقى

فما كان ذلكَ مدحاً لهُ

ولكنّه كان هَجْوَ الوَرَى[٣٩]

وقد كان أبو الطيّب قد مدح كافوراً في وقت سابق، معلناً عن أنّ مديحه له صادق، وليس فيه كذب، إلّا أنّه اعترف ضمناً بأنّ بعض المديح من لدن الشعراء يتضمّن الحقّ والباطل، بمعنى أنّ بعضه يكون كذباً، وذلك حين قال:

وإنّ مَديحَ النّاسِ حقٌّ وباطِلٌ

ومَدْحُكَ حَقٌّ ليس فيه كِذابُ[٤٠]

وفي أحايين أُخَر يأتي الاعتراف بالكذب في المدائح التي يقدّمها الشعراء لممدوحيهم متعالقاً بالجزاء القليل الذي لا يملأ عيون المادحين، فلا يصدر عنهم إلّا الإعلان عن أكاذيبهم في القصائد المدحية، وتسويغ العطاء القليل الذي حصلوا عليه بذلك الكذب، مثلما فعل بشار بن برد في قوله معترفاً بكذبه في مدحه:

إنِّي مَدَحْتُكَ كاذِباً فأَثَبْتَنِي

لَمّا مَدَحْتُكَ ما يُثابُ الكاذِبُ[٤١]

ويلجأ أبو تمّام إلى أسلوبه الذي يعتمد المفارقة والثنائيات المتضادّة؛ من أجل توصيل

رسالة هجائية إلى أحد مهجوّيه من البخلاء، فيعترف في بيتين له بكذبه في مدحه سابقاً، الأمر الذي أدّى بالممدوح السابق، والمهجوّ حالياً إلى إعطائه شيئاً قليلاً لا يتناسب مع شعر أبي تمّام، ونلمس في هذين البيتين مقداراً كبيراً من السخرية المؤلمة بحقّ المهجوّ، الذي صوّره الشاعر بالرجل العادل الذي لا يقبل قول الكذب – من باب الاستهزاء- ولذلك لم يجزل في عطائه للشاعر ؛ لمعرفته بكذبه في مديحه:

أوَّلُ عَدْلٍ منك فيما أَرَى

أنَّكَ لا تَقْبَلُ قَولَ الكَذِبْ

مَدَحتُكمْ كذِباً فجازَيتنِي

بُخْلاً لقد أنْصَفْتَ يا مُطَّلِبْ[٤٢]

إذن، العطاء القليل من لدن الممدوح دليل على المدح المحشوّ بالأكاذيب، بحسب اعترافات الشعراء أنفسهم.

وقد يتحوّل المديح إلى هجاء في حال لم يجزل الممدوح في عطائه أيضاً، إذ ذهب بعض الشعراء إلى عدّ المديح هجاءً للممدوح إذا لم يمنحهم ما كانوا يتوقعونه منه، وهذا ما صرّح به أبو تمام فعلاً، حين خاطب أحد ممدوحيه، لأنّه لم يُثِبْهُ مقابل قصيدته المدحية، مخبراً إيّاه بأنّه يفرح بالمدح، ولكنه لا يرغب في ايذاء أمواله، في كناية عن بخله وعدم بذله لها، بمعنى أنّه لم يُكرِم الشاعر، الذي اعترف وعرّف ممدوحه أيضاً بأنّ المدح إذا لم يكن له مقابل في العطاء، فانه يغدو هجاء لصاحبه:

وأنت المرْءُ تَعْشَقُه المَعالي

ويَحكُمُ في مَواهِبِهِ الرّجاءُ

فإنّك لا تُسَرُّ بيومِ حَمْدٍ

شُهِرْتَ بهِ ومالُكَ لا يُساءُ

وإنَّ المَدحَ في الأقوامِ مالم

يُشَيَّعْ بالجزاءِ هوَ الهِجاءُ[٤٣]

وتتكرر الفكرة نفسها في شعر ابن الرومي، باستثناء الاختلاف في الألفاظ، فالشاعر يرى – أيضاً- أنّ المدح إذا لم يُقابل بالثواب من الممدوح فهو هجاء له ؛ لأنّ الناس سيعلمون إذا ما أكرمه الممدوح على شعره أو لم يكرمه، وهذا لا يدلّ إلّا على أنّ الشاعر لا يمدح إلّا من أجل التكسب في أكثر الأحيان، ممّا يعني أنّه كثيراً ما يُجانب الصواب في مدحه من أجل الحصول على الأموال والهدايا:

إذا ما المدحُ سارَ ثوابٍ

من الممدوح فهو له هجاءُ

لأنّ الناسَ لا يَخفى عليهم:

أَمَنْعٌ كان منهُ أم عطاءُ[٤٤]

ويُبدع ابن الرومي في التصوير أكثر من السابق، وإنْ كان المعنى نفسه، إلّا أنّه يكسوه ثوباً جديداً، وذلك حين يصرّح عن أنّ الممدوح إذا لم يجزل له مقابل شعره في مديحه، فيكفيه أنّه سيبدو هاجياً له أمام الناس؛ لأنهم يدركون أنّه يكذب في مدحه له، بمعنى أنّ الاعتراف لم يصدر عنه هذه المرة، بل عن الناس، فهم الذين يعترفون بأنّ مدحه كاذب بحقّ ممدوحه، قال:

إذا ما مدحتُ المرءَ ولم يُثِبْ

مديحي، وحقُّ الشّعرِ في الحكم واجبُ

كفاني هجائيهِ قيامي بمدحه

خطيباً، وقولُ الناس لي: أنتَ كاذِبُ[٤٥]

وإذا كان ابن الرومي قد جعل الناس مدركين لحقيقة مديحه الكاذب، فانّ السّريّ الرّفّاء لجأ إلى أسلوب (التشخيص) ليوضّح حقيقة الكذب في مديحه، والتشخيص هو» شمول الجمادات والمعنويات والطبيعة والحيوانات بالسّمات الإنسانية من كلام وأفعال وأحاسيس، فتبدو كأنّها أشخاص حقيقية «[٤٦]، أقول: لجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب لتوضيح حقيقة الكذب في المدائح، لإضفاء مصداقية أقوى ممّا لو جاءت تلك الحقيقة على ألسنة الشعراء أو

أولئك الناس فقط، فنراه يصوّر مديحه لأحد الوجهاء من أهل الشام، الذي بخل عليه ولم يكرمه، الأمر الذي أشعره بخيبة الأمل، فاذا ما أراد الشاعر الكذب في قوله: إنّه أكرمه، يصرّح قميصه ويعترف بكذب ادّعائه، فالشاعر يكذب في المديح، ويكذب في موقف الممدوح منه، لولا إنطاقه لقميصه الذي أبان الموقف الحقيقي لذلك الممدوح، الذي قال الشاعر فيه:

مَدَحْتُ أبا جَعفَرٍ
وقلتُ: شريفُ العَرَبْ
فأسلَمني بُخْلُهُ
إلى خَيبَةِ المُنقَلَبْ
وأبْدَى على بابِهِ
تَجَمُّلَ أهلِ الأَدَبْ
إذا قلتُ: قد جادَ لي
يقولُ قمِيصي: كَذِبْ[٤٧]

ولمجموعة أُخرى من الشعراء العباسيين آراء أُخَر، تَصُبُّ كلّها في باب الاعتراف بالكذب المرسل في المدائح، ولكن لكل شاعر منهم أسلوبه في بثّ تلك الحقيقة واثباتها في أذهان المتلقين، فابن الرومي – مثلاً- حين يهجو أحدهم ممّن مدحهم سابقاً، يلجأ إلى مخاطبته ومحاججته قائلاً له: إنْ كنت تجهل حقّي ولا تعتذر، وتردّ مدحي ولا تكافئني عليه، فعليك إعطائي ثمن ما كتبته من الشعر، أو ادفع لي كفّارة الكذب الذي ورد فيه، وهذا اعتراف صريح من الشاعر بالكذب في مدائحه، يقول:

إنْ كنتَ من جهلِ حقّي غيرَ معتذرٍ
وكنتَ من ردّ مدحي غير متَّئِبِ
فأعطني ثمنَ الطِّرس الذي كُتِبَتْ
فيه القصيدةُ أو كفارةَ الكذبِ[٤٨]

ويبدو أنّه أُعجب بهذه الطريقة الهجائية ؛ لأننا نراه يكرّرها في مناسبة أُخرى؛ لكونه لم يَنَل من ممدوحه ما كان يتوقعه، بل حصل على الإثم فقط، لذا طالبه بأجرة الخط، أو كفارة الكذب في تلك القصيدة، قائلاً:

مدحتُكُم طمعاً فيما أُؤمِّله
ذ فلم أنلْ غيرَ حظ الإثم والوصبِ
إنْ لم تكن صلةٌ منكم لذي أربٍ
فأجرةُ الخطِّ أو كفّارةُ الكذبِ[٤٩]

ومع أنّ النّصّين السابقين يوضّحان اعتراف الشاعر بكذبه في مدائحه، إلّا أنّ طريقة نظمهما تدلّ على إبداع الشاعر في فن الهجاء بأسلوب أصيل ومؤثر من ناحيتي الموضوع والصورة على السواء.

ويبدو الندم واضحاً في بيتَي الشاعر ابن بسام، الذي يعلن عن تملّقه سابقاً لذوي الجاه والسلطان ؛ رجاءً للأموال التي لديهم، إلّا أنّه يعترف بخطئه، معلناً عن أسفه لذلك التملّق، وذلك الكذب، لأنه لم ينلْ منهم شيئاً يجعله يحقّق ما كان يؤمّله منهم، إلّا ذلّ السجود الذي آلمه، وإنْ دلّ ذلك الندم والتحسّر على شيء، فانّه يدلّ على الاعتراف الخفي بالكذب في كل ما سطّره من مدائح، والسبب واضح، وهو التكسّب الذي لم يَطُله الشاعر، الأمر الذي دفعه إلى الندم الواضح في قوله:

سَجَدْنا لِلقُرودِ رَجاءَ دُنيا
حَوَتْها دُونَنا أيدِي القُرُودِ
فما نالَتْ أنامِلُنا بشيءٍ
عَمِلْناهُ سِوَى ذُلِّ السُّجُودِ[٥٠]

ولعلّ هذا الشعور هو نفسه الذي دعا الشاعر الصنوبري إلى تشبيه جهة النعل المقابلة للأرض بوجه الشاعر، وذلك حين أهداه رجلٌ نعلاً، فذلك التشبيه يدلّ على أنّ وجه الشاعر صفيق أو قوي، فهو (الشاعر) لا يستحي من بذل الصفات الحسنة لِمَن لا يستحقّها من الناس، أقول: ربما كان الشعور بالذنب والندم هو الذي دفعه إلى قوله هذا:

بخيرِ الهدايا جُدْتَ ياخيرَ مُنْتَمٍ
إلى خيرِ بادٍ أو إلى خيرِ حاضِرِ
بمحذوَّةٍ حَذْوَ اللِّسانِ شبيهةٍ
أوائِلُها من حُسْنِها بالأواخِرِ
مُخالَفَةِ الوجهينِ قام خلافُها
مقامَ اتفاقٍ عند أهلِ البصائِرِ
فأمّا الذي من فوقها وَجْهُ عاشقٍ
وأمّا الذي من تحتها وَجْهُ شاعِرِ[٥١]

وما أروع اعتراف أبي العلاء المعري بهذا الشأن، وللأسف جاء متأخراً ولم يستفد منه الشعراء العباسيون المتقدمون عليه زمنياً، فلربما – لو اطلعوا عليه هم والممدوحون أيضاً- تغيرت فلسفة الطرفين (المادح والممدوح)، بخصوص المدائح التي تجاوزت الخطوط الحمر كلها، فهو (أي المعرّي) يعترف بأن المادح إذا قال عنه شيئاً ايجابياً لا يتّصف به، فهذا يعني أنّه هجاه في الحقيقة، ولهذا السبب أعلن عن استيائه فيما لو حدث ذلك فعلاً، فلؤم الطبيعة الإنسانية وحده الذي يجعل الممدوح راضياً بأنْ يصفه الآخرون بما ليس فيه، وفي ذلك التوجّه درس مفيد للشعراء الكاذبين كلّهم، لعلّهم يستفيدون منه، إنْ بقي لديهم شيء من الضمير والحياء، يقول المعري عن حقيقة المديح الممتلئ بالكذب:

إذا أثنى عَلَيَّ المرءُ يوماً
بخيرٍ ليسَ فيَّ فذاك هاجِ
وحقيَ أنْ أُساءَ بما افتراهُ
فلؤمٌ من غريزتي ابتهاجي[٥٢]

إذن، تبيّن لنا ممّا سبق من النصوص الشعرية، ومواقف الشعراء، أنّ المدائح كانت مبنية –في الأكثر – على الكذب، ولشدّة ذلك الكذب، اعترف به بعض الشعراء، وصرّحوا به، وأعلنوا عن وجوده من طريق أساليب مختلفة، ومضامين متعدّدة، كما رأينا.

المحور الثالث- ارتكاب الذنوب:

تبدو لنا الاعترافات في هذا المحور أكثر جرأة ممّا كان في المحورين السابقين، إذ ليس من السهل على أيّ إنسان أنْ يعترف بارتكابه الذنوب، فكيف بالشعراء الذين يعلنونها على الملأ بأعلى أصواتهم ؟!

إلّا أنّ هذه النوعية من الشعراء تختلف عن الآخرين ؛ لكونهم اندمجوا في خانة الرذيلة والتهتّك، فهم لا يستحون من الله (سبحانه وتعالى)، فكيف لنا أنْ نطالبهم بالحياء من الناس وهم على ما هم عليه من الإباحية والمجون؟

وينقسم الشعراء في اعترافاتهم في المحور هذا على قسمين، أمّا القسم الأول، فهم الشعراء الذين اعترفوا بارتكابهم للذنوب، وبعضهم مازال يرتكبها في أثناء قوله الشعر الذي يصرحّ فيه بعناده وعدم توبته، في حين كان القسم الثاني من أولئك الشعراء يعترف بارتكابه للذنوب، ولكنه يعتمد رحمة الله تعالى ومغفرته، ويسعى إلى التوبة، فضلاً عن إعلان الندم على ارتكابها، وسنفصّل الحديث عن القسمين فيما سيأتي.

وأوّل شعراء القسم الأول أبو نواس الذي عُرِفَ بفسقه ومجونه وهتكه للأعراض من دون رادع، فهو يعترف بأنّه شبع من المعاصي، فقد أدمن ارتكابها حتى شبعت المعاصي منه أيضاً، إلّا أنّه قال ذلك في معرض الردّ على مَن أغراه بالمعاصي في مرحلة عمرية متأخرة، فرفض الإذعان له ؛ مسوِّغاً عدم إذعانه بأن ارتكاب الأفعال القبيحة لم يعد مناسباً مع سنّه، فقال:

أيا مَنْ بين باطيةٍ وزقّ
وعودٍ في يَدَيْ غانٍ مُغَنٍّ
إذا لم تنه نفسك عن هواها
وتُحسنْ صونَها فإليكَ عنِّي

فانّي قد شَبِعْتُ من المعاصي
ومن إدمانها وشَبِعْنَ مِنِّي
ومَن أسوا، وأقبحُ من لبيبٍ
يُرى مُتَطَرِّباً في مثل سِنِّي[٥٣]

ويعترف ربيعة الرقي بمعصيته لله (سبحانه وتعالى) بسبب علاقته بامرأة تُدعى (رخاص)، فضلاً عن معصيته للناس جميعاً من الأقارب والأباعد، فيقول:

أنا للرَّحْمنِ عاصي
لجُنوني برُخاص
ثمّ للنّاس جميعاً
من أدانٍ وأقاصي [٥٤]

وبعد هذين البيتين يُسهب الشاعر في الحديث عن كثرة لهوه وشربه الخمرة وفسوقه[٥٥]، وفي نهاية قصيدته يعترف بأنّه لا يهتمّ إلّا بما يُغضب الله تعالى، فحياته كلها سعي لتحقيق المعاصي، قائلاً:

ذاكَ من مَعْصِية الـ
ـهِ، وهَمّيَ في المعاصي[٥٦]

ويدوّن ديك الجن اعترافه بارتكاب الذنوب في أيّام شبابه، بل والتهاون في تلك الذنوب، حين مدح أيام الشباب، بوصفها الباحث الحقيقي والداعي الأول لتشجيع قليلي الايمان – من أمثال الشاعر- على المعصية وارتكاب الآثام، يقول:

للهِ دَرُّ في الشَّبيـ
ـبَةِ من أخي لَهْوٍ أريبِ
أيّامَ يحملني الشّبابُ
على التَّهاونِ بالذّنوبِ[٥٧]

ولعلّ القارئ يشعر بالأسف حين يطّلع على أبيات نظمها ابن رشيق القيرواني، إذ بدا فيها متمادياً في كرهه لشهر الصيام، فهو يعلن عن شيء أمام أصحابه، ويضمر شيئاً آخر في داخله، فعند وصفه لهلال الشهر الفضيل أوّل طلوعه، تمنّى أن يكون سحاباً ؛ ليحجبه عن الرؤية، ثم تحدّث عن نفسه بأنّه رحَّب بمجيء الشهر علناً أمام الناس، إلّا أنّه لم يرحِّب به في قرارة نفسه؛ فهو يُظهِر حبّه للشهر علناً، ولكن يتحدث في داخل نفسه عن كرهه العميق له، لا لشيء سوى أنّه عدوٌ لشرب الخمرة، ولعلّ هذا النص من أسوأ النصوص الشعرية التي يعلن فيها أصحابها عن معاصيهم، وعن عدم طاعتهم لله تعالى، إذ يقول:

لاحَ لي حاجِبُ الهِلَالِ عَشِيًّا
فَتَمَنَّيتُ أنَّني مِن سَحابِ
قُلْتُ أهلاً وليس أهْلاً لما قُلْـ
ـتُ ولكنْ أسْمَعْتُها أصحابي
مُظْهِراً حُبَّهُ وعِندِيَ بُغْضٌ
لِعَدُوِّ الكؤوسِ والأكوابِ[٥٨]

أمّا شعراء القسم الثاني، فأنّهم على الرغم من تسجيل اعترافاتهم بارتكاب الذنوب، إلّا أنّهم بَدَوا نادمين فيها، ويتوسّلون الله تعالى لغفران ذنوبهم التي اقترفوها سابقاً، وهم بذلك أفضل حالاً من سابقيهم، فأبو الهندي – على سبيل المثال- يرى أنّه إذا التزم بأداء صلواته كاملة كلّ يوم، فانّ الله تعالى سيغفر له فسوقه السابق، وهذا يعني أنّه اعترف بتقصيره من جهة أخرى، إذ قال:

إذا صَلَّيتُ خمساً كلَّ يومٍ
فانّ اللهَ يغفر لي فُسُوقي[٥٩]

وكانت زهديات أبي نواس البطل الرئيس في هذا القسم الذي دُوِّنَت فيه اعترافات الشعراء بارتكاب الذنوب، وطلب مغفرة الله (عزّ وجلّ) لهم، ففي أحد نصوصه نراه متحسِّراً ونادماً على أيام قضاها عابثاً لاهياً، معترفاً بأنّه أساء فيها، ولكنه سرعان ما يرجو الله تعالى ويدعوه إلى الصفح عنه والمغفرة، فضلاً عن اعتذاره منه، قائلاً:

دَبَّ فِيَّ الفَناءُ سَفلاً وعُلوا
واراني أموتُ عضواً فعضوا
ليس تمضي من ساعةٍ بي إلّا
نَقَصَتْني بمرِّها بيَ جُزوا
ذهبت جِدَّتي بحاجةِ نفسي
وتَذَكَّرتُ طاعةَ اللهِ نِضْوا
لهف نفسي على ليالٍ وأيا
مٍ تجاوزتُهنَّ لعْباً ولَهْوا
قد أسأنا كُلَّ الإساءةِ فاللـ
ـهُمَّ صَفْحاً عنّا وغَفْراً وعَفْوا[٦٠]

وهو يتحدث عن معصيته لله (عزّ وجلّ) ، من طريق أنّه حَلَّلَ لنفسه ما حرّمه اللهُ تعالى من أمور، فضلاً عن تذكّره لليالي اللهو والمعصية، ثم يطلب العفو من خالقه، من طريق الاستفهام الإنكاري، الذي يزيد من قوّة الطلب، وتأكيد توبته، وطلب العفو من اللهِ تعالى، في قوله:

كم لَيلةٍ قد بتُّ ألهو بها
لو دام ذاك اللَّهو للَّاهي
حَرَّمها اللهُ وحَلَلتُها
فكيف بالعفو من اللهِ[٦١]

وأبو نواس بعد وصف حياته اللّاهية الماجنة في شبابه، يحاول الاعتذار منها، والتنبيه على الخلاص وعدم الدوام عليها، ويتحدّث عن كيفية التوبة منها، ويُمْنّي نفسه – في نهاية مقطوعته – بحسن عفو اللهِ تعالى على ما بدر منه، وذلك في قوله:

انقضَتْ شِرَّتي فعِفتُ الملاهي
ورمى الشّيبُ مَفرقي بالذَّواهي
ونَهَتني النُّهى فمِلتُ إلى العَذْ
لِ وأشفَقْتُ من مَقالةِ ناهِ
إنّما الغافِلُ المُقيمُ على السهـ
ـوِ ولا عُذْرَ في المُقامِ لساهِ
لا بأعمالنا نُطيقُ خَلَاصاً
يوم تبدو السِّماتُ فوق الجباهِ
غير أنَّا على الإساءة والتّفـ
ـريطِ نرجو بحسنِ عفوِ اللهِ[٦٢]

وتتعّدد الذنوب في اعتراف الشاعر أبي العتاهية، فهو يقرّ بتراكمها، بل ويقسم على تتابع ذنوبه، إلّا أنّه سرعان ما يتمنّى غفرانها من الله (سبحانه وتعالى)، كما يتمنى أيضاً الإذن منه والهداية لعقد نيّة التوبة ؛ ليتوب من ذنوبه كلها، وذلك حين قال:

لَهَونا لَعَمْرُ اللهِ حتّى تَتابَعَتْ
ذُنوبٌ على آثارِهِنَّ ذُنُوبُ
فياليت أنّ اللهَ يَغْفُر ما مَضى
ويأذَنُ في تَوباتِنا فَنَتُوبُ[٦٣]

ويستغفر ديك الجنّ ربَّه لثلاث كبائر اعترف بارتكابها، فقتله لزوجه من دون ذنب، وتركه الصلاة، وشربه الخمرة، ويعترف أنّ الخمرة كانت سبباً مباشراً للقتل وترك الصلاة، فالسُّكْر مفتاح الذنوب وارتكابها طبعاً، قال:

أَستَغْفِرُ اللهَ لذنبي كُلِّهْ
قَتَلْتُ إنساناً بغيرِ حِلِّهْ
وانْصَرَمَ اللّيلُ ولم أُصَلِّهْ
والسُّكْرُ مفتاحٌ لهذا كُلِّهْ[٦٤]

ويأتي إقرار ابن وكيع التِّنِّيسي بذنوبه مختلفاً عن إقرار غيره من الشعراء الذين سبقوه، فهو يردّ على مَن يلومه على ارتكاب الذنوب، وينبّهه إلى ضرورة الخوف من الله تعالى، وعذاب النّار، قائلاً له: إنّ خوفي من عذاب النار مثل خوفك، إلّا أنّني واثق بعفو ربّي؛ لكوني أقررت بذنوبي كلّها، ثمّ يُفتي من عنده بأنّ تعذيب المجرم المقرّ بجرمه حرام، فهو – إذن – صاحب فلسفة خاصة في مسألة التعذيب من عدمه، إلّا أنّ ما يهمّنا هو أنّه مقرٌ بذنوبه، ويرجو

عفو خالقه، على الرغم من كثرة ذنوبه التي تحدّث عنها في قوله:

جانبتُ بعدَكَ عِفَّتِي وَوَقارَي
وخَلَعْتُ في طُرُقِ المُجُونِ عِذاري
ورأيتُ إيثارَ الصَّبابة في الذي
تَهْوَى النُّفُوسُ مُمحِّقَ الأعمارِ
لا تأمُرَنِّي بالتَستُّرِ في الهَوى
فالعَيشُ أجْمَعُ في ركوب العارِ
إنّ التَّوَقُّرَ للحياةِ مُكَدِّرٌ
والعَيشُ فهو تَهَتُّكُ الأستارِ
مَنْ تابَعَتْ أمْرَ المُروءَةِ نَفْسُهُ
فَنِيتْ مِنَ الحَسَراتِ والأفكارِ
لا تُكْثِرَنَّ عليَّ، إنّ أخا الحِجا
بَرِمٌ بقُربِ الصَّاحِبِ المِهْذارِ
خَوَّفْتَنِي بالنّارِ جُهْدَكَ دائباً
ولَجَجْتَ في الإرْهابِ والإنذارِ
خوفي كخَوْفِكَ غير أنِّي واثِقٌ
بجميلِ عَفْوِ الواحِدِ القَهّارِ
أقرَرْتُ أنِّي مُذْنِبٌ ومُحَرَّمٌ
تَعْذِيبُ ذي جُرْمٍ على الإقرارِ[٦٥]

ويرى أبو الفتح البُستي أنّ قدمَه كانت السبب الرئيس وراء ارتكابه الآثام، وكلّ ما هو محرّم، فهي الساعية لتحقيق ذلك الحرام، لذا يعلن عن ندمه على ما ارتكبه من الذنوب، فضلاً عن اعترافه بعدم نفع ذلك الندم، وقد جاء ذلك في حديثه عن نفسه، قائلاً:

إلى حتفي سعى قدمي
أرى قدمي أراق دمي
فما أنفكّ من ندمٍ
وليس بنافعي ندمي[٦٦]

ولم يبتعد اعتراف الشاعر ابن مطروح عن اعترافات الشعراء الآخرين من حيث الموضوع والأسلوب، فضلاً عن طلب المغفرة من الله (عزّ وجلّ)، فهو الآخر يقرّ بأنّ ذنوبه أثقلت قلبه، ويصوّر كيفية إصراره على فعل الخطايا، وتجرأه على ارتكاب الفواحش، ثمّ يتساءل عن كيفية الاعتذار في الموقف المشهود ؛ الذي ينال فيه الذُّلّ كلّ إنسان عنيد متجبّر، في اليوم الذي تشخص فيه الأبصار لله (سبحانه وتعالى)، فيكون المأوى إمّا الجنة أو النار، وهو – كغيره – سرعان ما يعتذر من ربِّه عن أفعاله السيئة كلها، معتمداً العفو من لدن الواحد القهّار، فيقول:

قد أثقلتْ قلبيَ أوزاري
لي الويلُ إنْ ناقشني الباري
كم ليلةٍ أسرعتُ فيها الخُطى
إلى الخطايا حِلْفَ إصراري
وكم تجرأتُ على فاحشٍ
ولا أجيرُ الأسد الضاري
وكيف يكونُ العذرُ في موقفٍ
يذلُّ فيه كلُّ جَبَّارِ
وتَشْخَصُ الأبصارُ في حيث لا
دارٌ سوى الجنّةِ والنّارِ
ياربِّ ، عفواً عن ذنوبي فما
سألتُ إلّا عفوَ غَفَّارِ[٦٧]

وعلى الرغم من أنّ الاعترافات بارتكاب الذنوب ؛ تحلّت بصفة الجرأة لدى شعراء القسم الثاني، إلّا أنّهم كانوا أفضل حالاً من شعراء القسم الأول، لكون الشعراء في القسم الثاني اعتذروا من خالقهم الغفار وطلبوا عفوه، ونَوَوا التوبة، في الوقت الذي أصرّ فيه شعراء القسم الأول على ارتكاب الذنوب، بل افتخروا بارتكابها في بعض الأحيان.

المحور الرابع- اعترافات أُخَر:

إنّ أبرز وجه للاختلاف بين ما سيتمّ الحديث عنه في هذا المحور، والمحاور التي سبقته، هو أنّ الشعراء في هذا المحور اعترفوا بأمور لا يجمعها رابط مشترك، كما عهدنا ذلك في المحاور الثلاثة

السابقة، فهي أمور مختلفة اعترف بها الشعراء كلٌّ بحسب ما يراه ويتخيّله ويعيشه، وأوّل ما يلقانا من اعترافات في هذا المحور هو اعتراف الشاعر مطيع بن إياس، الصادر عنه بعد مدحه لمعن بن زائدة، وقد خيّره الممدوح بين أنْ يعطيه مالاً أو يمدحه بشعر، فما كان ردُّه إلّا أنْ يطلب المال، الذي يراه شبيهاً بالدواء للمريض، وذلك بعد أنْ جامل ممدوحه بأنّ ثناءه عليه خير مكسب له، قائلاً:

ثناءٌ من أمير خيرُ كسبٍ
لصاحبِ مَغْنمٍ وأخي ثراءِ
ولكنّ الزّمانَ بَرَى عِظامي
ومالي كالدَّراهم من دواءِ[٦٨]

أمّا الشاعر أشجع السّلمي، فهو يعترف – في مدحه الخليفة الرشيد – بأنّ الشاعر لا يجيد نظم الشعر المدحي إلّا بتعلّق الآمال لما سيحّققه من مكاسب مادية، فلولا الأموال التي يحصل عليها لما كان هناك شعر جميل، حتّى لو اتّسم صاحبه بالتمكن من النظم، وامتلاكه الأدوات الفنية اللازمة لقوله:

أبلغْ أمير المؤمنينَ رسالةً
لها عَنَقٌ بينَ الرُّواةِ فسيحُ
بأنّ لسانَ الشّعرِ ينطِقُهُ النّدى
ويُخْرِسُهُ الإبطاءُ وهو فصيحُ[٦٩]

ويأتي اعتراف الشاعر أبي سعد المخزومي، ليكشف الأقنعة الزائفة عن وجوه أكثر الشعراء، ويعرّيهم أمام الناس، فضلاً عن تعريّتهم أمام أنفسهم، لأنّه يتمنى فيه لو لم يكن شاعراً ؛ فالشاعر – برأيه – يُشبه الكلب في طلبه الطعام من الذاهب والآتي على حدٍّ سواء، وهذا اعتراف مؤلم ؛ لكونه صادراً عن شاعر وليس عن إنسان لا يحمل هذه الصفة، فضلاً عن تعبيره عن واقع حال كثير من الشعراء، لاسيما العباسيين:

الكلبُ والشاعرُ في حالة
ياليت أنّي لم أكن شاعرا
هل هو إلّا باسطٌ كفَّهُ
يستطعم الوارد والصادرا[٧٠]

وللشافعي اعترافان من نوع مختلف، يتشابهان في المعنى، ويدلّان على المضمون نفسه، يتحدّث في أوّلهما عن اتّهامه بأنّه رافضي، ويدافع عن نفسه بأنّ الرفض ليس دينه ولا معتقده، ويعترف بحبّه للإمام علي (عليه السلام)، فاذا ما عَدَّ أعداؤه حبّه للوليّ رفضاً، فهو – إذن – أشدّ رفضاً من العباد كلهم، قال:

قالُوا: ترفَّضْتَ قلتُ: كلّا
ما الرفضُ ديني ولا اعتقادي
لكنْ تولّيتُ غيرَ شَكٍّ
خَيرَ إمامٍ وخيرَ هادِي
إنْ كان حُبُّ الوَليِّ رفضاً
فإنني أرفضُ العِبادِ[٧١]

وإذا كان اعترافه الأول يركّز على حبِّه وولايته للإمام علي(عليه السلام) فحسب، فانه في اعترافه الآخر يعلن عن حبّه وتمسّكه بآل النبيّ(عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم) جميعاً، ويعدّ ذلك فرضاً واجباً من الناحية الدينية، فاذا كان ذلك الحبّ لهم رفضاً، فانّه يعترف بأنّه رافضي، ويُشهِدُ الثقلين على قوله هذا:

إنّي أُحِبُّ بَني النَّبيِّ المصطفى
وأعدُّه من واجباتِ فرائضي
إنْ كان رفضاً حُبُّ آلِ محمدٍ
فليشهدِ الثّقلانِ أنّي رافضي[٧٢]

وكان الناس عموماً لا يعجبون أبا الطيب المتنبي في نظام حياتهم، واضمحلال طموحهم، فهم غير مبالين بما يحدث حولهم من الانحطاط، وغياب هيبة العرب، فحياتهم كموتهم، وموتهم كحياتهم، فلا فرق بينهما، ولهذا السبب يعلن عن اعترافه

الذي يتلخّص بخوفه من الزواج لئلّا يكون له أولاد يحملون تلك الصفات السلبية نفسها في قلّة الاكتراث، واللامبالاة بما تؤول اليه الأحوال، فقال:

في النَّاسِ أمثِلَةٌ تَدوُرُ حياتُها
كَمَماتِها ومَماتُها كَحَياتِها
هِبْتُ النِّكاحِ حذار نَسْلٍ مِثْلِها
حتّى وَفَرْتُ على النِّساءِ بَناتِها[٧٣]

ولمّا رثى الشريف الرضي والده، اعترف – في بيتين من قصيدته – بأنّه مَوَّهَ كثيراً من الدموع بأصابعه، وسترها بردائه، حتّى لا يبدو ضعيفاً أمام أعدائه ؛ لأنهم لو علموا بضعفه، اشتفّوا بذلك الضعف، وشمتوا به، وهذا الاعتراف عبَّر عن واقع حال الناس كلّهم في ذلك الزمن، ذلك الواقع الذي كان يعيب على الرجل البكاء على النساء في مثل تلك المواقف، قال:

كم عَبْرَةٍ مَوَّهتُها بأناملي
وَستَرْتُها مُتَجَمِّلاً برِدائي
أُبْدي التَّجَلُّدَ للعَدُوِّ ، ولو دَرَى
بتَمَلْمُلِي لقد اشتَفَى أعدائي[٧٤]

كانت تلك أبرز محاور الاعترافات التي رصدناها لدى الشعراء العباسيين، كان بعضها مشتركاً يعبّر عن ثقافة مترابطة لدى أكثرهم، في الوقت الذي وجدنا فيه بعض الاعترافات المنفردة التي لا تشترك مع غيرها من الاعترافات لدى الشعراء الآخرين كما ذكرنا من قبل.

الهوامش

١- شعر دعبل بن علي الخزاعي/٨٧.
٢- م.ن/ ٣١٠- ٣١١.
٣- ديوان ابن الرومي ٣١٦/١.
٤- شعر ابن أبي الصقر الواسطي/٢٠.
٥- م.ن/٢٣.
٦- ديوان أسامة بن منقذ/٢٥٠.
٧- م.ن/ ٢٦٩.
٨- ديوان أبي تمام ١٥٩/١- ١٦١، يانسيب الثغام: أي أنّ الشيب يشبه الثغام في البياض، والثغام: نبات أبيض. تصدَّعْنَ: أي تفرّقن عني لشيبي.
٩- ديوان ابن الرومي ١٩٦٤/٥.
١٠- شعر ابن المعتز ١٢٩/٣- ١٣٠.
١١- شعر أبي هلال العسكري/٦٦.
١٢- ديوان الشريف الرضي ٤٧٩/١، وينظر: ٣١٣/٢- ٣١٤.
١٣- ديوان الشريف المرتضى ٢٦٦/١.
١٤- شعر ابن المعتز ٨٢/٢.
١٥- ديوان الثعالبي/٤٩.
١٦- يزيد المهلبي، ضمن شعراء عباسيون (السامرائي)/٢٤٠.
١٧- محمد بن يحيى اليزيدي، ضمن : شعر اليزيديين/٩٨.
١٨- ديوان ابن الرومي ١١٣٩/٣.
١٩- شعر ابن المعتز ١٣٥/٣.
٢٠- منصور بن اسماعيل الفقيه حياته وشعره/٧٥.
٢١- أبو دلف العجلي، ضمن: شعراء عباسيون (السامرائي) ٥٧/٢، والابيات نفسها في ديوان أبي حُكَيمة/١٣٩.
٢٢- ديوان البحتري ٦٥/١.
٢٣- ابن بسّام، ضمن: شعراء عباسيون(السامرائي) ٤٥٨/٢- ٤٥٩.
٢٤- ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي /٤٠.
٢٥- ديوان الشريف الرضي ٤٨٠/١.
٢٦- ديوان الشريف المرتضى ٢٦٦/١.
٢٧- ديوان البحتري ٣٩٠/١.
٢٨- ديوان الشريف الرضي ٣١٤/٢، الفود: معظم شعر الرأس ممّا يلي الأُذن. الدّلّ: التدلّل.
٢٩- ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي /١٠٨.
٣٠- ديوان الصنوبري/٣١٥.
٣١- ديوان أبي تمام ٣٢٤/٢.
٣٢- شعر ابن المعتز ٢٤/٢- ٢٥.
٣٣- ديوان السّريّ الرّفَاء ٧٧٠/٢، السماجة: القبح.
٣٤- ديوان الشريف الرضي ٤٧٦/١.

٣٥- ديوان مهيار الديلمي ٣٤٤/٢.
٣٦- ديوان الشريف المرتضى ٣٥٨/١، نكا: من نكأ القرحة: ازال قشرتها.
٣٧- بكر بن النطاح، ضمن: عشرة شعراء مقلّون/٢٤٨.
٣٨- ديوان البحتري ١٢١/١.
٣٩- شرح ديوان المتنبي ١١٧/١، الكركدنّ: حيوان من ذوات الحوافر، عظيم الجثة، قصير القوائم، كثيف الجلد، على أنفه قرن واحد، ولبعض أنواعه قرنان، الواحد فوق الآخر، ويسمّى المرميس.
٤٠- م.ن ٢٢٨/١، كذاب: الكذب.
٤١- ديوان بشار بن برد ٢٧/٤، والبيت منسوب لبكر بن النطاح، ضمن: عشرة شعراء مقلّون/٢٤٧.
٤٢- ديوان أبي تمام ٣٢٤/٤.
٤٣- م.ن ٤٤١/٤.
٤٤- ديوان ابن الرومي ٦٣/١.
٤٥- م.ن ١٥٠/١.
٤٦- التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دراسة نقدية/٢٢.
٤٧- ديوان السّريّ الرّفّاء ٣١٢/١- ٣١٣.
٤٨- ديوان ابن الرومي ٢٤٤/١.
٤٩- م.ن ٣٥٤/١.
٥٠- ابن بسّام، ضمن: شعراء عباسيون (السامرائي) ٤١٢/٢- ٤١٣، والبيتان منسوبان لجحظة البرمكي، ينظر: جحظة البرمكي الأديب الشاعر/٣٦٦.
٥١- ديوان الصنوبري/١٤.
٥٢- اللزوميات ١٨٧/١.
٥٣- ديوان أبي نواس/٩٨٦.
٥٤- شعر ربيعة الرقي/٧٩.
٥٥- ينظر: م.ن/٧٩- ٨١.
٥٦- م.ن/ ٨١.
٥٧- ديوان ديك الجن/١٥٣.
٥٨- ديوان ابن رشيق القيرواني/٢٦.
٥٩- ديوان أبي الهندي وأخباره/٤٥.
٦٠- ديوان أبي نواس/٩٨٧- ٩٨٨، جدّة الشيء : كونه جديداً، وأراد به شبابه. والنضو: المهزول.
٦١- م.ن /٩٩٠.
٦٢- م.م/ ٩٩٠.
٦٣- أبو العتاهية أشعاره وأخباره/٢١.
٦٤- ديوان ديك الجن/١٨٥.
٦٥- ابن وكيع التِّنِّيسي شاعر الزهر والخمر/٥٨- ٥٩، جانب: باعد، واجتنب. لجّ: تمادى وألحّ.
٦٦- أبو الفتح البُستي حياته وشعره/٣٠١.
٦٧- ديوان ابن مطروح/١٣٤.

٦٨- مطيع بن إياس وما تبقى من شعره، ضمن: شعراء عباسيون (غرنباوم)/٣٠.
٦٩- أشجع السّلمي حياته وشعره/١٩٨، العَنَق: سير الإبل السريع.
٧٠- شعر أبي سعد المخزومي/٣٦.
٧١- شعر الشافعي/١٢٢.
٧٢- م.ن/١٤٩.
٧٣- شرح ديوان المتنبي ١/٢٤٩- ٢٥٠.
٧٤- ديوان الشريف الرضي١/٢٦.

المصادر والمراجع

١- ابن بسام، ضمن شعراء عباسيون، د. يونس أحمد السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ج٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢- ابن وَكِيع التِّنِّيسي شاعر الزهر والخمر، جمع شعره وحققه: د. حسين نصّار، مكتبة مصر، د.ت.

٣- أبو دلف العجلي، ضمن: شعراء عباسيون، د. يونس أحمد السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ج٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤- أبو العتاهية أشعاره وأخباره، عُني بتحقيقها: د. شكري فيصل، طبعة محققة على مخطوطتين ونصوص لم تُنشر من قبل، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

٥- أبو الفتح البُستي، حياته وشعره، د. محمد مرسي الخولي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٠.

٦- أشجع السّلمي حياته وشعره، د. خليل بنيان الحسون، ساعدت جامعة بغداد على نشره، دار المسيرة ، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٧- بكر بن النطاح، ضمن: عشرة شعراء مقلّون، صنعة: أ.د. حاتم صالح الضامن، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٨- التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دراسة نقدية، د. ثائر سمير الشمري، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل- العراق، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٩- جحظة البرمكي الأديب الشاعر، تأليف: د. مزهر السوداني، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

١٠- ديوان ابن رشيق القيرواني، جمعه ورتّبه: د. عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة ، بيروت، د.ت.

١١- ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصّار، مطبعة دار الكتب ، ج١، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، شارك في تحقيقه: سيدة حامد، منير المدني، ج٣، ١٩٧٤، شارك في تحقيقه: منير محمد المدني، محمد حسن أبو حسن، زينب عبد النعيم القوصي، أحمد حسين علي صالح، وفاء محمود الأعصر، ج٥، ١٩٧٩، شارك في تحقيقه: وفاء محمود الأعصر، سيدة حامد عبد العال، محمد حسن أبو حسن.

١٢- ديوان ابن مطروح، تحقيق: د. حسين نصّار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م.

١٣- ديوان أبي تمام، بشرح التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزّام، دار المعارف بمصر، ج١، ١٩٦٤، ج٢، ط٢، ١٩٦٩، ج٤، ١٩٦٥.

١٤- ديوان أبي حُكَيمَة، راشد بن إسحاق الكاتب، تحقيق وتذييل: د. محمد حسين الأعرجي، منشورات الجمل، بغداد، ط٣، ٢٠٠٧.

١٥- ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تحقيق: د. بهجت عبد الغفور الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٦- ديوان أبي الهندي وأخباره، صنعة: عبدالله الجبوري، منشورات مكتبة الأندلس، بغداد، مطبعة النعمان- النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

١٧- ديوان أُسامة بن منقذ، حقّقه وقدّم له: د. أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، عالم الكتب، د.ت.

١٨- ديوان البحتري، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف- مصر، ط٤، ٢٠١٧م.

١٩- ديوان بشار بن برد، تقديم وشرح وتكميل: فضيلة الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور، د.ط، د.ت.
٢٠- ديوان الثعالبي، دراسة وتحقيق: د. محمود عبدالله الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٠.
٢١- ديوان ديك الجنّ، حقّقه وأعدّ تكملته: د. أحمد مطلوب، وعبدالله الجبوري، نشر وتوزيع: دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م [تاريخ المقدمة].
٢٢- ديوان السّريّ الرّفّاء، تحقيق ودراسة: حبيب حسين الحسني، منشورات وزارة الثقافة والاعلام
٢٣– الجمهورية العراقية، ج١، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ج٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١.
٢٤- ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤.
٢٥- ديوان الشريف المرتضى، حقّقه ورتّب قوافيه وفسّر ألفاظه: رشيد الصفّار، راجعه وترجم أعيانه: د. مصطفى جواد، قدّم له الفقيه الأديب الشيخ محمد رضا الشبيبي، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٢٦- ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي، اعتنى بجمعه وتهذيبه وتحقيق مافيه وتصحيحه ووضع فهارسه وتحرير مقدمة بتحقيقات رائقة: السيد محمد بدر الدين العلوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٠هـ ١٩٤٦م.
٢٧- ديوان الصنوبري (من حرف الراء حتى حرف القاف)، حقّقه: د. إحسان عباس، نشر وتوزيع: دار الثقافة ، بيروت- لبنان، مطابع غريّب ببيروت، ١٩٧٠.
٢٨- ديوان مهيار الديلمي، روائع التراث العربي، ط١، د.ط، د.ت.
٢٩- شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٨ه- ٢٠٠٧م.
٣٠- شعر ابن أبي الصّقر الواسطي، جمع ودراسة: د.بلقيس خلف رويح، مجلة آداب المستنصرية، ع٦٢، ٢٠١٣.
٣١- شعر ابن المعتز، صنعة: أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق: د. يونس أحمد السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة – بغداد، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
٣٢- شعر أبي سعد المخزومي، جمعه وحقّقه: د. رزوق فرج رزوق، مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٧١.
٣٣- شعر أبي هلال العسكري، جمع وتحقيق ودراسة: د. محسن غيّاض، منشورات عويدات، بيروت- بنان، ط١، ١٩٧٥.
٣٤- شعر دعبل بن علي الخزاعي، صنعة: د. عبد الكريم الأشتر، منشورات المكتبة الحيدرية، مطبعة شريعت، ط١، ١٩٦٤[تاريخ المقدمة].
٣٥- شعر ربيعة الرقي، جمعه وحقّقه وقدّم له: د. يوسف حسين بكار، منشورات وزارة الثقافة والاعلام – الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، [تاريخ الابداع].
٣٦- شعر الشافعي، الإمام الفقيه محمد بن ادريس الشافعي، د. مجاهد مصطفى بهجت، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٣٧- اللزوميات، لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء،

أبي العلاء المعري، حقّقه وأشرف على طباعته جماعة من الأخصائيين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢ ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٣٨- محمد بن يحيى اليزيدي، ضمن : شعر اليزيديين، جمعه وحقّقه: د. محسن غياض، ساعدت جامعة بغداد على نشره، توزيع مكتبة الأندلس ببغداد، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٣.
٣٩- مطيع بن إياس وما تبقى من شعره، ضمن: شعراء عباسيون، دراسات ونصوص شعرية، غوستاف فون غرنباوم، ترجمها وأعاد تحقيقها: د. محمد يوسف نجم، راجعها د. إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، د.ت.
٤٠- منصور بن إسماعيل الفقيه حياته وشعره، د. عبد المحسن فرّاج القحطاني، دار القلم، بيروت- لبنان، ١٤٠٢-١٩٨١[تاريخ مقدمة الطبعة الثانية].
٤١- يزيد المهلبي، ضمن: شعراء عباسيون، د. يونس أحمد السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

"يا سيدَ الشهداءِ" وديمومةُ أثر النّص في المُتَلقِّي في ضوء المنهج الأسلوبيّ

"O Lord of Martyrs" and the Permanence of the Text's Effect on the Recipient In Light of the Methodological Approach.

أ.م .د. بشرى ياسين محمد
جامعة بغداد / كليّة التّربية ابن رشد للعلوم الإنسانيّة – ابن رشد
قسم اللغة العربيّة

Dr. Boshra Yassin Mohammed
University of Baghdad / College of Education Ibn Rushd for Human Sciences - Ibn Rushd the department of Arabic language.

كلمات مفتاحية : الإيقاع/ المنهج الأسلوبيّ / أسلوبية التلقي / النص

ملخص البحث

سلطَ هذا البحثُ الضوء على قصيدة (يا سيد الشهداء) للشاعر رعد مطشر وهي إحدى قصائد الشعر الحسيني المعاصر، التي ركّز الشاعر فيها على القيم النبيلة للإمام الحسين عليه السلام وصحبه الأبرار في معركة كربلاء وتناول الشاعر فيها القضية الحسينية بشكل لافت عبر البنيات الأسلوبية التي هيمنت على النص ممّا يجعل القارئ في دائرة التلقي الشعري للنص المذكور وهي قصيدة تعاضدت فيها الفنون البلاغية مع بعضها في بنية النص الشعري والتي تسمح للمتلقي بأن يكون جزءا من النص الشعري، ومشاركا من خلال بث مشاعره وعواطفه كما أثارت المهيمنات الأسلوبية الداخلية للنص الشعري شجون المتلقي من خلال بنيات نصية كالإيقاع الصوتي والتقابل والتردد ممّا أدّى إلى نغمات بكائية والله وراء القصد.

Abstract

This research sheds light on the poem “O Lord of Martyrs”of the poet Raad Mutashar، one of the poems of contemporary Husseini poetry، in which the poet focused on the noble values of Imam Hussein and his righteous companions in the Battle of Karbala. The poet addressed the Husseini issue in a remarkable way through the stylistic structures that dominated The text، which makes the reader in the reception of the poetic text of the mentioned، a poem in which the rhetorical arts have joined together in the structure of the poetic text، which allows the recipient to be part of the poetic text، and participate through the dissemination of feelings and emotions and raised the internal stylisms of the poetic text Recipients through text structures voice and juxtaposition and frequency tones which led to crying.
God is intended .

المقدمة

ذكرُه خالدٌ على مر الزمن، يناديه الملأ عبر الأفق هو سيدنا الحسين (عليه وعلى آله افضل السلام) ، خلّده دمه الذي أريق طلبا للحق. فاستوحى كثير من الشعراء نصوصهم من حب الحسين (عليه السلام). «يا سيد الشهداء» قصيدة للشاعر العراقي رعد مطشر، الشاعر الذي عاش و أستشهد وهو محب للحسين (ع) وسائر على نهجه ، استشهد عام ٢٠١٣ على يد من ناصب العداء للحسين وأهل بيته، كتب شعرا في أغراض شعرية كثيرة وكان شاعرا حداثيا واكب التطورات الفنية التي لحقت بالقصيدة العربية فكتب القصيدة العمودية وقصيدة الشعر الحر وقصيدة النثر..

قصيدته (يا سيد الشهداء) من القصائد التي خلّدت في أذهان قراء رعد مطشر لأنه جسّد فيها حبه لسيد الشهداء وتضحياته وأهل بيته في معركة كربلاء..

لم يكتب نصا حكائيا يعيد سرد قصة معركة الطف، إنّما حاول الوقوف على الوجع والألم الذي خلّد مع الأجيال وتناسل انتصاره وحبه في قلوب أنصاره ومحبيه..فوجدت في القصيدة ذات ديمومة واضحة تؤثر في قارئها تأثيرا واضحا ولاسيما أن الجانب الأسلوبي فيها كان واضحا،فآثرت دراستها دراسة أسلوبية ، وذلك لطغيان المهيمنات الأسلوبية على بنياتها الداخلية والخارجية، والمتلقي لا يسعه وهو يقرأ القصيدة إلاّ أن يبقى مشدودا لمعانيها وأفكارها اللامعة ، ويظل النص الحسيني خالدا خلود الإمام الحسين (عليه السلام).

أسلوبية التلقي في النص

لعل أول ما يواجهنا في هذه القصيدة هو طغيان الأساليب الإنشائية في بنيتها الشعرية ، فمنذ عتبة العنوان المفعمة بالنداء حيث تناص الشاعر مع قول الرسول (ص) في الإمام الحسين (ع) المتضمن أنه سيد شباب أهل الجنة ... وأسلوب النداء هو أحد أهم الأساليب المنضوية في بنائها الشعري ، تكاد عتبة العنوان تختزل المعاني المكثفة الواردة في أبيات القصيدة وما أراد الشاعر أن يبيّن فيها من رؤى وأفكار وذلك لإيمانه أن ((للعتبات أهمية كبرى في فهم النص وتفسيره وتأويله من جميع الجوانب ، والإحاطة به كليا ، وذلك بالإلمام بجميع تمفصلاته من الداخل والخارج التي تشكّل عمومية النص ومدلوليته الإنتاجية)) [١] .

ويتعاضد الخبر والإنشاء معاً في بنية النص الشعري ،إذ تعود ذاكرة الشاعر إلى الوراء في حقب التأريخ ليعالج منذ البيت الأول ، والأبيات التي تليه متواليات خبرية فضلاً عن متواليات بيانية تقوم على المجاز وما يتعلق به من استعارة وتشبيه، حيث نجد تشخيصية استعارية في قوله : ((تَرش دمع دمي صبراً ، وتنسكبُ)) .

فقد أسند المفردتين : ((الدمع ، الدم)) لبعضهما ، ولعل السبب في ذلك ؛ أن الشاعر لم يعد يفرّق بين الدمع والدم في حزنه على سيد الشهداء ... ثم وافق بين ((الرش ، والسكب)) ، وكلاهما مفردتان تدلاّن على الجريان ويتصلان بالدمع والدم معاً ، في استعمال تشخيصية عالية بأسلوب استعاري ، وفي الوقت نفسه يجمع الشاعر هنا في هذا البيت بين ما

هو معنوي ((كالصبر)) وما هو محسوس ((الرش والسكب)) ، إذ رفع ما بينهما من حواجز حتى صار كل من : الصبر والدمع والدم ، خاصية تدلّ على سيد الشهداء ((عليه السلام)) ..

ولاحظنا طغيان أسلوب النداء على بقية الأساليب الأخرى في النص يؤكد الحاجة الماسة التي يقف فيها الشاعر أمام المنادى ، واستحضاره في ذهنه على الرغم من القرون التي تفصلهما عن بعض ، ومن ذلك قوله :

((يا صبح هذا الدُّجى ...)) ، ((يا ماسح هذا الشجن)) ، ((ويا بيت مَن سكنوا)) ، ((يا بابَ من وهبوا)) ، ((يا طيف ظامئةٍ)) ، ((يا مسك نافذةٍ)) ، ((يا صحو كلّ رؤىً ...)) ، ((يا سقف أضلعنا)) ، ((يا بؤس منجلهم ، يا غدر ما طلبوا)) .

إنّ استحضار المنادى ((سيد الشهداء)) بهذه الطريقة التشخيصية الاستعاريّة وإضافة المنادى إلى صفات تدلّ على عمق العاطفة التي تربط المنادي بالمنادى ، ولعله أراد ((أراد أن يعبّر عن حالة تلهفه ، وشدة طلبه ، فهو بمثابة المستغيث الذي يمدّ صوته في النداء)) [٢] .

ولقد أفاد الشاعر من أساليب بديعية مثل أسلوب ((ردّ الأعجاز على الصدور)) وهو أسلوب يراد به توكيد المعنى وإقراره في ذهن المتلقي ، عن طريق إعادة بنية معيّنة لها جرسها الخاص لتأخذ مساحة واسعة في أفق المخاطب على نحو قوله :

خالوا الصدى نُصُباً تعلوُ دريئتَها
دين الهُدى ، فهوت مِن وهمِها نُصبُ
أسماؤهم تسع الدنيا ، نواظرها
أسماؤهم علم ، أنســـابهم كتبُ

أمّا الاستفهام ، فهو الآخر يعبّر عمّا يختلج الشاعر من هموم كأنها تعانقت مع هموم المتلقي في النص الشعري ، على نحو قوله :

أولى وثانيةً مسّوا مواسمُــه
فَلْ حبائلَهم أيَّ الدُّنى كسبــوا
وسَلْ خزائن صرعى ، أين كونُها
أينَ الخلائقُ مَن كروا ومَن هربوا

وهو استفهام لا يبحث عن إجابة ولا ينبئ ، عن مستفهم عنه ، سوى ما لحق بأعداء الإمام الحسين (ع)ـ من خزي وعار في الدنيا وفي الآخرة وهو حال كل باطل يعادي الحق ، وللتوكيد أثره في إثراء النص الشعري بالفكرة المراد بيانها في خلود أسمائهم في أذهان محبيهم وإحياء مصيبتهم في كل وقت وفي كل مكان، حيث يقول :

السلم سلمك ، والأجيال دائـرةٌ
أسماؤهم عَلَمٌ ، أنســابهم كتبُ
أسماؤهم تسع الدنيا نواظـرها
تستنطق الحدق الفيحاء ، تنجلبُ
وذي الرجالُ عوالي الفجر كنيتها
لولاك ما صعدوا ، لولاك ما ركبوا

فالتوكيد هنا جاء عن طريق تكرار الألفاظ ((أسماؤهم ، ولولاك)) ليدلّ على ثبات الموقف المتعلق بالشهادة والنصر الذي تحققّ بالشهادة نفسها ...

أمّا الألفاظ : ((الراكبون ، الثابتون ، الصابرون ، الصاعدون)) فكلها ألفاظ استقاها الشاعر من الفعل الماضي لكل منهما ، وكان يقصد بناءها لجمع

المذكر السالم لأنها تحمل انغاماً موسيقية (إيقاعية) ـ ثابتة النغم ، فالألفاظ قد تختلف في المعنى ، لكونها متساوقة في البناء متآزرة مترادفة ، حيث أن تكرار النغم ، أو تكرار اللفظ ((يشكّل ظاهرة أسلوبية محدثة لفاعلية الأثر الشعري ، ويختلف عبر التكرار جملة من الوظائف أهمها إثارة انتباه المتلقي ، وتكثيف الإيقاع الموسيقي في النص الشعري ، وتوكيد الظاهرة المكرّرة والتعبير عن مدى أهميتها بالنسبة للسارد الشعري)) [٣] ، والشاعر أراد أن يعيد إيحاءات الألفاظ من خلال تكرارها في البيت أو البيتين على نحو ما رأينا في الأبيات السابقة ، وذلك لأن ((تكرار لفظة ما ، أو عبارة ما ، يوحي بشكل أوّلي بسيطرة هذا العنصر المكرّر وإلحاحه على فكرة الشاعر أو على شعوره أولاً ، ومن ثم فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرى)) [٤] .

لقد أشاع الشاعر أجواء موسيقية في القصيدة حيث الإيقاع الخارجي المتمثل بالوزن الشعري الذي استوعب التعبير الشعري للشاعر ، واستوعب أفكاره ورؤياه تجاه الإمام الحسين (عليه السلام) من جهة لذا استعمل البحر البسيط الذي يناسب مقام الرثاء أو مقام المدح ، إن صنفت القصيدة في بابي : الرثاء أو المدح ، امّا الإيقاع الداخلي الذي خيّم على القصيدة من خلال التقسيم والتوازي والجناس ، والأحرف الصوتية المتناظرة .

والبحر المتوسط موضع بناء القصيدة شكّل فيها ((سلسلة من حدوثات سمعية ذات آماد وتنغيمات وارتفاعات متساوية تحدث بفواصل ، تتمثّل خطياً بشكل سلسلة من النقاط ذات الحجم المتساوي ، مفصولة بمسافات متساوية)) [٥] . فضلًا عن هذا فإن البسيط يساعد على ((تجسيم الاهتزازات العاطفية ، وتحريك الخيال ، وإثارة انتباه المتلقي لمتابعة سماع الإنشاد)) [٦] ..

والبنى الصوتية في القصيدة تقوم أولاً على البناء العروضي في بحر البسيط مُستفعِلن فاعلن مستفعِلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

إذ يقوم البسيط على ركنين أساسيين هما : العنف واللين ، وذلك لأنه من المعروف عنه ((لا يلائم البسيط إلاّ إذا صحبه روح قوي من أنين أو ألم أو عاطفة ظاهرة جليّة ، فإن كانت العاطفة التي وراء الوصف من النوع الهادئ المتأمل فسوف يصلح البسيط لذلك)) [٧] .

لذا جاءت القصيدة منسجمة تماماً مع دلالتها التي يختزنها الوزن العروضي لأنها تتحدث عن قيم الشهادة العليا ، فالبحر الشعري جاء مناسباً لما يحمله الشاعر من فيض المشاعر وحرارة الشعور ، وصدق اللهجة إزاء الإمام الحسين (عليه السلام) .

وممّا يدلّنا على قوة العاطفة ، وشدة بكائيتها ما جاء في مطلع القصيدة من بكائية شديدة حيث ((البكاء ، والدمع ، والآهات ، والصمت ، والاهتزاز ، والاضطراب ، والوحشة)) وغير ذلك من المفردات التي تدلّ على تعلّق الشاعر بالممدوح او المرثّي ، ولا تعّبر عن انفصالية بقدر ما تعبّر عن اتحاد الألم فيما بينها ...

الإيقاع وأثره في المتلقي

يقول الشاعر :

أرى بعينيك سِراً إنها الحُقَـبُ

تنثال من هُدُب التأريخ تَرتقـب

ما إن أحدّدها تنسَلُّ مِن بَـللٍ

ترشُ دَمعَ دمي صبراً ، وتنسكبُ

نصلاً على عنق الآهات مشيتُها

تمحو جراحَ تواريخي ، وتنتصبُ

في هذا المطلع نجد براعة الاستهلال فيما يتعلّق بالإيقاع حيث الأسى والحزن الذي يمتزج بالهدوء ، وطول النفَس الشعري من خلال أحرف المدّ الداخلية ((رى ، رَا ، هَما ، ما ، آ ، مي ، لا ، ي)) وهي ممدود توظّف في النص الشعري ، لتحمل مشاعر ممتدة ، وأحاسيس عميقة ، تناسب الفكرة ، أعني فكرة الحزن الشديد والأسى واللوعة [٨] ..

لذا نجد الشاعر قد عمد إلى بنيات أسلوبية صغيرة ذات دلالات صوتية من خلال الأفعال والصيغ مثل : ((بلل ، ترِش ، تنسكب ، دمع ، مملوء ، سرب ، سحب)) وهذه مفردات ذات دلالة خاصة حيث تدلّ على ((الماء)) مع الإيقاع الخارجي الذي أشاعه الوزن الشعري ((البسيط)).

ولقافية القصيدة أثرها الفعال في بيان ((الوجه الثاني من وجوه الإيقاع الثابت، وهي جزء إيقاعي بالغ الأهمية ، في قضية موسيقى الشعر ، ولازمة من لوازم البناء الشعري ، وحتى في حركة الشعر الحر لم تختف القافية ، فهي الركيزة المكمّلة للإيقاع الثابت ، التي تضفي مع المتغيرات الأسلوبية الداخلية لتمنح النص بعدا دلالياً وإيحائياً يعبّر عن حركة الذات في النص الشعري)) [٩] .

ولحرف الروي (الباء)) في القصيدة وجه فعّال في بنية النسق العروضي ، إذ إنَّه يلائم جميع الأحرف الأخرى ، وينسجم معها في بنية القافية ، لذا تجد الشاعر حشّد تقريبا جميع أحرف العربية مع قافية القصيدة تحت وزن ((فَعِلن)) .

وللقافية سمتان جوهريتان الأولى : تتعلق بتكرارها ؛ لأن ذلك التكرار يصبح جزءاً من موسيقى النص ، فتكون بمثابة فواصل موسيقية يردّدها السامع ، ثم تستمتع بهذا الترديد الذي يطرق الأذن بانتظام [١٠] ، أمّا الثانية ، فإنها تشكّل ما يسميه العروضيون ((حركة الروي)) أو ((حرف الروي)) ، حيث يصبح لازمةً موحّدة في كل أبيات القصيدة من البداية حتى نهايتها ، ولعلَّ اختيار حرف ((الباء)) ليكون حرف روي لقصيدة الرثاء هذه ، حتى يناسب كل المعطيات الدلالية التي تجسّد حالة الجهر بالمناقب والآثار [١١] والقصيدة ـ كما نرى ـ مشحونة بالمناقب.

أمّا الإيقاع الداخلي في القصيدة فقد جاء على فقرات متناوبة البناء ، متغيرة من مقطع الى آخر ، ومن ذلك ، هذا التناسب الإيقاعي بين :

((قافيتي ، جسدي ، فمي ، شفي)) في نهاية الأشطر الأولى من الأبيات الواردة في كل منها هذه المفردات

ثم يتحوّل الإيقاع إلى بناء آخر في قوله :

((نافذة ، قاطبة ، مهلكة ، لؤلؤة ، عمالقة ، مسرَّجَة ، دائرة))

ثم بناء آخر في قوله :

((شواهدها ، كوتُها ، جوهرها ، مشيتُها ، يزرعها ، نواظرها))

ثم بناء آخر في قوله : ((صولتهم ، نوائبهم))

وهكذا توزّع بناء الجمل بشكل إيقاعي متغيّر من

بيت إلى آخر أو من مقطع إلى آخر ، لإشاعة أجواء خاصة من الإيقاع الذي تخلّل جسد القصيدة بالكامل .. فالبنى متشابهة والإيقاع متجدّد .

وللنداء المتكرر في بعض أبيات القصيدة أثرٌ إيقاعيٌّ ، ولاسيَّما في تكرار أداة النداء ، أمّا المنادى فقد جاء موصوفاً بصفات متعددّة وكأن الشعر يقصد منه ، تحفيز السامع ، وإثارة انتباهه ، وشحن النص الأدبي بغنائية حزينة متواصلة على نحو قول الشاعر :

ـ يا صُبح هذا الدجى مستوحداً في فمي .....

ـ يا ماسح هذا الموروث من شفتي .....

ـ يا بيت مَن سكنوا .....

ـ يا طيف ظامئةٍ ، يا مسك نافذةٍ .

يا صحو كل رؤى السحر تختضب

وممّا يلاحظ في القصيدة من ظواهر أسلوبية أخرى ، هو طغيان النسق الصوتي الداخلي فيها ، فقد جاءت الأصوات ذات المخارج المتقاربة فيها بشكل لافت للانتباه ، فقد بُني النص الشعري من جمهرة من الفونيمات ترتبط فيما بينها جميعاً ((سلسلة من العلاقات تنتظم في اتساق تبدو للمتأمل بأنها اعتباطية ، في حين أنها علاقات خفية تنبع مِن فرادة الذهن الشعري)) [١٢]

والشاعر ((رعد مطشر)) في هذه القصيدة لا يختلف عن أقرانه من الشعراء المحدثين حيث يبحث عن وسائل شعرية (موسيقية) ليثري بها نصّه الشعري ؛ لأن الشاعر الذي يتفاعل مع الأصوات مدفوعاً بذلك للإيقاع الذي يسيطر عليه مسبقاً قبل عملية التشكيل الشعري [١٣] . وتكرار الأصوات في هذه القصيدة ظاهرة بينة واضحة للعيان ، حيث نلاحظ في قوله :

في هدأة الصمتِ هزت كلّ أوردتي

واستخرجتْ حُجباً تحتاطها حُجبَ

أسرابُها رسمتْ أفقاً بها جسدي

واستنهضت لهباً يَرْتُج يَضطربُ

لاحظ تكرار أحرف الصفير ((الزاي ، والسين)) وأحرف الشفاه مثل : ((التاء)) ، وهي أحرف متجاورة المخارج ، وكذلك ((الظاء ، والطاء)).

وقوله :

عانيتَ من أمةٍ قد سُميّت عَدَماً

قاسَيْتَ مِن مِنَن بالسِلم تحتربُ

كانت ثرى حُفرٍ قد طاولتْ حُصُناً

تلقي غبارَ قـرونٍ قادها كَذِبُ

والقصيدة إذا كانت شعرية تبنى عادة من عنصرين هما : التكرار والتنوع ، فالموسيقى تستلزم تكرار نغمة بعينها في أنماط محددة ، والشاعر يكرّر أصواتا بعينها ، ليحقّق بذلك النظم والبناء [١٤] .

أمّا بناؤها العام ، فالقصيدة تتكون من ثلاثة مقاطع شعرية منسجمة ، متلاحمة الأجزاء ، مقطع الإستهلال ، يتكون من خمسة أبيات تحدث فيها الشاعر عن مشاعره الخاصة تجاه الإمام الحسين (عليه السلام) في لغة كانت ((الأنا)) فيها واضحة:

ـ أرى بعينْيكَ سِرّاً .....

ـ ما إن أحدُها تنسلُ .....

ـ مستوحش أنا .....

لقد قدّم الشاعر نصّه الاستهلالي بأسلوب يغلب عليه طابع الألفاظ البسيطة لكنها مكثّفة المعاني ، من خلال

أسلوب التجسيم الاستعاري الذي تشابك في المطلع بشبكة من العلاقات الداخلية ، حيث خلع الصفات المادية على المعنويات . وذلك إشباعاً لحالة من الخواء العاطفي .

يقول الشاعر في تجسيم ((الحقب)) في مطلع النص في خمسة أبيات شعرية مثلت بنية الاستهلال ، إذ يقول :

أرى بعينْكَ سِراً إنهـا الحُقبُ
تنثال من هُدُب التأريخ ترتقِبُ
ما أن أحدّدها تنسلُّ مِـن بَللٍ
ترش دمعَ دمي صبراً ، وتنسكبُ
نَصْلاً على عنق الآهات مشيتها
تمحو جراح تواريخي وتنتصِبُ
في هدأة الصْمتِ هزتْ كلّ أوردتي
واستخرجتْ حُجباً تحتاطها حُجُبُ
أسرابُها رَسَمتْ أُقصابها جسدي
واستنهضتْ لَهباً يرتجّ يضطـربُ

في هذه الأبيات يجسد الشاعر بعيني الإمام (ع) حقب التأريخ ، أزمنته المرتقبة ، محاولاً تحديدها لكنها تنسلّ دون أن يمسك بها ، مصوراً انتكاسته بعد ذلك في صورة معبّرة بقوله : ((الدمع ، الدم ، الصبر)) ، وفي هذه المفردات دلالة مفتوحة على التأويل ...

أمّا اللوحة الثانية في القصيدة فتبدأ من قوله :

مستوحشٌ أنا من أعتابِ قافيتي
أطيافها صَخَبٌ ، نسيانها عَجبٌ

إذ يشخّص القافية بوصفها لسان القول لديه ، وأنه لا يملك ما يدافع به عن المبادئ المسلوبة سوى الشعر سلاحاً ، وأنه أعزل من كلّ شيء سوى الشعر ...

وهذا البيت يتصل ببنية النص الشعري الذي يليه اتصالاً وثيقاً حيث يدلّ على ترابط الأفكار الشعرية الواردة في القصيدة وتسلسلها ممّا يدلّ على صدق العاطفة الشعرية ..

أمّا اللوحة الثالثة فهي في الأبيات ((١٥-٢٣)) وتتعلق بخصوم الإمام الحسين (ع) وكيف استطاع ((عليه السلام)) أن ينتصر عليهم ، على الرغم ممّا يمتلكون من جبروت القوة والطغيان ، ولقد حرص الشاعر على أن يقدّم أولئك الطغاة بصورة من الهزيمة المنكرة ،حيث يقول فيهم :

أفنيت كافرَهم في نابٍ مُهلكةٍ
وعُدتَ منتصراً بالله ، ياغَلبُ

ولقد جمع الشاعر في هذه النصر والهزيمة في آنٍ واحد ، نصر الإمام الحسين (عليه السلام) وهزيمة خصومه ...

أمّا اللوحة الرابعة فهي ختام النص ، الذي يمتاز بحُسن الترابط مع باقي أجزاء القصيدة التي ((سبقته)) ، حيث جاء ختام النص في قوله :

وذا الختامُ فَمٌ حلوُ الكلام : بَلى
شفاهُهُ نَعمٌ ، جناتُه نسبُ

ولقد أحسن الشاعر التخلص من مقطع إلى آخر ...

ولعلّ أبرز ظاهرة أسلوبية في هذه القصيدة هي ظاهرة التجسيم في كلّ أبياتها تقريباً ، حيث أظهر حزنه الشديد من خلال الظاهرة البلاغية ، فضلاً عن حسن التقسيم الذي أضاف للقصيدة أجواء إيقاعية ، من ذلك قوله :

يا / صُبحَ / هذا / الُّدجى
يا / ماسح / هذا / الشجن

ثم يتابع تجسيمه من جعله للأحداق منازلاً ، مملوءة بالخير والإنسان الواهب كلّ شيء ، وتجسيم صفة الخير حيث جعله إنساناً يهب ويعطي كلَ ما هو خير وصلاح .. ففي قوله:

دَمُ الدعاء دعا

فقد أضاف الدَّمُ للدعاء ، المسند (حي) والمسند إليه معنوي ، ذهني ، ثم جعله يدعو ، وذلك من باب الاستعارة التشخيصية ، وهو نداء جديد للممدوح ((الإمام الحسين (عليه السلام))) ، وهو انفتاح جديد من الشاعر نحو (النداء) الذي تميزت به القصيدة ، وجاء عنواناً لها .

خاتمة البحث

١- قصيدة (يا سيد الشهداء) للشاعر رعد مطشر إحدى قصائد الشعر الحسيني المعاصر، وفيها يتابع الشاعر القيم النبيلة للإمام الحسين عليه السلام وصحبه الأبرار في معركة كربلاء.

٢- تناول الشاعر رعد مطشر القضية الحسينية بشكل لافت عبر البنيات الأسلوبية التي هيمنت على النص مّما يجعل القارئ في دائرة التلقي الشعري للنص المذكور .

٣- تعاضد الفنون البلاغية مع بعضها في بنية النص الشعري والتي تسمح للمتلقي بأن يكون جزءا من النص الشعري، ومشاركا من خلال بثّ مشاعره وعواطفه.

٤- أثارت المهيمنات الأسلوبية الداخلية للنص الشعري شجون المتلقي من خلال بنيات نصية كالإيقاع الصوتي والتقابل والتردد وغير ذلك ممّا أدى إلى نغمات بكائية.

الهوامش

١- ينظر البلاغة العربية ، أساليبها ، علومها ، فنونها ، عبد الرحمن حسن، ج١ ، ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦ . ص٧٥

٢- المصدر نفسه / ج١/ ص٢٤١ .

٣- عن بناء القصيدة العربية ، د. علي عشري زايد ، مكتبة دار المعرفة ، الكويت ، د. ط ، ١٩٨١ . ص٦٠

٤- المتعاليات النصية في المسرح الجزائري الحديث ، خديجة جليلي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة محمد الخضر ، السنة ٢٠٠٩م . ص٢٤٠

٥- الصوت الآخر ـ الجوهر الحواري للخطاب الأدبي ، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد / ١٩٩٢ . ص٢٨٩

٦- البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي ، د. ياسر أحمد فياض ، (بحث) مجلة جامعة الأنبار ، ع٤ /مج ١/ السنة ٢٠٠٤ / ص٣٥ .

٧- المرشد إلى فهم أشعار وصناعتها ، عبد الله المجذوب : ج ١/ ،القاهرة، ١٩٩٥ . ص٤٦٠

٨- ينظر البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث ، د. مصطفى السعدي،منشورات منشأة المعارف بالأسكندرية ، مصر ، ١٩٨٧. ص٣٧

٩- البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي(مصدر سابق) / ص٣٥٢ .

١٠- الموسيقى الشعرية في شعر الزهد عند أبي إسحاق الأندلسي (بحث) / مجلة علوم اللغة العربية / جامعة بسكرة بالجزائر ، ع ٤ / ، السنة ٢٠١٢ . ص١٣٠

١١- ينظر البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي (مصدر سابق) : ص٣٥٣ .

١٢- البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث (مصدر سابق) : ص١٩.

١٣- ينظر المصدر نفسه :ص٣٠ .ينظر المصدر نفسه : ص٣١ .

المصادر والمراجع

١- البلاغة العربية ، أساليبها ، علومها ، فنونها، عبد الرحمن حسن، ج١ ، ، دار القلم ، بيروت، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦

٢- البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي، د. ياسر أحمد فياض ، (بحث) مجلة جامعة الأنبار، ع٤، مج ١، السنة ٢٠٠٤

٣- البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث، د. مصطفى السعدي،منشورات منشأة المعارف بالأسكندرية ، مصر ، ١٩٨٧

٤- الصوت الآخر ـ الجوهر الحواري للخطاب الأدبي ، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد / ١٩٩٢

٥- عن بناء القصيدة العربية ، د. علي عشري زايد، مكتبة دار المعرفة، الكويت، د. ط، ١٩٨١

٦- المتعاليات النصية في المسرح الجزائري الحديث، خديجة جليلي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة محمد الخضر، السنة ٢٠٠٩م

٧- المرشد إلى فهم أشعار وصناعتها، عبد الله المجذوب : ج ١، ،القاهرة، ١٩٩٥

٨- الموسيقى الشعرية في شعر الزهد عند أبي إسحاق الأندلسي (بحث)، مجلة علوم اللغة العربية، جامعة بسكرة بالجزائر، ع ٤، السنة ٢٠١٢

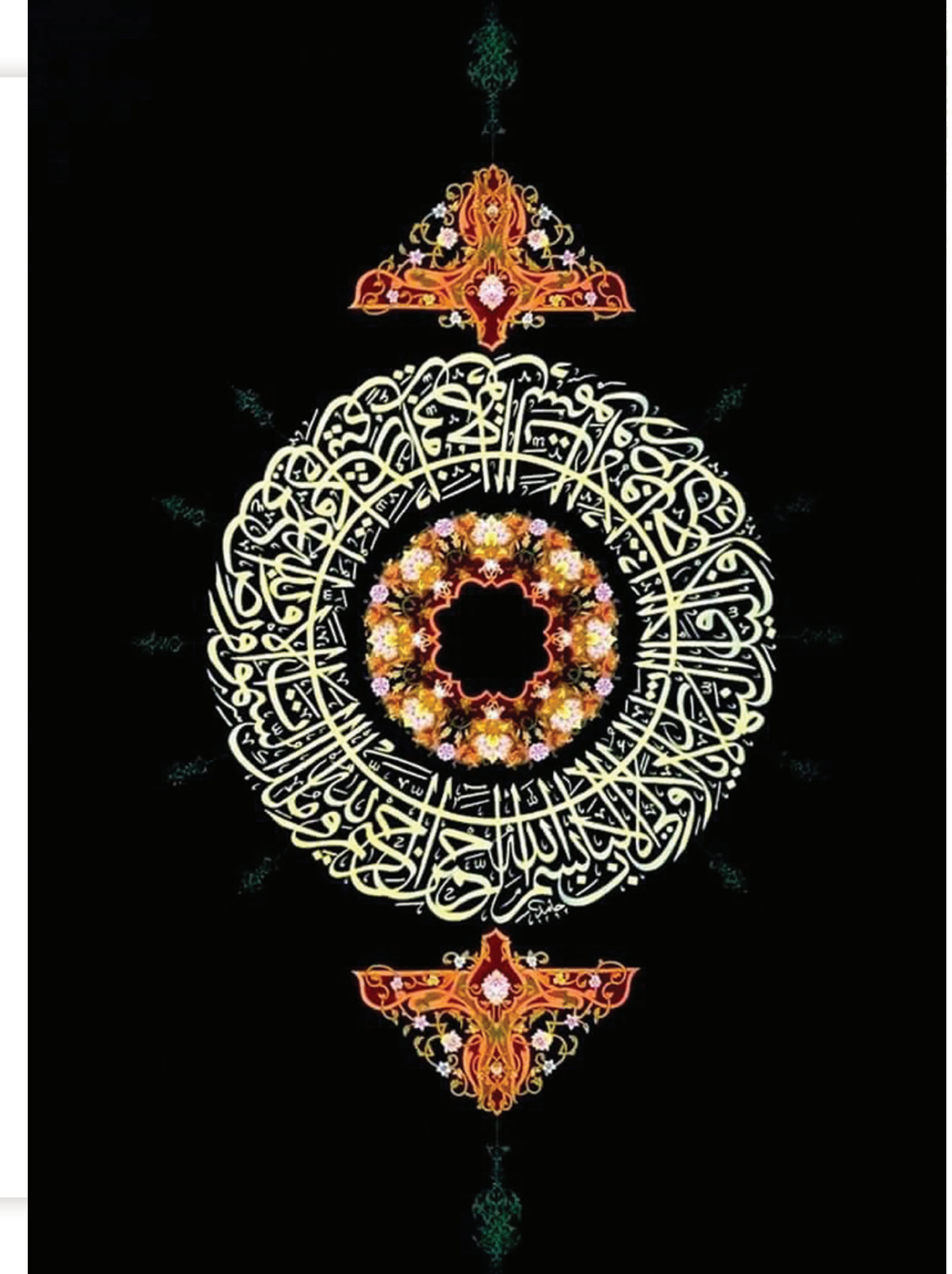

القرائنُ النحويةُ وأثرُها في توجيه المعنـى

((كتاب إعراب الحديث النبويّ للعكبريّ أنموذجًا))

The grammatical presumptions and
their effect in directing the meaning.
((The book of the Prophet's Hadith analyzing
by Al-Ukbari as a model))

م.م. وئام منعم جبار الخفاجيّ
كلية الامام الكاظم

م.م. حيدر محمّد عبيد الخفاجيّ
مديرية تربية بابل

Mrs. Wiaam Munem Jabbar Al - Khafaji
College of Imam Kadhim.
Mr. Haidar Mohammed Obaid Al-Khafaji.
Directorate of Education in Babylon.

الكلمات المفتاحيّة :: الدراسات اللغوية/ القرائنُ النحويةُ / قرينة التضام/ قرينة المطابقة/ قرينة التنغيم

ملخص البحث

يقومُ هذا البحثُ على رصدِ ظاهرةٍ مهمةٍ في الدراساتِ اللغويةِ التي لها دورٌ مؤثرٌ وبارز في توجيه النص العربي، من حيث التركيب العام للجملة، وتوجيه السياق اللغوي في إطاره المتّبع، ووضع المفردة في مكانها المناسب؛ فالقرائن النحويّة لها صلة وثيقة في بيان معنى الكلمة وكذلك إيضاح الوشائج القائمة بين مفرداتها .

جاء البحث تحت عنوان ((القرائن النحويّة وأثرها في توجيه المعنى، كتاب إعراب الحديث النبويّ للعكبري أنموذجًا)) تقاسمته مطالب أربعة :

الأوّل : أثر قرينة التضام في توجيه المعنى ، الثاني: أثر قرينة المطابقة في توجيه المعنى، الثالث: أثر قرينة التنغيم في توجيه المعنى الرابع : قرائن لفظيّة أخرى، وأثرها في توجيه المعنى.

وخرج البحثُ بنتائجٍ عدّة نأمل أن تكون بالمستوى اللائق ومن الله التوفيق.

Abstract

This research investigates an important phenomenon in linguistic studies that have an influential role in directing the Arabic text، in terms of the general structure of the sentence، directing the linguistic context in its context، and putting the item in its proper place. The grammatical evidence is closely related to the meaning of the word، The affinity between its vocabulary.

The research came under the title ((grammar evidence and its impact in directing the meaning، the book of the Prophetic Hadith of Al-Akbari model)) shared four demands:

First: the effect of the presumption of solidarity in the direction of meaning.

Second: the effect of the presumption of conformity in the direction of meaning.

Third: the effect of presumption of toning in the direction of the meaning.

Fourth: other semantic presumptions and its effect in directing the meaning.

The research came out with many results، which we hope will be of the right level.

God is intended.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على خيرِ خلقِ الله محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين

أمّا بعد :

فإنّ الدراسات اللغوية لعبت دورًا بارزًا ومؤثرًا في المجال اللغوي فظهرَ أثرُها البالغُ في توجيه النص العربيّ، من حيث التركيب العام للجملة العربيّة، وتوجيه السياق اللغويّ في إطاره المتّبع، ووضع المفردة في مكانها المناسب، وإنّ الخوض في دراسة القرائن النحويّة، لا يقلّ أهميةً عن الدراسات التي درست موضوعات النحو الأُخرى؛ لأنّ هذه القرائن لها صلةٌ مباشرةٌ في الكلام العربيّ، وبيان ما خفي من معاني لغتنا العربيّة الجميلة، حيث وُظفت هذه القرائن لتحديد المعنى أو المبنى اللغويّ (اللفظيّ والمعنويّ) ومن خلال هذا التحديد يتسنّى للدارس اللغوي معرفة الكثير من غوامض سياقات النصوص العربية، ولا سيما النصوص ذات الشأن السماويّ المقدس: كالنص القرآنيّ والحديث النبويّ، الذي له ارتباطٌ وثيقٌ بحياة العرب والمسلمين؛ لأنّه (صلى الله عليه واله) منزّه عن الخطأ فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يُوحى

فقد ظهر كثيرٌ من العلماء الذين بذلوا جلّ حياتهم في خدمة القرآن والدين الحنيف، ومنهم (أبو البقاء العكبريّ) أحد علماء القرنين السادس والسابع الهجريين، من الذين يُشار إليهم بالبَنان، فقد وظّف فكره الوقاد، وعقله النيّر في إعراب الحديث النبويّ الشريف .

كما تُعدُّ هذه الدراسة من الوجوه التطبيقية والعلميّة للنحو العربيّ : حيث تضمّنت نماذجَ واقعيةً للقرائن اللفظية وخصائصها وأثرها في نقد الرواة والروايات، بحيث تعطي رؤيةً واضحةً عن التطبيق العملي لهذا العلم، وكيف كان أهله ينقدون الروايات ويعلّلونها.

يشتمل هذا البحث على أربعة مباحث تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة، دار الحديث فيها عن (القرائن النحويّة اللفظية وأثرها في توجيه المعنى) وكما يأتي:

- المطلب الأوّل: أثر قرينة التضامّ في توجيه المعنى.
- المطلب الثاني: أثر قرينة المطابقة في توجيه المعنى.
- المطلب الثالث: أثر قرينة التنغيم في توجيه المعنى.
- المطلب الرابع: قرائن لفظيّة أخرى وأثرها في توجيه المعنى: (العلامة الإعرابية ، الأداة، الرتبة)

وفي الختام نودُّ أن نقول: هذا جهد بنيّة خالصة، فما أشجع الرحلة في المجهول، وآمن النقلة في المعلوم ونحن في (مجهول) موضوعنا أول الأمر، و(معلومه) بعد البحث، ولهذا بذلنا الوسع والطاقة ولم ندّخر من ذلك شيئًا فإن أصبنا فذلك المبغى وغاية المأمول، وإن كانت الاخرى فحسبنا أنّنا اجتهدنا، وعلى الله أجر المهتدين.

وقد قيل:

« ليس الفضل من لا يغلط، بل الفضل من يعدُّ غلطُه»

القرائن النحوية اللفظيّة

توطئة

عُني علماءُ اللغةِ بالقرينة اللفظية عنايةً شديدةً ، وظهرَ هذا الاعتناء على يد «الإمام عبد القاهر الجرجانيّ ت ٤٧١ او ٤٧٤ هـ» [1] وهو يقف على معنى النظم فيقول : «ليس النظم سوى تعليق الكلم

بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض « [٢]، ويؤكّد هذا في موضع آخر ويقول : «لا نظمَ في الكلم ولا ترتيبَ حتى يعلق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك « [٣]

والقرينةُ النحوية عنصرٌ من عناصرِ الكلام يستدلّ به على الوظائف النحوية، فيمكن بالاسترشاد بها بأن نقول هذا اللفظ فاعل ، وذاك مفعول به ، أو غير ذلك وهو بمثابة معالم الطريق التي يهتدي بها المرء إلى المكان الذي يقصده « [٤]

وتُعرّف القرائن اللفظية بأنّها: «الصور اللفظية المنطوقة أو المكتوبة على مستوى كل جزء من الأجزاء التحليليّة للتعبيرِ الكلاميّ « [٥]

وتقسّم القرائن اللفظية على :

١- قرينةُ التضامّ .
٢- قرينةُ المطابقة .
٣- قرينةُ التنغيم .
٤- قرينةُ العلامة الاعرابية .
٥- قرينةُ الاداة .
٦- قرينةُ الرتبة .
٧- قرينةُ الصيغة .
٨- قرينةُ الاستدعاء الوظيفيّ .
٩- قرينةُ الوقف .
١٠- قرينةُ الرتبة اللغوية» . [٦]

وسيكون الكلام في قرينة التضامّ وقرينة المطابقة، وقرينة التنغيم، أمّا القرائن النحويّة الاخرى فيشملها مطلب فندرسه بصورة مبسّطة باستخراج مثل واحد لكل قرينة كيلا نثقل البحثَ بكمٍ من الأوراق قليلة الفائدة متخذين كتاب العكبريّ (إعراب الحديث النبويّ) ميداناً تطبيقياً للبحث.

المطلب الاول

أثر قرينة التضامّ في توجيه المعنى:

تتألّف التراكيب النحويّة : « من وحدات متجاورة تستلزم إحداهما الأُخرى في علاقة اعتمادية، كاعتماد المبتدأ على الخبر في الجملة الاسمية، واعتماد الفعل على الفاعل في الجملة الفعلية، واعتماد حرف الجر على المجرور، واعتماد المضاف على المضاف إليه» [٧]

وقد أطلق على هذه العلاقة مصطلح (التضامّ) وهو: أن يستلزم أحد العنصريين التحليليين النحويين عنصرًا آخرً « [٨]

وقد تنبّه سيبويه إلى ظاهرة التضامّ بين المسند والمسند إليه، فقال: « وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدّا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك عبد الله اخوك : وهذا اخوك»[٩] . وإلى ذلك أشار ابن مالك في الفيته[١٠] :

والخبر الجزء المتمّ الفائدة كـ الله بَرٌّ، والأيادي شاهدَة

وهذا يعني أن الرابط الذي يربط بينهما في الجملة هو المعنى، وهذا واضح في التوابع عدا العطف وواضح في التمييز والحال المفردة؛ ولذلك قالوا : « إنّ النعت والمنعوت في المعنى واحد»[١١]

« ومثلما يكون التضامّ بين الألفاظ المفردة يكون بين التراكيب المتضامّة، كالصلة والموصول، والصفة والموصوف والجار والمجرور والمضاف والمضاف إليه «[١٢]

والتضامّ: « قرينةٌ لفظية بدليل أن الموصول مثلا قرينة على أن الجملة التي بعده صلة، وأنّ الاسم

الواقع بعد الأدوات التي لا تدخل إلاّ على الأفعال في الاشتغال لا يكون إلّا منصوبًا على المفعولية لفعلٍ محذوف «[١٣]

ويقسّم الدكتور تمّام حسّان، التضامّ على ثلاثة أقسام:

أ- « التوارد: وهو الطرائق الممكنة في رصف الجملة، فتختلف كل طريقة عن الأخرى تقديمًا، وتأخيرًا، وفصلًا ووصلًا، وهو بهذا المعنى أقرب إلى الاهتمام بدراسة الأساليب التركيبية البلاغيّة الجماليّة منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظيّة « [١٤]

ب- التلازم: هو التضامّ الإلزامي بين الوحدات النحوية؛ لانّ كل عنصر منها متمّ للآخر ومن هذا التلازم: التلازم بين المسند والمسند اليه، والصفة والموصوف، والصلة والموصول، والمضاف والمضاف إليه، والتلازم بين الجار والمجرور «[١٥]

وإلى هذا أشار ابن مالك في الفيته[١٦]

وبعد فعل فاعل فإن ظهر فهو وإلَّا فضمير استتر

ج- التنافي: « وهو قرينة سلبية ينتفي بها أحد المعنيين لوجود الآخر « .

ومن أمثلة التضامّ في الحديث النبويّ الشريف :

- حذف فعل القول وابقاء المقول :

في رواية عبد الله بن أُبيّ: « كان رسول (صلى الله عليه (وآله) وسلم) يُعلّمنا إذا اصبحنا، أصبحنا على فطرة الإسلام ...» [١٧]

قال الشيخ: « تقديره: يعلمنا إذا اصبحنا أن نقول : « أصبحنا على كذا» فحذف القول للعلم به « [١٨] كما في قوله تعال: « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ) (الرعد: ٢٣) أي: يقولون سلامًا.

يتضح أن المصنّف قدّر فعل قول محذوف تقديره(نقول) وهذا التقدير يستلزم عدّة أمور أهمها:

أ- وجود قرينة دالّة على هذا التقدير، والقرينة هي وجود مخاطبين موجّه إليهم القول وقد دلّت على هؤلاء المخاطبين جملة (يعلمنا)

ب- دلّ على هذا التقدير جملة مقولة من قبل النبي(صلى الله عليه واله) وهي جملة (أصبحنا على فطرة الإسلام) وجملة القول هذه يتلازم وجودها حتما مع فعل القول .

ج- الفعل (نقول)المقدّر، فعل مضارع مبدوء بالنون وهذا الفعل يستلزم تضامّا وتلازما الفاعل مستتر وجوبا تقديره (نحن)، ولربما كانت الفائدة من استتار الفاعل هي : الاختصار والايجاز لظهور المعنى واتضاحه، فلا حاجة لذكر الفاعل، ولا يخفى أن استتار الفاعل هنا واجب.

المطلب الثاني

أثر قرينة المطابقة في توجيه المعنى

هي « قرينة لفظية توثّق الصلة بين أجزاء التراكيب ، وتعين على إدراك العلاقات التي تربط بين المتطابقين ، وإذا ما اختلّ شيء من المطابقة أصبحت الكلمات الواردة في التركيب مفككّة العرى، مّما يؤثر في المعنى تأثيرا سلبيا « [١٩] .

والمطابقة تكون في الصيغ الصرفية والضمائر فلا مطابقة في الأدوات، ولا في الظروف مثلاً، إلاّ النواسخ المنقولة عن الفعلية فإن علاقاتها السياقية تعتمد على قرينة المطابقة ، وأمّا الخوالف فلا مطابقة فيها إلاّ ما يلحق (نعم) من تاء التأنيث « [٢٠] يتكوّن النظام الصرفي في اللغة العربية من نوعين من المباني :

الأوّل : « مباني التقسيم وتشمل الاسم، والصفة، والفعل والضمير، و(الخالفة) ومعناها الإفصاح، والظرف ، والأداة «[٢١]

والثاني :» مباني التصريف ، وهي تتمّثل في صور التعبير عن المعاني الآتية :

١- العلامة الإعرابية .

٢- الشخص : والمقصود به المتكلم، والخطاب، والغيبة .

٣- العدد : والمقصود بالعدد الإفراد والتثنية والجمع .

٤- النوع : والمقصود به التذكير، والتأنيث.

٥- التعيين : والمقصود به التعريف، والتنكير. [٢٢]

وقد نصّ الصرفيون : « على وجوب المطابقة في هذه الأنواع الخمسة؛ لأنّها من عناصر التوافق الشكلي للسياق، ووسيلة من وسائل ترابط الأبواب فيه « [٢٣]

« ولا يعبّر عن هذه المعاني بالصيغ الصرفية، ولا بالصور الشكلية، ولكن يعبّر عنها بواسطة اللواصق والزوائد، فالتكلّم والخطاب والغيبة يعبّر عنها في الفعل الماضي بالضمائر المتصلة، وفي المضارع بحروف المضارعة، وليس في صيغة الأمر إلاّ معنى المخاطب»[٢٤]

ويعبّر عن معاني العدد في الأسماء بألف الثنية، و واو الجمع وعدمها، وكذلك الأفعال ويعبّر عن معاني النوع في الأسماء بتاء التأنيث ، وألف القصر، وهمزة المد، وفي الأفعال بتاء التأنث ونون النسوة، ويعبّر عن معاني التعيين، بالألف واللام اللذين يفيدان التعريف «[٢٥]

وتكمن أهمية المطابقة في « نظم الكلمات الواردة في التركيب متوافقة منسجمة وعند اهدارها في الكلام يصبح المعنى الذي يدلّ عليه ضربا من اللغو، وذلك كقولنا :

١- الرجال الصابرون يقدرون . المطابقة تامة صحيحة .

٢- الرجال الصابرين يقدرون . إزالة المطابقة في الإعراب .

٣.- الرجال الصابرون تقدّرون . إزالة المطابقة في الشخص .

٤- الرجال الصابران يقدرون . إزالة المطابقة في العدد .

٥- الرجال صابرون يقدرون . إزالة المطابقة في التعيين « [٢٦] .

فإزالة المطابقة من جهة واحدة أو من جهات متعدّدة فيما ورد من الأمثلة تدلّ على أن هذه الإزالة تذهب بعلائق الكلمات وتقضي على الفائدة من التعبير أي : إنّها تزيل المعنى المقصود فوجود المطابقة هنا يعين على إدراك العلاقات التي تربط بين المتطابقين : لكونها قرينة لفظية تدلّ على المعنى المراد « [٢٧] .

وتظهر المطابقة فيما يأتي :

أولا : المطابقة في العلامة الإعرابية :وتبدو هذه المطابقة في التوابع ، إذ يشترط في التابع أن يطابق متبوعه في الإعراب مطلقاً «[٢٨]

ثانيا : المطابقة في الشخص : ويقصد بالشخص المتكلم والمخاطب والغائب « [٢٩] وبه يتمّ الترابط بين الطرفين المتطابقين وتتمايز الضمائر بحسبه بين المتكلم ، والمخاطب ، والغائب ومن ثم تتضح المقابلات فيه عند إسناد الأفعال ، فإذا كان الفعل مسنداً إلى الاسم الظاهر فإن هذا الاسم في قوة ضمير الغائب ، أمّا إذا كانت الجملة الواقعة خبرا

فعلية وسبقية ضمير فلا بد هنا من التطابق من حيث الشخص مع الضمير « [٣٠]

ثالثا : التطابق في العدد : ويتمثّل في الإفراد والتثنية والجمع « [٣١]ويتمّ التطابق في كلّ منها عند اتصاله باللواحق الخاصة به ، والتطابق في العدد يميّز بين الاسم والاسم ، وبين الصفة والصفة ، وبين الضمير والضمير سواء أكان الضمير للشخص أم كان للإشارة ام كان للموصول « [٣٢]

رابعا : التطابق في النوع : إن التطابق هنا أساس للأسماء والصفات والضمائر (بأنواعها) وتتطابق الأفعال مع هذه الاقسام عند إسنادها إليها أو إلى ضمائرها العائدة عليها كما تتطابق هذه الأقسام في ذلك في مواضع التطابق « [٣٣]

والتطابق في التذكير والتأنيث مطّرد بين المسند والمسند إليه عندما يكون الخبر جملةً فعلية من مثل قولنا : (هند قامت) فتقدم الاسم على الفعل وجب تطابقهما في التأنيث وكذلك إذا تأخّر المسند إليه فكان فاعلًا أو نائب فاعل مؤنثًا تأنيثاً حقيقياً غير منفصل عن الفعل وسواء أكان مفرداً أم كان جمعاً، مثل (قامت فاطمة)، و (قامت الهندات) [٣٤]

وقد وردت المطابقة في الحديث النبويّ الشريف الآتي :

في حديثه : فجعلنَ ينزعن حليهنَ وقلائدهن وقرطتهن وخواتيمهن يقذفونَ به في ثوبِ بلال يتصدقنَ فيه « [٣٥]

إنَّما ذكر الضمير في قوله :(به)؛ لأنّه أراد المال، أو الحلي؛ لأنّ المذكور كله مال وحلي (منكر) فحمل على المعنى، ويجوز أن تعود الهاء إلى معنى الشيء المذكور، ومثله قوله تعالى :» نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ « (النحل: ٦٦) أي بطون المذكور «[٣٦] وفي هذه الرواية :(يقذفون به في ثوب بلال)، والصواب : يقذفن به ؛ لأنّه قال : فجعلن ينزعن ويتصدّقن «[٣٧] حيث استعمل المصنف، الضمير (به) وهو يعود على (المال والحلي)، وهما بالمعنى تحت صنف المذكر، وقيل: إنَّ الضمير على صيغة التذكير؛ لأنّه يعود على لفظ الشيء المذكور الشيء يقع تحت جنس المذكر وكذلك جاء على صيغة التذكير، وقد ذكر المصنف أنّ الصواب في الرواية (يقذفن) لا (يقذفون)؛ لأنّ (يقذفون) لا يطابق فاعل القذف، وهو(النساء)، فـ « (النساء) هنا مؤنث حقيقي؛ لأنَّه دلّ على أنثى من الناس « [٣٨]

المطلب الثالث

أثر قرينة التنغيم في توجيه المعنى

قرينة التنغيم : « ومن قرائن التعليق اللفظية في السابق، التنغيم وهو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق ، فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي هياكل من الأنساق النغميّة ذات أشكال محدّدة ، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الإستفاهمية وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات، وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة «[٣٩]

والتنغيم في اللغة : « النغمة جرسُ الكلام، وحسن الصوت من القراءة ونحوها «[٤٠]

أمّا في الاصطلاح : فهو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام «[٤١]

وقد التفت علماء اللغة إلى التنغيم كونه قرينة ذات أثر

كبير في الدلالة على معنى التراكيب المختلفة ، وقال الوليد بن المغيرة عندما سمع كلام الله يتلى : « ان له حلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر»[٤٢] ، وما هو إلاّ أنه أدرك نغما وجرسا وإيقاعاً لم يكن للعرب عهد به في نثر أو شعر .

« ولولا التنغيم لما أدرك أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) خطّأ ابنته في القصة المشهورة عندما أرادت أن تتعجب من جمال السماء ، فقالت : « ما أجمل السماءِ، فتحوّلت خطأ من التعجب إلى الاستفهام لخطئها بالحركة الإعرابية ، فأجابها : نجومها ؛ جوابًا عن كلامها؛ لأنّه استفهام ، فتحيّرت وبان خطؤها ، فعلم من خلال التنغيم أنّها أرادت التعجب ، فقال لها قولي يا بنية – ما أجمل السماءَ «[٤٣] وهذا يعني أن التنغيم كان دليلاً على المعنى المراد وهو التعجب .

و « التنغيم هو إعطاء الكلام نغمات (ToneS) معيّنة تنتج من اختلاف درجة الصوت (Pitch) وتتحدّد درجة الصوت على وفق عدد الذبذبات التي يولّدها الوتران الصوتيان[٤٤] ويفرّق بعض الدارسين بين نوعين من اختلاف درجة الصوت هما :

أ – النغمة (Tone) : وهي الأثر الناتج من ازدياد عدد الذبذبات أو انخفاضها على صعيد الكلمة .

ب – التنغيم (Intonation) وهو اجتماع نغمات ضمن مجموعة من الكلمات على صعيد الجملة «[٤٥]

«ويظهر الفرق بين هذين النوعين حين يرى الدارس أن بعض اللغات دون غيرها تدعى باللغات النغمية ؛ لأنها تعتمد النغمة فونيًا مفرّقا بين معنى وآخر من معاني الكلمة، وهو ما يدعى بالتونيم (Toneme) مثال ذلك : اللغات الصينية والنرويجية والسويدية وبعض اللغات الأمريكية وللتنغيم ثلاثة أنواع «[٤٦]

أولها : تنغيم الصوت : « وهو التصرّف في نغمة اللفظ تبعًا لمقاصد التعبير، مثال ذلك قول الكميت «[٤٧]

طربتُ وما شوقًا إلى البيض أطرِبُ
ولا لعبًا مني، وذو الشيب يلعبُ

«فيجوز أن ينشد المقطع الأخير من البيت (وذو الشيب يلعب) بنغمة المستفهم المنكر، حتى كأنّه قال : أو ذو الشيب يلعب ؟ كما يجوز أن ينشد بنغمة المخبر ، وكأنه أراد الإخبار بمجهول لعب من ذي الشيب ، وإن ذلك أمر مألوف غير أن مراد الشاعر محمول على الأوّل ؛ لأنه الأنسب لحاله ، ولأنه لم يكن لاعباً حتى يحمل مراده على المعنى الثاني «[٤٨]

ثانيهما : النبر الوظيفيّ ، وهو ضرب من التصويت لدلالة المقال « [٤٩] يُفخم معه الصوت في بعض عناصر الكلام ، فيكون العنصر بذلك بارزًا لدى السامع ، مثال ذلك قول الفرزدق، يهجو جريرًا» [٥٠]:

كم خالةٍ لك يا جَرير وعمةٍ
فدعاء قد حلبت عليّ عشاري

و « كم تحتمل أحد المعنيين : الاستفهام ، أو التعجب فإن كان الأوّل لزم تفخيم النطق بها، بأن تنبر نبرًا قويًا ، وإن كان الثاني فالخفة في نطقها؛ لأنّها الأنسب لحال المتعجب «[٥١]

ثالثهما : « تلوين الوقفات ، والمراد به تنوّع الصوت المصاحب للكلمة المراد الوقوف عليها بتنوّع الأغراض الدلاليّة طولًا وقصرًا، ارتفاعًا وانخفاضًا [٥٢] وخير ما يمثّل هذا النوع الوقوف على رأس الآيات القرآنية ، في مثل قوله تعالى : « مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ» (الحاقة: ٢٨) الأنسب في

الوقوف على (ماليه) انخفاض الصوت مع قصره أو انقطاعه؛ ليؤدي بذلك معنى الحسرة، والندم على التفريط « [٥٣]

ومن أمثلة التنغيم في الحديث النبويّ الشريف مانصه وفي حديثه : « فقال : يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة [٥٤] قال المصنف : « (ما) هنا استفهام بمعنى التعظيم، وهو في موضع نصب بـ(لقيت)، أي : أي شيءٍ لقيت من عقرب «[٥٥] ، فـ (ما) هنا مثل قوله تعالى :» مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» (الواقعة: ٢٧) .

يتضّح من خلال سياق الحديث، أن (ما) للاستفهام، كما ذكر المصنف، والمراد بها هنا التعظيم، والدليل أنا لو أستفهمنا بقولنا : (ما لقيت البارحة ؟)، الجواب : لقيت عقربًا، والظاهر أن قرينة السياق هنا، دلّت على التعظيم من خلال وجهين:

الوجه الأوّل : ظاهرُ التعظيم، فمن يقرأ الحديث بنغمة التعظيم، يختلف عمّن يقرؤه بنغمة إشفاق، فعندما قال الراوي : (ما لقيت من عقربٍ لدغتني البارحة) يتصوّر من خلال استفهام الراوي عمّا لقي، عظم ذلك الكائن وغرابة نوعه، فلو كان صغيرَ الحجم مثلاً لقال: لقيت عقرباً، وانتهى الأمر، لكن استفهامه يدلّ على الدهشة والتعظيم.

الوجه الثاني : جواب الرسول (صلى الله عليه وآله) له، (لو قلت: أعوذ بكلمات الله التامّات من شر ما خلق، لم تضرّك)، دلّ على خطر ذلك المخلوق مستعينًا بكلمات الله سبحانه وتعالى؛ لإزالة خطره وشره .

المطلب الرابع

قرائن لفظية أخرى وأثرها في توجيه المعنى

العلامة الاعرابية :

لقد أجمع المتقدمون على أن العلامة الإعرابية تؤدي وظيفة دلالية ما عدا قطربًا (محمد بن المستنير، ت ٢٠٦ هـ)، يقول أبو القاسم الزجاجي : إنّ المعاني تتضّح بالإعراب هذا قول الجميع إلاّ قطريًا «[٥٦] وهناك أدلّة أستدلّ بها قطرب، منها : « وجود أسماء في كلام العرب متفقة في الإعراب مختلفة في المعاني ، وأسماء مختلفة في الإعراب متفقة في المعاني؛ فما اتفق إعرابه، واختلف معناه كقولك : إنّ زيدًا أخوك ، ولعل زيدًا أخوك، وما اختلف إعرابه واتفق معناه قولك : ما زيد قائم ، وما زيد قائمًا ، ومنها تعدّد الأوجه الإعرابية في العبارة الواحدة حيث تتغيّر الوظائف الإعرابية مع ثبوت المعنى نحو : ما رأيته منذ يومين، ومنذ يومان ، ومن أدلة قطرب أيضا تعدّد القراءات في بعض الآيات القرآنية [٥٧] كما في قراءة الآية الكريمة « يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ»، حيث قرأ الجميع على نصب (كله) ما عدا « أبا عمرو بن العلاء الذي قرأ برفعها « [٥٨]

وعلّل قطرب اختلاف الحركات عندما اعترض عليه النحاة قائلين : فهلاّ لزموا حركةً واحدةً تعقب سكونًا قائلًا : لو فعلوا ذلك لضيّقوا على أنفسهم، فأرادوا الاتساع، وأن لا يحظروا على المتكلم الكلام إلاّ بحركةٍ واحدةٍ «[٥٩]

ومن المحدثين الذين ذهبوا مذهب قطرب (إبراهيم أنيس) قال: ليست حركات الإعراب في رأيي عنصرًا من عناصر البنية في الكلمات، وليست

دلائل على المعنى كما يظن النحاة، بل أن الأصل في كلمة هو سكون آخرها سواء في هذا المبني أو المعرب إذ يقف على كليهما بالسكون، وتبقى مع هذا أو رغم هذا واضحة الصيغة لم تفقد من معالمها شيئًا [٦٠].

وله في ترجيح هذا الرأي ثلاثة أدلّة :

الأوّل : هو أن الشخص العادي الذي لا يعرف قواعد اللغة العربية عندما يقرأ الخبر الذي في الصحف الذي لم تُراع فيه علامة الرفع والنصب والخفض، فيفهم معناه

الثاني : أن الاصل في كلمة هو سكون آخرها، سواء في هذا المعرب أو المبني إذ يوقف على كليهما بالسكون، ومع ذلك تبقى واضحة الصيغة لم يفقد من معالمها شيئا .

الثالث : التشكيك بالأخبار التي روت أسباب نشأة النحو، بل تكذيبها «[٦١]

فيما يتعّلق بدلالة الإعراب على المعنى فهو أمر واضح ، ولا يمكن الاستغناء عنه بتاتا ؛ وذلك لوجوه كثيرة منها : لو جاز في اللغة العربية، وفي القرآن الكريم الرفع في موضع الخفض والنصب وبالعكس، واعتمد في معرفة المعنى على قرائن أخرى غير قرينة العلامة الإعرابية، مثل قرينة أمن اللبس، كما في قولك : أكلَ التفاحةَ زيدًا ، فهل يمكن الاعتماد على مثل هذه القرينة في كل محل، الجواب (لا) ، والوجه الآخر : أن النظام أفضل من الفوضى وعدم النظام، فلا يمكن لأحدٍ أن يعتقد أن الله تبارك وتعالى ينزّل كلامه بلغة تتصف بعدم وجود قواعد تنظّمها وتضبط معناها ، والوجه المهم : أنّ الإعراب قد اعتمده العلماء المسلمون في استنباط الأحكام الشرعية، لما أقرّوه من أن كل إعراب له دلالة معينة.

ولعل من أروع ما قيل للتصريح بالقيمة الدلالية للإعراب، قول عبد القاهر الجرجانيّ : « فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية أو فضل فيه ، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحة أو ذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه «[٦٢]

وما قاله في موضع آخر : قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها، حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان كلام من رجحانه ، حتى يُعرض عليه والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، لا ينكر ذلك إلاّ من أنكر حسّه وغالط في الحقائق نفسه «[٦٣]

غير أنّ المشهور بين علماء النحو، أن العلامة الإعرابية لها أثر دلاليّ في الاسم ، فالإعراب « إنّما كان للفصل بين المعاني، فكل واحد من أنواعه أمارة على معنى، فالرفع علم الفاعلية والنصب علم المفعولية، والجرّ علم الإضافة ، وليس في الأفعال كذلك قالوا إنّما دخل الاعراب الأفعال المضارعة لضرب من الاستحسان ومضارعة الاسم، ولم يدلّ الرفع فيها على معنى الفاعلية ولا النصب على معنى المفعولية كما كان في الأسماء «[٦٤]

فليس لها وظيفة دلالية في الأفعال المعربة فالبصريون يذهبون إلى « أن الفعل المضارع معرّب؛ لثلاثة أوجه : أحدها : « أن الفعل المضارع يكون شائعًا فيتخصّص، كما أن الاسم يكون شائعًا فيتخصّص ألا ترى أنّك تقول: (يذهب) فيصلح للحال والاستقبال ، فإذا قلت : (سوف يذهب) اختصّ

بالاستقبال كما تقول (رجل)، الرجل فيختصّ ، ثانيهما : دخول لام الابتداء عليه ، فنقول : (إنّ زيدًا ليقوم) ... كما تقول : (إنَّ زيداً لقائم)، وثالثها : « ما يجري على المضارع يجري على اسم الفاعل في حركته وسكونه «[٦٥] « فهم يقصرون دلالة العلامة الإعرابية على الأسماء وحدها «[٦٦] وقد رجّح الأنباري رأي أهل البصرة ، وردّ على أهل الكوفة بأنّ المعاني المختلفة تدخل على الحروف ألا ترى أن _ ألا _ تصلح للاستفهام، والعرض، والتمني ، و – من – تجيء لمعانٍ مختلفة من ابتداء الغاية والتبعيض والتبيين والزيادة للتوكيد إلى غير ذلك من الحروف، ولا خلاف بين النحويين أنّه لا يعرب منها شيء[٦٧]

يتضح من ذلك كلّه أنّ ظاهرة الإعراب من أهمّ ما تمتاز به اللغة العربية، وخلاصة ما ينبغي التأكيد عليه هو : أنّ هذه الظاهرة لها دورٌ أساسيٌ في الفهم والإفهام السليمين الدقيقين، ولا سيما في القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف وقد وردت في الحديث النبويّ الشريف الآتي :

- وفي حديث جابر بن عتيك : « نهانا رسول الله (صلى الله عليه (واله) وسلم) عن الشرب في الأوعية التي سمعتم : الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ وَالْمُزَفَّتِ «[٦٨]

قال المصنّف : « يجوز الجرّ على البدل من أوعية، والرفع على تقدير: هي «[٦٩] :

في هذا الحديث توجيهان للمصنف :

الأوّل : هو أنّ هذه الألفاظ الأربعة وهي : (الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ وَالْمُزَفَّتِ) في محلِّ جرٍّ على البدل من أوعية، وهذا يستلزمُ منّا بيانَ دلالة البدل على الإضافة أي: إنّ الدباء وما عطف عليها من الأصناف الثلاثة المذكورة كلها معطوفة على الأوعية متعلقّة بها .

الثاني : فهو الرفع، فقد أسند هذه الأصناف الأربعة إلى مبتدأ محذوف تقديره : (هي) ، فجاءت مرفوعة؛ لأنّها مسندة .

والذي يبدو لنا أنّ الأرجح هو : الجرّعلى البدلية، أي: أن تكون هذه الأصناف الأربعة مجرورة على البدلية من أوعية، فهي بحكم المضافة إليها المتعلقة بها .

قرينة الأداة :

تُعدّ هذه القرين الأساس الذي تبنى الأساليب النحويّة عليها، فضلًا على أنّها تمثّل وظيفة الربط بين أجزاء الجملة العربية .

وقد وردت (الأداة) في اللغة بمعنى : « الآلة ، وجمعها (أدوات)، ولكل ذي حرفة أداة، وهي آلته التي تُقيم حرفته، وأداة الحرب سلاحها « [٧٠]

وفي اصطلاح النحويين : « كلمةُ تستعمل للربطِ بين أقسام الكلام، وتدلُّ على معنى في غيرها «[٧١]

وقد تنبّه النحاة إلى» أهمية هذه القرينة اللفظية في التمييز بين المعاني النحوية ، فبها تستطيع التمييز بين المستغاث به والمستغاث له ، كقولنا : (يا لبكر، يا لله ِ للمسلمين، يا لمحمد لسعيد) فالغالب في نداء المستغاث به أن يجرّ بلام مفتوحة ، ويجرّ المستغاث له بلام مكسورة «[٧٢]

ولهذا صرح الزجاجي بأن دلالة الأداة أبين من دلالة الإعراب قال : الإعراب يسقط في الوقف ، فيسقط الدليل ، فجعل الفرق باللام لئلاّ يزول في وصل ولا وقف فكان أبين دلالة ممّا يدلّ في حال ويسقط في

حال[٧٣]

وللأدوات خصائص تميّزها من غيرها من أقسام الجمل نوجزها بما يأتي :

١- لها الصدارة في الكلام، كأدوات الاستفهام ، والشرط والعرض، والتحضيض وغيرها فهي أكثر تأصيلًا في حقل الرتبة من الضمائر، فمعظم الجمل في العربية تتخذها أساسًا لها ، وتقدّم بعض الأدوات على الألفاظ المفردة، كتقدّم الجار على المجرور ، وأداة الاستثناء على المستثنى، وأداة العطف على المعطوف، فللأدوات رتبها فاذا تأخّرت فإنّ المعنى يتغيّر نحو قولنا: (أزورك متى أهلّ رمضان)، فمتى هنا لا تفيد الشرط ، وإنّما تفيد الظرفية[٧٤]

٢- الأدوات جميعها ذات افتقار متأصّل إلى الضمائم، إذ لا يكتمل معناها إلّا بها، فلا يفيد حرف الجر إلّا مع المجرور، ولا العطف إلّا مع المعطوف حتى أدوات الجمل مفتقرة إلى ذكر الجملة كاملة بعدها حين تحذف وتبقى الأداة بعدها، إلّا مع قرينة يمكن بها فهم المراد فتحلّ القرينة في إيضاح معنى الأداة محلّ الجملة [٧٥]

٣.- إنّها توضّح التعليق ؛ وذلك أن المعاني التي تؤديها الأدوات جميعًا هي من نوع التعبير عن علاقات في السياق، وإن التعبير عن العلاقة معنى وظيفي لا معجمي، فلا بيئة للأدوات خارج السياق؛ لأنّ الأدوات ذات افتقار متأصل - كما سبقت الإشارة - إلى الضمائم، أو بعبارة أخرى ذات افتقار متأصّل في السياق « [٧٦]

٤- «إنّ حذف الأداة في الجملة يؤثّر في المعنى فقط، أمّا تركيب الجملة فإنّه يبقى على حالة من الاسمية أو الفعلية ، نحو قولنا : (ما قامَ زيدٌ) ، فلو حُذفت (ما) لتحوّلت الجملة إلى الإثبات، ولكن الجملة الفعلية الدالّة على المضي باقية[٧٧]

٥- الأدوات كالضمائر ، منها : المنفصل ومنها المتصل ، فإذا كانت الأداة على حرف واحد كانت أداة متصلة بما يأتي بعدها من ضميمة مثل باء الجر في (بمحمّد) ولامه في (لمحمّد) ، أمّا إذا جاءت الأداة على أكثر من حرف واحد، كانت أداة منفصلة مثل: (عن محمد) و (على محمّد) ، فإمّا (منه وعنه وعليه) فالوصل هنا للضمير لا للأداة «[٧٨]

والأدوات في العربية كثيرة، ودخلت الاستعمال على صورة مجموعات، كل مجموعة منها تضمّ مجموعة أدوات، تشترك في دلالة عامة، وتختلف فيما بينها في الاستعمالات الخاصة ، ويجب أن تدرس الأدوات مجموعات لا منفردة لتكون الفائدة أعمّ، فنحن نفهم «معنى الشرط من (إن)، والاستثناء من (إلاّ) ، والاستفهام من (هل)، والتخصيص من(هلّا)، والقسم من (الواو)، وهلمّ جرًا، وما دمنا نفهم هذه المعاني مباشرة من الأدوات، فالأدوات قرائن لفظية على هذه المعاني»[٧٩]

والأدوات على نوعين :

الأوّل : « تدخل على الجمل، ورتبّتها الصدارة، وتدعى (أدوات الجمل) ومثالها : النواسخ جميعها وأدوات النفي، والتأكيد، والاستفهام، والنهي، والتمني، والترجّي، والعرض، والتحضيض، والقسم، والشرط والتعجب والنداء «[٨٠]

الثاني : أدوات تدخل على المفردات ورتّبتها التقدّم على ما تدخل عليه، مثل : حروف الجر، والعطف، والاستثناء، والمعية، والتنفيس، والتحقيق، والتقليل، والابتداء، والنواصب، والجوازم التي تجزم فعلًا

واحدًا « [٨١]

ومن خلال تتبّعنا في دراسة كتاب إعراب الحديث النبويّ للعكبريّ يمكن أن نلاحظ قرينة الأداة في الحديث النبويّ الشريف الآتي :

وفي حديث الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) : « إن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليبعثه « [٨٢]

قال المصنّف : الصواب فتح اللام، ورفع الفعل كقوله تعالى:» وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً « (البقرة: ١٤٣) والتقدير : وإن كان رسول الله (صلى الله عليه (واله) وسلم) لباعثا له ، واوقع الفعل المستقبل موضع اسم الفاعل، وهذه اللام عند البصريين عوض ما لحق (إن) من الحذف ؛ أصلها إنّه كان

وقال الكوفيون : (إن) بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلاّ) [٨٣] ومثله قوله تعالى: «وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ « (يس: ٣٢)

اختلف النحاة في (لام)، (ليبعثه) في الحديث الشريف فمنهم: من رأى أنّ هذه اللام عوض عن المحذوف وهو توجيه البصريين، أمّا الكوفيون، فقالوا: (إن) بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلاّ) .

ويبدو أنّ رأي البصريين لا يخلو من وجه، والذي يهمّنا من هذا الحديث تشخيص (الأداة) وهي (كان)، وتقتضي عملًا معيّنًا وهو رفع اسمها ونصب خبرها ، واسمها في هذا الحديث هو (رسول الله) ، وخبرها جملة فعلية مقترنة باللام التي تكون عوضًا عن المحذوف كما وجّه البصريون، أو بمعنى (إلاّ) كما هو رأي الكوفيين، وعلى كلا التقديرين فإنّ (كان) هنا أداة مختصة بالدخول على الجملة الاسميّة، والقيام بعمل معيّن، وقد سبق بيان هذا .

قرينة الرتبة :

يتصف نظام اللغة « بأنّه نظام مُتسق من ناحية الشكل والمضمون، ويراعى فيه ترتيب الكلمات ترتيبا مناسبًا داخل التركيب بحيث يدلّ كل عنصر من عناصره على المعنى الذي وضع له .

ويقصد بالرتبة في اصطلاح نُحاة العربية : جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق علها اسم الواحد، وتكون لبعض أجزائه نسبة إلى بعض بالتقدم والتأخر « [٨٤] وهي « قرينة لفظية وعلاقة بين جزئين مرتبين من أجزاء السياق يدلّ موقع كل منها من الآخر على معناه «[٨٥] ( )وأكثر ورودها مع المبنيات، فهي تتجاذب مع البناء أكثر ممّا تتجاذب مع الإعراب، ولا سيما مع الأدوات والظروف «[٨٦] ( )

أمّا الأسماء التي تظهر عليها العلامة الإعرابية كما في جملة : (ضربَ زيدٌ محمدًا) فيجوز أن نقول : (ضرب محمدًا زيدٌ) فيتأخّر الفاعل ويتقدّم المفعول به لوجود القرينة اللفظية وهي (العلامة الإعرابية) ، التي أجازت لنا بالتغيير بين مكانيهما وهذا فيما أتصوّر يضفي على اللغة العربية سمة تعدّد القرائن التي تكشف لنا موقع اللفظة ومعناها في كلّ نصٍ بحسب ما يجري عليها من تغيرات، غير أن هذه التغيرات واضحة كما في الجمل التي تقدمت(ضرب زيد محمدًا) وقد تكون غير واضحة، كما في جملة (ضرب موسى عيسى) .

وقد تنبّه سيبويه إلى أهمية قرينة الرتبة، فقال في (باب الفاعل) الذي يتعدّاه فعله إلى مفعول، نحو : ضرب زيدًا عبد الله) : «لأنّك إنّما أردت به مؤخرًا ما أردت به مقدّمًا ولم تُرد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخّرا في اللفظ فمن ثم كان حدُّ اللفظ أن

يكون فيه مقدّما، وهو عربيّ جيد كثير، كأنّهم إنما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه ِ أعنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم «[٨٧]

ويرى الزجاجيّ (ت ٣٣٧ هـ)، أن لعناصر الجملة رتبًا اتفق عليها النحاة قال : « قال البصريون والكوفيون : الاسماء قبل الأفعال، والحروف تابعة للأسماء؛ وذلك أن الأفعال أحداث الاسماء يعنون بالأسماء اصحاب الأسماء، وقد مضى القول في اصطلاحهم على هذا، والاسم قبل الفعل لأنّ الفعل منه، والفاعل سابق لفعله»[٨٨]

وزاد الزجاجي : « اعلم أن أسبق الأفعال في التقدّم الفعل المستقبل؛ لأنّ الشيء لم يكن ثم كان والعدم سابق للوجود ، فهو في التقدم منتظر، ثم يصير في الحال ثم ماضيًا، فيخبر عنه بالمضي، فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل ثم فعل الحال ثم الماضي»[٨٩]

وأشار عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية الرتبة في النظم قال :» إنَّ اللفظ تبع للمعنى في النظم، وإن ترتّب الكلم في النطق بسبب ترتّب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرّد أصواتًا وأصداء حروف ، لما وقع في ضمير؛ ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل»[٩٠]

ولم يغفل المتقدمون رتب الضمائر فضمير المتكلم عندهم يُقدّم على ضمير المخاطب وهذا بدوره يُقدّم على ضمير الغائب وإلى هذا أشار ابن مالك في ألفيته :

وقدّم الأخص في اتصالِ

وقدمن ما شئتَ في انفصال[٩١]

وتابع المحدثون القدماء في الاهتمام بقرينة الرتبة وقسّموها على قسمين :

الأوّل : الرتب المحفوظة، كرتبة الحرف ومدخوله، والموصل وصلته، والمضاف والمضاف إليه، والمبهم والمفسّر، والفعل والفاعل .

الثاني : الرتب غير المحفوظة، كرتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفعل والمفعول به، والمفعول له والمفعول فيه «[٩٢]

وعند الكلام عن الرتبة المحفوظة، يتبادر إلى الذهن رتبة الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام ولعل أبرزها : « أدوات الاستفهام، وأدوات الشرط، فهذه الأدوات يرى النحويون أنّها تتقدم في الكلام مهما كان محلّها الإعرابيّ «[٩٣]

نلحظ قرينة الرتبة في الحديث النبويّ الشريف الآتي:

- في حديث جندب بن عبد الله البجليّ قال رسول الله (صلى الله عليه (واله) وسلم) : « فإنّه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكُبُّه على وجهه «[٩٤]

قال الشيخ : « يجوز فيه ثلاثة أوجه :

١. ضمُ الباء على أنّه مستأنف أي (هو يكبُّه) ، كقوله تعالى: «وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ» (آل عمران: ١١١)

٢. فتح الباء على أنّه مجزوم معطوف على جواب الشرط .

٣. كسر الباء جزمًا أيضًا وجاز فتح الباء وكسرها؛ لالتقاء الساكنين كقولك : مدَّة ومدَّة، ودليل الجزم قوله تعالى: «وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ « (محمد: ٣٨) [٩٥]

في الحديث النبويّ قدّر المصنف ثلاثة أوجه :

الأوّل : ارتأى فيه أن (ثم) حرف استئناف، وهذا يقتضي من جهة الإعراب أن يكون الفعل بعدها مرفوعًا؛ لأنّه هو وفاعله ومفعوله جملة فعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو)، والذي يهمّنا في هذا الحديث، أنّ (ثم) على هذا الوجه واجبة التقدم لأنّها حرف استئناف، وحروف الاستئناف رتبتها محفوظة .

أمّا الثاني : فيقتضي أن (ثم) حرف عطف، وحرف العطف واجب التقدّم على المعطوف عليه، وبهذا تكون رتبته (ثم) محفوظة، فقد تقدّم على المعطوف، وهو الفعل (يكبّه) إلاّ أن العطف يقتضي جزم الفعل .

والثالث : أنّها أيضًا حرف عطف، ولها رتبتها المحفوظة التي تتقدّم بها على المعطوف إلاّ أنّه يجوز هنا فتح الباء وكسرها لالتقاء الساكنين، وقد فصّل المصنف في ذلك، والذي يهمنا في هذا الحديث أن رتبة حرف العطف متصدّرة على المعطوف بصرف النظر عن حركة المعطوف .

الخاتمة

بعد أن يسّر الله سبحانه وتعالى لنا لمّ شتات هذا البحث، والإبانة عمّا ورد فيه، خرجنا بهذه النتائج :

١. للقرينة وظائف كثيرة يمكن جمعها تحت ثلاث وظائف رئيسيّة وهي: (البيان والصرف والدلالة) .

٢. للقرائن النحوية، موقع الصدارة من القرائن اللغوية الأخرى؛ فهي من أهمها وأوسعها فالقرائن الصوتية والصرفية، كلّها تسعى إلى خدمة القواعد والقوانين اللغويّة .

٣. تنقسم القرائن باعتبارات متعدّدة من حيث المصدر والقوة والضعف والقطع وغيره، وكذلك من حيث الوضوح والخفاء، وهي في كل حيثية من هذه الحيثيات على أنواع متعددة .

٤. إنّ قرينة النظام تطلق على العناصر التركيبية التي لا تنفصل عن بعضها، وتذكر متتابعة دومًا دون انفصال؛ لأنّ كل عنصر متعلّق بإيجاد الثاني لإتمام المعنى .

٥. إن التأمّل في الاحتمالات النحويّة التي يحتملها لفظ أو تركيب، يكشف أنّ هذه الاحتمالات تدلّ على ثراء اللغة العربية واتساعها وحيويتها وقابليتها على التنوع في الدلالة والاتساع في المعنى .

ومن الله التوفيق

الهوامش

١- عبداللطيف، محمد حماسة عبداللطيف، العلامة الاعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار غريب ، القاهرة ٢٠٠١م : ص١١٢

٢- الجرجاني، عبدالرحمن بن محمد ، دلائل الاعجاز، تح : ابو فهر محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ م : ص ٢٨

٣- المصدر نفسه : ص ٥٥ .

٤- حسان، تمّام، البيان في روائع القران ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٠م : ص٧

٥- السامي، فاضل مصطفى، اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، مكتبة الخانجي، لا. ت : ص٦٥

٦- خورشيد ، بكر عبدالله ، امن اللبس في النحو العربي دراسة في القرائن ، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٦م : ص٦٢

٧- أحمد نواز حسن، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، دار دجلة، المملكة الاردنية، ط١، ١٤٢٧هـ، ص٢٥٧.

٨- حسان، تمّام ، اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٢١٧.

٩- سيبويه، الكتاب: ١/ ٢٣.

١٠- ابن عقيل، عبد الله، شرح ابن عقيل في الفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١٤، ١٣٨٥هـ: ١/ ٢٠١.

١١- السيوطي، جلال الدين ابو بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية ، القاهرة، لا. ت. : ٣/ ١٤٥.

١٢- سيبويه، الكتاب: ١/ ٢٦٤- ٢٨٨

١٣- حسان، تمّام ، اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٢٢٣.

١٤- المصدر ،نفسه: ص٢١٦، ٢١٧.

١٥- الزامليّ، لطيف حاتم ، اثر القرائن في التوجيه النحوي عند سيبويه، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣م: ص ١٧٣، ١٧٤.

١٦- العقيليّ، عبد الله، شرح ابن عقيل: ١/ ٤٦٤.

١٧- ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد : ٥/ ١٢٣. وتمّام الحديث : « كلمة الاخلاص، وسنة نبينا محمد (صلى الله عليه (واله) وسلم) وملة ابينا إبراهيم حنيف مسلما وما كان من المشركين واذا امسينا مثل ذلك»

١٨- العكبري، عبد الله بن الحسين، اعراب الحديث النبويّ، تح: عبد الاله نبهان ، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ٢، ١٩٨٦م: ص٦٠.

١٩- قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات : ص ٢٩٨ .

٢٠- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها : ص ٢١١ .

٢١- م . ن : ص ٨٦ .

٢٢- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٤٠٠ هـ ص ٢٤٩ .

٢٣- م ، ن : ص ٢٤٩

٢٤- حسّان ، تمام اللغة العربية معناها ومبناها : ص ١٣٤ .

٢٥- م. ن : ص ١٣٤

٢٦- قدور أحمد، مبادئ اللسانيات : ص ٢٩٠.
٢٧- حسّان تمام اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢١٣
٢٨- الأنصاريّ، أبو عبدالله بن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٣١ هـ : نص ٣١٩ .
٢٩- حسّان، تمام مناهج البحث في اللغة : ص ٢٥٥ .
٣٠- حسّان، تمام اللغة العربية معناها ومبناها : ص ٢١٣ .
٣١- المرجع السابق : ص ٢٥٢
٣٢- حسّان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها : ص ٢١٢ .
٣٣- م. ن : ص ٢١٢ .
٣٤- م . ن : ص ٢٥٢ .
٣٥- النيسابوريّ، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم : ٦٠٣/٢ ، ح (٨٨٥)، وابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند أحمد: ٣١٣/٢٢ ، ح (١٤٤٢٠) ، وتمام الحديث : حدثنا يحيى، عن عبد الملك، حدثنا عطاء بن جابر قال شهدت الصلاة مع النبي (صلى الله عليه واله) في يوم عيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، بغير أذان ولا إقامة فلما قضى الصلاة قام متوكئا على بلال فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكرهم وحثهم على طاعته ، ثم مضى إلى النساء ومعه بلال فأمرهن بتقوى الله، ووعظهن وحمد الله، وأثنى عليه وحثهن على طاعته ثم قال : «تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم ، فقالت امرأة من سَفَلَة النساء ، سفعاء الخدين، لم يا رسول الله ؟ قال « أنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن العشيرة «. فجعلن ينزعن حليهن وقلائدهن وقرطتهن، وخواتيمهن، يقذفن به في ثوب بلال يتصدقن به .
٣٦- العكبريّ، إعراب الحديث النبويّ : ص ١٤٢
٣٧- م، ن : ص ١٤٣ .
٣٨- النادر ، محمد أسعد، نحو اللغة العربية، المطبعة العصرية، بيروت . ٢٠١١ م . ص ١٣١ .
٣٩- حسّان تمام اللغة العربية معناها ومبناها : ص ٢٦٦ .
٤٠- الخليل ، العين مادة (ن غ م) : ٤٢٦/٤ ، وابن منظور ، لسان العرب مادة (ن غ م) : ٤٤٩/٦ .
٤١- حسّان تمام، مناهج البحث في اللغة : ص ١٩٨.
٤٢- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الاعجاز : ص ٣٨٨ -٣٨٩ .
٤٣- العزاويّ ، سمير إبراهيم وحيد، التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ، دار الضياء، عمان – الاردن ، ط ٢٠٠٠ ، ١م : ص ٣١ .
٤٤- قدور، مبادئ اللسانيات : ص ١٦٦ .
٤٥- م . ن : ص ١٦٦ .
٤٦- ينظر: قباوة، فخر الدين، التحليل النحوي أصوله وأدلته، الشركة المصرية العالمية – لونجمان ، القاهرة ط١ ، ٢٠٠٦ م : ص ١٨٤ .
٤٧- الكميت ، بن زيد الاسديّ ، هاشميات الكميت، تح : داود سلوم ونوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضة بيوت ط٢ ، ١٤٠٦ هـ : ص ٤٣ .
٤٨- المرجع السابق : ص ١٨٥ .

٤٩- قباوة، فخر الدين ، التحليل النحوي أصوله وأدلته : ص ١٨٥
٥٠- الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة ، ديوان الفرزدق ، تح : عمر فاروق الطبّاع ، دار الأرقم بن الأرقم ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨ هـ : ص ٣٥٩ .
٥١- المرجع السابق : ص ١٨٦ .
٥٢- قباوة فخر الدين، التحليل النحوي أصوله وأدلته : ص ١٨٧ .
٥٣- م ، ن : ص ١٨٩ .
٥٤- النيسابوريّ، صحيح مسلم : ٢٠٨١/٤ ، ح (٢٧٠٩) وتمام الحديث: قال يعقوب ، وقال القعقاع بن حكيم عن ذكوان ابي صالح ، عن أبي هريرة أنه قال : جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه واله) فقال : يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة ، قال : «أما لو قلت : حين أمسيت ، اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم تضرك «.
٥٥- العكبريّ، إعراب الحديث النبويّ : ص ٣٤٤ .
٥٦- الزجاجيّ، عبد الرحمن بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو ، تح : مازن المبارك، دار النفائس ، بيروت، ط٣ ١٤١٨ هـ : ص ٧٠ .
٥٧- المصدر نفسه : ص ٧٠ ، وعبد اللطيف ، محمد حماسة ، العلامة الاعرابية بين القديم والحديث ، دار غريب، القاهرة ، ٢٠٠١ م : ص ٢٦٨ .
٥٨- ابن مجاهد ، أحمد بن موسى بن عباس ، السبعة في القراءات، تح : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة، ط٣ ، (لا . ت) ص ٢١ .
٥٩- المصدر نفسه : ص ٧١ ، وعبد اللطيف ، محمد حماسة ، العلامة الإعرابية بين القديم والحديث : ص ٢٧١ .
٦٠- أنيس ، إبراهيم، من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط ٨ ، ٢٠٠٣ م : ص ٢٢٤ .
٦١- م . ن : ص ٢٢٨
٦٢- الجرجانيّ، دلائل الاعجاز : ص ٨٧ .
٦٣- الجرجانيّ، دلائل الاعجاز : ص ١٢٧
٦٤- ابن يعيش، شرح المفصل : ١١/٧ ، عبد اللطيف ، محمد حماسة العلامة الاعرابية بين القديم والحديث : ص ٢٣٩ -٢٤٣ .
٦٥- الأنباريّ ، عبد الرحمن محمد ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، (لا ، ت) : ٤٣٤/٢ ، مسألة ، (رقم ٧٦) .
٦٦- عبد اللطيف، محمد حماسة ، العلامة الإعرابية بين القديم والحديث : ص ٢٤٠ .
٦٧- الأنباريّ، الإنصاف في مسائل الخلاف : ٤٣٥/٢، مسألة ، رقم ٧٦ .
٦٨- الدباء القرع واحدها دباءة كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب ، (النهاية : ٩٦/٢) .
٦٩- الحنتم، جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة واحدتها حنتمة ، (النهاية : ٤٤٨/١).
٧٠- النقير، أصل النخل ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ، (النهاية : ١٠٤/٥)
٧١- المزفت، هو الإناء الذي طلي بالزفت وهو نوع من الفار . ثم انتبذ فيه ، (النهاية : ٣٠٤/٢)
٧٢- صحيح البخاريّ : ١٠٥/٢ ، ح (١٣٩٨) ، وتمام الحديث : حدثنا حجاج حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أبو

حمزة فقال سمعت ابن عباس (رضي الله عنه يقول) قدم وفد عبد القيس على النبي (صلى الله عليه واله) فقالوا يا رسول الله ان هذا الحي من ربيعة قد حالت بيننا وبينك كفار مضر ، ولسنا نخلص إليك إلا في الشهر الحرام ، فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو إليه من ورائنا قال : آمركم بأربع وانهاكم عن أربع ، الايمان بالله وشهادة أن لا اله الا الله – وعقد بيده هكذا – واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن تؤدنا خمس ما غنمتم ، وانهاكم عن الدُباء والحنتم والنقير والمزفت « قال سليمان وابو النعمان عن ، حماد « الايمان بالله وشهادة أن لا إله إلّا الله « .

٧٣- العكبريّ : إعراب الحديث النبويّ : ص ١٥١.

٧٤- ابن منظور، لسان العرب مادة (أ د و) : ٤٨/١ ، وعبد الرحمن، نشأت على محمود ، التوجيه النحويّ وأثره في دلالة الحديث النبويّ الشريف ، المكتبة العصرية ، ط١ ، صيدا – بيروت ،٢٠١١ م : ص ٥٠ .

٧٥- عزيز ، القرينة في اللغة العربية : ص ٧٤.

٧٦- سيبويه ، الكتاب ٤٢١/١ والانصاريّ أبو محمد عبد الله بن هشام شرح قطر الندى وبل الصدى : ص ٢١٨ .

٧٧- الزجاجيّ ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ، اللامات ، تح : مازن المبارك ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق المطبعة الهاشمية بدمشق ، ١٣٨٩ هـ : ص ٩٨ .

٧٨- حسان تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها: ص ١٢٦ .

٧٩- حسّان ، تمام ، اللغة العربي معناها ومبناها : ص ١٢٦ .

٨٠- السيوطيّ، همع الهوامع : ١١٣/٣

٨١- حسّان ، تمام ، اللغة معناها ومبناها : ص ١٢٦ -١٢٧ .

٨٢- م ، ن : ٢٦ ص -١٢٧

٨٣- ابن يعيش ، شرح المفضل : ١٠/٨

٨٤- حسّان تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها : ص ٢٢٤ .

٨٥- م . ن : ص ٢٢٤ .

٨٦- مسند الامام أحمد : ٢٤٧/٣ ، ح (١٧٢٠) ، وتمام الحديث : حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن حبشي ، قال خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنه عنهما ، فقال « لقد فارقكم رجل بالأمس ما سبقه الاولون بعلم ، ولا ادركه الاخرون إن كان رسول الله (صلى الله عليه (واله) وسلم) ليبعثه ويعطيه الراية ، فلا ينصرف حتى يفتح له وما ترك من صفراء ولا بيضاء ، إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم لأهله « .

٨٧- العكبريّ ، إعراب الحديث النبويّ : ص ٢١٩ -٢٢٠

٨٨- الجرجانيّ، عبد القاهر علي بن محمد الحسينيّ، التعريفات، تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٣ م : ص ٥٩ .

٨٩- حسّان، تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها : ص ٢٠٩ .

٩٠- م . ن : ص ٢٠٨ .

٩١- سيبويه ، الكتاب : ٣٤/١ ، الزامليّ ، لطيف حاتم عبد الصاحب ، أثر القرائن في التوجيه النحوي عند سيبويه ص ١٦٥ .

٩٢- الزجاجيّ ، الايضاح في علل النحو : ص ٨٣ .

٩٣- م، ن : ص ٦٨ .
٩٤- الجرجانيّ ، عبد القاهر ، دلائل الأعجاز: ص ٥٥-٥٦ .
٩٥- العقيليّ، عبد الله بن عقيل ، شرح ابن عقيل : ١٠٦/١
٩٦- حسّان، تمام ، مقالات في اللغة والأدب : ٣٠٠/٢ ، واللغة العربية معناها ومبناها : ص ٢٠٧ .
٩٧- حسّان ، تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها : ص ١٢٦ .
٩٨- النيسابوريّ، صحيح مسلم : ٤٥٤/١ ٠ (٦٥٧) ، وتمام الحديث : حديثه يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا إسماعيل عن خالد ، عن أنس بن سيرين قال سمعت جندبا القسري ، يقول ، قال رسول الله (ص) من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله من ذمته شيء فانه من يطلبه من ذمته شيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم .
٩٩- العكبريّ، إعراب الحديث النبويّ : ص ١٩٤ -١٩٥ .

المصادر والمراجع

١- أحمد، نواز حسن، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، دار دجلة، المملكة الاردنية، ط١، ١٤٢٧هـ

٢- أنيس ، إبراهيم ، من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٨ ، ٢٠٠٣ م .

٣- ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد

٤- ابن عقيل، عبد الله، شرح ابن عقيل في ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١٤، ١٣٨٥هـ.

٥- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر – بيروت ط٣- ١٤١٤ هـ

٦- ابن يعيش، علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٧- ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن عباس، السبعة في القراءات، تح : شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣ ، (لا . ت)

٨- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاريّ، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١، ١٤٢٢هـ .

٩- الجرجانيّ، عبد القاهر علي بن محمد الحسينيّ، التعريفات، تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٣ م.

١٠- الجرجاني، عبدالرحمن بن محمد، دلائل الاعجاز، تح : أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ م .

١١- حسان، تمّام، البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٠م

١٢- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٥، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

١٣- حسّان، تمام، مقالات في اللغة والأدب.

١٤- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة ، الدار البيضاء، المغرب ، ١٤٠٠ هـ.

١٥- خورشيد ، بكر عبد الله، أمن اللبس في النحو العربي دراسة في القرائن، أطروحة دكتوراه – غير منشورة - ، كلية التربية ، جامعة الموصل، ٢٠٠٦م

١٦- الخليل ، أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠هـ) كتاب العين، ، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لا.ت.

١٧- الزامليّ، لطيف حاتم ، أثر القرائن في التوجيه النحوي عند سيبويه، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣م: ص ١٧٣، ١٧٤.

١٨- الزجاجيّ، عبد الرحمن بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو ، تح : مازن المبارك ، دار النفائس، بيروت ، ط٣ ١٤١٨ هـ.

١٩- الزجاجيّ ، عبد الرحمن بن اسحاق ، اللامات ، تح : مازن المبارك ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق المطبعة الهاشمية بدمشق ، ١٣٨٩ هـ .

٢٠- السامي ، فاضل مصطفى ، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، مكتبة الخانجي ، لا . ت .

٢١- السيوطي، جلال الدين أبو بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد الهنداوي،

المكتبة التوفيقية ، القاهرة، لا. ت.
٢٢- العزاويّ ، سمير إبراهيم وحيد ، التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ، دار الضياء ، عمان – الاردن ، ط ١، ٢٠٠٠ م .
٢٣- عبد الرحمن ، نشأت على محمود ، التوجيه النحويّ وأثره في دلالة الحديث النبويّ الشريف ، المكتبة العصرية ، ط١ ، صيدا – بيروت ،٢٠١١ م .
٢٤- عبداللطيف ، محمد حماسة عبداللطيف ، العلامة الاعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، دار غريب ، القاهرة ٢٠٠١م .
٢٥- العقيليّ، عبد الله بن عبد الرحمن (المتوفى : ٧٦٩هـ) شرح ابن عقيل: المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر ، الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
٢٦- العكبري، عبد الله بن الحسين، إعراب الحديث النبويّ، تح: عبد الإله نبهان ، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ٢، ١٩٨٦م.
٢٧- الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة ، ديوان الفرزدق ، تح : عمر فاروق الطبّاع ، دار الأرقم بن الأرقم ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨ هـ.
٢٨- قدور ، أحمد محمد ، مبادئ اللسانيات.
٢٩- قباوة ، فخر الدين ، التحليل النحوي أصوله وأدلته ، الشركة المصرية العالمية – لونجمان ، القاهرة ط١ ، ٢٠٠٦ م.
٣٠- الكميت ، بن زيد الاسديّ ، هاشميات الكميت ، تح : داود سلوم ونوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضة بيوت ط٢ ، ١٤٠٦ هـ.
٣١- الأنباريّ، عبد الرحمن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، (لا ، ت) .
٣٢- الأنصاريّ، أبو عبدالله بن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٣١ هـ .
٣٣- النيسابوريّ ، مسلم بن الحجاج (المتوفى: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٤- النادر، محمد أسعد، نحو اللغة العربية ، المطبعة العصرية ، بيروت . ٢٠١١ م.

إنشائيةُ الذِّات في المعلّقات

Self-Construction in Pendants

د. محمّد معز جعفورة
تونس / كلّية الآداب جامعة سوسة
Dr.. Mohammed Moez Jafoura،
College of Arts in Sousse.

كلمات مفتاحية : الذّات – الإنشائية – الفِعْل – الصّفة – الخطاب – الذّاتية – التّلفّظ – الإيقاع.

Keywords: self - structural - verb - character - speech - subjectivity - pronunciation - rhythm.

ملخص البحث

أردْنا في هذا العمل أن نرصد جمالية الأنا الشّاعر. فوجدنا أنّ الذّات أنجزت ملفوظا أبان عن صورتها بفضل كفاءاتها اللّغوية والايديولوجية والثّقافية وتركت فيها آثارها ليلتقطها المتلفّظ إليه ويجمع شتاتها ويكوّن صورة الأنا وهو في «حالة تلبّس» يتشكّل في ملفوظه الذي هو ظرفُ حدثانه ، ان النّظر في معلّقة عمرو بن كلثوم أثبت في ذهوننا مدى التّماثل والتّشابه اللّذين يسِمان الشّعر العربيّ. غير أنّ ذلك لا يعني أن المعلّقة خالية ممّا يشي بحضور الذّات المتلفظة فيها حضورا متفرّدا. وقد بدا ذلك في الأنا التي تقصّيناها في الوصف والسّرد. وإذ بنا قُدّام ذاتٍ أحوال تبدّت في علاقتها بالأشياء والموجودات خاصّة الخمرة وآلات الحرب (ولم تظهر في علاقتها بالناقة كما فعل طرفة بن العبد مثلا) وهي ذات تقوّم الموصوفات وتصنّفها وتحوّلها إلى قيم موجبة أو سالبة و تنقلها من الوجود التّجريبي إلى الوجود الشّعري وتكشف في الآن ذاته نُظمها الأخلاقية والجمالية وتنتقل بدورها من الوجود الغُفل إلى الوجود الواعي ، والله من وراء القصد.

Abstract

In this work we wanted to monitor the aesthetic ego poet. We found that the self accomplished a metaphor for its image thanks to its linguistic، ideological and cultural competence، and left its effects to pick it up. It combines its diasporas and the image of the ego in a «state of wear» is formed in its coil which is a circumstance. And similarities that call the Arabic poetry. This does not mean، however، that the suspension is free of the presence of the individual in which there is a unique presence. This has appeared in the ego that we have described in the description and narration. (And did not appear in relation to elegance، as did Tarfa ibn al-Abd، for example)، which are related to the classified and transformed into positive or negative values and transferred from the empirical presence to the presence of poetry and reveal at the same time Its moral and aesthetic systems are transmitted in turn from being an omniscient to conscious existence.
God is intended.

المقدمة

تُمثّلُ العودةُ إلى شعر المعلّقات في نظرنا عودة إلى أصول الشّعر العربيّ القديم. وهي عودة محفوفة بالمخاطر والمطبّات. وهو ما تبيّن لنا عندما تصدّينا لمعلّقة عنترة [١]. وحاولنا أن نقرأها قراءة أسلوبية. وكنّا نعلم أنّ ذلك قد يؤدّي بنا إلى إسقاط منهج حديث على نصّ قديم. فحاولنا أن يكون ملفوظ الشّاعر المبدأ والمنتهى. ولم يكن من وُكدنا اختبار المنهج بل الظّفر بأسلوب الشّاعر الفرديّ.

غير أنّ ذلك البحث بقي يراوح في حدود العلامة وثنائية الدّال والمدلول. ذلك أنّ الأسلوبية أفادت من لسانيات سوسور . وهي التي تقرّ بأنّ العلامة منقطعة عن الواقع منغلقة على نفسها إذ المرجع غير لسانيّ (دالّ يحيل على مدلول ومدلول يحيل على دالّ). ولم نتمكّن في ضوء ذلك من إدراك التّفاوض بين الفرد والعلامة ولم نقف على كيفيّة انخراط الذّات المتكلّمة في ملفوظها ما دامت قد أُقصيت من هذا المثلّث:

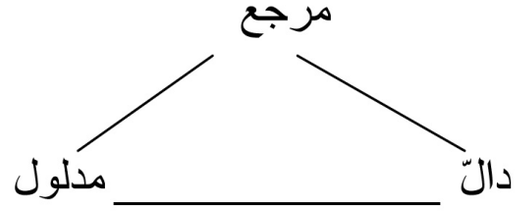

لكنّ اللسانيات وقفت في نهاية القرن الماضي على حقيقة تتمثّل في ضرورة أن يتحرّر النصّ من السّجن الذي أنزلته فيه البنيوية وعقدت المعاقد بين دراسة الكلام وعلم النّفس وعلم الاجتماع والتّاريخ من جديد. وأكّدت نظريات التلفّظ حدود كلّ تحليل لملفوظ لا يبحث عن آثار الذّات المتلفّظة فيه.

كذا لم تعد الذّات كائنة مسبّقا قبل الكلام بل يُمثّل مقولها مكتوبا أو شفويّا شرط وجودها وعلّة كينونتها . وتعالق التلفّظ والذاتيّة وتقاطعا. و لم يَعد بالإمكان الحديث عن تلفّظ خال من آثار الذّات . فذلك كائن في المستوى النّظريّ أو هو كتابة بريئة مثالية [٢].

وبذلك انتقل البحث إلى الملفوظ وتجاوز التّحليل التّركيب ذا الطبيعة البنيوية المحدود بحدود الجملة [٣].

في هذا الإطار يتنزّل بحثنا في معلّقة عمرو بن كلثوم . وهو يروم الكشف عن إنشائية الذّات فيها وكيفيّة تشكّلها النصّي لأنّ الأولوية هنا للمكتوب على المعيش وللخطاب على التاريخ. واختيارنا لهذه المعلّقة (برواية التّبريزي) بالذّات مردّه المفارقة الواضحة بين صوت الذّات الذي نزعم أنّنا نستمع إليه فيها وصوت الجماعة البارز الظاهر في ضمير نحن. فهل هي الهوية الفرديّة أم الجماعيّة ؟

وقد رأينا أن نتدبّر جمالية الأنا من خلال الصّفات والأفعال لأنّنا وقفنا على ذات واصفة وأخرى ساردة. ونحن نسحب الأوصاف والأفعال من المؤشّرات الدّالة على حضور الذّات في خطابها . وإنّ الوقوف عندها يشكّل الإيتوس ethosأي صورة الأنا.

١- التّشكّل النصّي للذّات

بَان لنا ممّا تقدّم أنّ لسانيات التلفّظ تضيق وتتّسع وذلك على النّحو الآتي .

أ- لسانيات تلفّظ ممتدّة étendue وتصف العلاقات التي تنشأ بين الملفوظ ومختلف العناصر المكوّنة لإطار التلفّظ أي:

- قطبي الخطاب : الباث والمتقبّل
- وضعية التّواصل
- الملابسات الزّمانية والمكانية
- الظروف العامّة لإنتاج الرّسالة وتقبّلها مثل : طبيعة القناة والسّياق الاجتماعي والتاريخي ومضايق

عالم الخطاب[٤]

ب – لسانيات تلفّظ «محدودة restreinte » ولا تهتمّ هذه اللّسانيات إلاّ بعنصر مكوّن لعملية التلفّظ وهو : المخاطِب . وعلى هذا الأساس فإنّنا سننظر في المعلّقة ونصرف عنايتنا إلى «الظواهر التلفّظيّة «faits énonciatives » . وهي تعني الآثار اللّسانية الدّالة على حضور المخاطب في ملفوظه وانخراطه فيه تصريحا وتلميحا و صيغ وجوده . تلك هي الذّاتيّة في الكلام بعبارة بنفينيست.

إذن كلّ اختيارات المخاطب تشكّل الذّاتيّة لكن بدرجات متفاوتة [٥] وتمكّنه من توقيع ملفوظه بطابعه الخاصّ.

ومن تلك الاختيارات انصرفت عنايتنا إلى النّعوت والأفعال أساسا. وذلك نظرا لأهمّيتها في المعلّقة. ولقدرتها على كشف جماليّة الذّات فيها.

وسنعتبر هذه الوحدات الذّاتيّة بمثابة معيّنات déictiques ([٦]) وهي معيّنات الذّات المتكلّمة.

وعلى هذا الأساس فإنّ الذي يتغيّر ويتبدّل في المعيّنات مرجعها وذلك بتبدّل الوضعية التّواصلية أمّا معناها فثابت. خذ مثلا ضمير الأنا معناه لا يتغيّر لأنّه يدلّ على المتكلّم أو الذّات المتلفظة. لكنّ مرجعه قد يكون امرأة أو رجلا.

ومن المعيّنات اخترنا أن نبدأ بالنّعت ثم الفعل لأهميّة الأوّل في رسم لوحة المفاخر.

١-١ النّعت /الصّفة

تان مقولتان تحيلان على ذات واصفة. والشّعر فيما يقول ابن رشيق إلاّ أقلّه راجع إلى باب الوصف. فلا سبيل إلى حصره واستقصائه [٧]بل إنّ ابن رشيق يربط بين بعض الشّعراء وبعض الموصوفات فنُعّات الخيل امرؤ القيس والنّابغة. وأمّا الخمر فمن أوصاف الأعشى والأخطل... [٨]

ويشكّل الوصف في المعلقة لوحة المفاخر. وارتبط الوصف في الذّهون بالسّرد لآنّهما متقابلان أنطولوجيا ونصّيا. فهما مرتبطان بوقائع مختلفة أي أنّ الوصف يتعلّق بالكائنات وبالأشياء. بينما يرتبط السّرد بالأحداث وبالأفعال[٩].

وقام بالنّاس جدل بسبب الوصف في الثقافة الغربية لأنّه « خطاب في خدمة الفردية/ التفرّد» [١٠] لذلك كان التّعامل معه تعاملا حذرا ففيه أخطار ثلاثة :

- قد يقحم الواصف في النصّ ألفاظا «غريبة» كألفاظ المِهن.
- وقد يصبح الوصف غاية لا وسيلة فتضعف نجاعته و يخلّ بوحدة الأثر.
- قد تؤدي حرية الواصف في العملية الوصفية إلى عدم التحكّم في ردود أفعال الموصوف له .

لكنّ الوصف حظي بداية من القرن التاسع عشر بعناية النقاد . ففيه تتجلّى «صنعة» المتكلّم وعمله مع اللّغة. ويتجلّى ذلك في اختياراته الأسلوبية وقيمتها الفنّية . [١١] فالوصف من هذه الناحية اشتغال على المعجم أساسا وعلى العالم بالتّصنيف والتقويم والمعرفة . وتصالح الوصف مع النثر لكنّه ظلّ في خصام مع الشّعر ففي القرنين ١٨ و ١٩ مثّل الأثر الفنّي بنية مغلقة close يهدّد الوصفُ وحدتها وتناغمها . حتّى أنّ زولا zola لم يتردّد في نعته بالإثم الوصفي le peché descriptif . وإن كان لا بدّ من الوصف فيجب أن يكون في خدمة الشّخصية. التي مثّلت في القرن ١٩ جوهر النقاشات ومدار الجدل.

على أنّه يجدر التّنبيه ها هنا إلى أنّ الوصف يستدعي من القارئ أن يوظّف كفاءته المعجمية والموسوعية. فإذا بدأ المتكلّم يصف الفرس مثلا عاد القارئ إلى مخزونه المعجمي الغائب أي إلى ذاكرته in absentia ليتثبّت

في الأوصاف المسندة إليه فعمل القارئ في ضوء ذلك استرجاعي retrospectif لا استبقائيّ prospectif . إذن الوصف تسابق بين كفاءتين فإمّا أن يقبل القارئ على الوصف ليتعرّف على ما لا يعرفه مسبقا أو يتعلّم ما يجهله . وإمّا أنّه يغرق في الوصف ويملّ منه ويضجر.

ولذلك كلّه يمثّل الوصف الحيّز الذي تتكاثف فيه التّشابيه والاستعارات والمجازات والتّشخيص لأنّه موطن التّنازع والتنافس. والملفوظ الوصفي ذاتيّ لأنّه حامل لآثار الذات الواصفة في لحظة التلفّظ.

ولمّا كان كذلك عُلم عِلم الضّرورة أنّه من غير الممكن أن ندرس الأنظمة الوصفية في مستواها اللّسانيّ فقط لأنّنا حينذاك نقف عند حدود العلامة. ويذهب في ظنّنا أنّ الوصف مجرّد مخزون من الألفاظ يفرغه الواصف أثناء العملية الوصفية . والحال أنّه يعرض علينا موجودات وكائنات من وجهة نظره. وهو لا يصف إلاّ ما لفت انتباهه وخطف بصره أو فاجأه أو أثّر فيه [١٢] فلا يوجد وصف من أجل الوصف . إنّه منغرس في الطريقة التي ننظر بها إلى العالم وإلى الآخر.

إذن الصفات/ القيود ذاتية لا محالة ولذلك لن يكون درسنا لها لسانيا بل تلفظيّ ينظر في كيفية انخراط الذات فيها.

١-١ ١- النعوت الذاتية

نقل جون كوهين Cohen عن قاليلي Galilé قوله انّ من يقول بأنّ الأشياء الواقعية كبيرة أو صغيرة بعيدة أو قريبة مخطئ. فهي نفسها قد تنعت بأنّها صغيرة أو كبيرة... فكلّ استعمال للنّعوت نسبيّ [١٣].

واقترحت أوركيوني في تصنيفها النّعوت الذاتية هذا التقسيم.

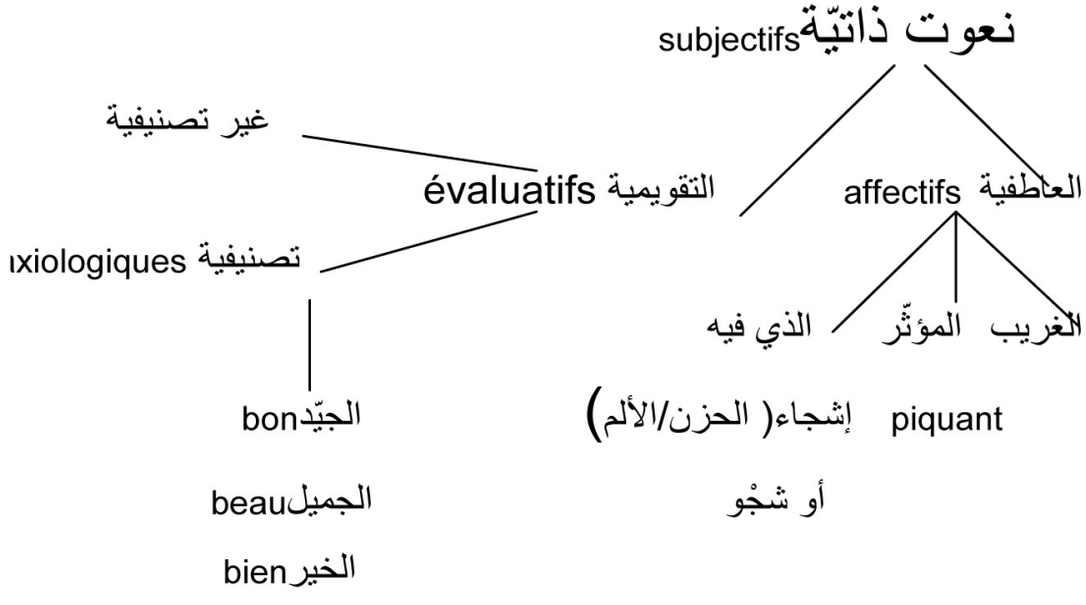

وليست المعلقة ههنا اختبارا لمدى نجاعة هذا التصنيف. بل هو مساعد لتتبّع آثار الذات الواصفة.

وقد رأينا أن ننطلق من الموصوفات في المعلقة ونرصد

حضور الذّات فيها. وهي موصوفات متحرّكة animé وأخرى غير متحرّكة inanimé

١-١-١-١الموصوفات غير المتحركة

١-١-١-١-١ الخمرة

ورد عن الخمرة منذ البيت الأوّل في قوله :

الوافر

ألا هُبّي بصَحْنك فاصْبَحِينا

ولا تُبقي خُمُور الأَنْدرينا

وبذلك تكون الذّات قد سلكت في افتتاح المعلّقة مسلكا يخالف غيرها من الذّوات فعنترة بدأ معلقته الكامل

هل غادَر الشُّعراءُ من مُتَردِّم

أمْ هل عرفتَ الدَّار بَعْد توهُّمِ

يا دار عبْلة بالجِواء تكلّمِي

وعِمي صباحا دار عبلة و اسْلَمي

وابتدأها طرفة بن العبد

الطّويل

لخوْلة أطلالٌ ببُرْقَةَ ثَهْمَدِ

تلوحُ كباقي الوَشْمِ في ظَهْر اليدِ

وافتتحها امرؤ القيس

الطّويل

قِفا نَبْك من ذكرى حبيبٍ ومنزل

بِسِقْط اللّوى بين الدَّخُول فحَوْمَلِ

والحقّ أنّ هذه الوقفات الطللية ليست " وسيلة لنَصل عبرها إلى مكبوتات المجتمع الجاهلي وإلى تطلّعاته" [١٤] ولا هي تعبير عن وقت الفراغ الذي يجد الشاعر نفسه فيه ولا يقدر على الإفصاح عنه إلاّ في مقدّمات قصائده[١٥] . فهذه تفاسير نفسية تنظر في أسباب حدوث الظاهرة ولا تتدبّر وظائفها البنائية والجمالية ودلالاتها. هي عندنا لحظات تراجيدية يعيش الأنا فيها صراعا بين الحياة والموت ثم يقضي فيه بتواصل الأولى فيرحل على ناقته.

وممّا وصف الأنا به الخمرة :

الشّعشعة : في اللّسان شعشع الشّراب مزجه بالماء وقيل المشعشعة الخمر التي أرقّ مزجها . والشعشاع الطويل الحسن الخفيف اللّحم شُبّه بالخمر المشعشعة لرقّتها.

ومِثل هذا النّعت عاطفيّ affectif لأنّه يُخبر بخاصّية من خاصّيات الخمرة وهي الرّقة ويفصح عن ردّ فعل عاطفيّ من المتكلّم تجاه ذاك الموصوف. إنّ اختيار الكلمة في حدّ ذاته لا يخلو من تقويم وتصنيف ويدخل في باب الجيّد . فالشعشعة تدلّ على الحسن حتى في النّاقة فالشّعشعانة النّاقة الصّلبة وذاك ممّا يُستحبّ فيها.

إذن الذّات هي التي قوّمت الخمرة وصنّفتها وفق نُظمها واستغلّت الشّحنة العاطفية الحالّة بالنّعت وكشفت علاقتها بالموصوف وبدأت تُعرّف الآخر بنفسها بل هي تكتشفها في العملية الوصفية.

الصّبوح : وهو في اللّسان كلّ ما أُكل أو شُرب غدوة وهو خلاف الغبوق . والصّبوح الخمرُ .

وهذه صفة لا تُخبر بحكم معياري ولا بشحنة عاطفية غير أنّ السّياق الواردة فيه يحمّلها دلالة تقويمية . فهذه خمرة الصّباح أي الحياة بعد الموت . وهذا

تقويم نوعيّ لا كمّي - ولذلك ارتبط الصّبوح بالقيام والانتباه من النّوم. إذن ما قيّدت به الذّات الخمرة قيود موجبة لا سالبة تحيل على الجيّد والجميل وعلّة الحياة . وغير خاف أنّ هذا الوصف يعرّفنا بذات بصدد تقويم الأشياء الموصوفة وتصنيفها بحيث تبرز موقفها منها . والتقويم مختلف باختلاف الذوات . وإذا كان الأنا قد افتتح ملفوظه بما يحيل على الحياة فإن الذّوات الأخرى ابتدأت ملفوظاتها بالوقوف أمام الموت وعلى منزلة الإنسان في الكون.

إذن الإقبال على الخمرة منذ الصّباح وافتتاح الملفوظ بها ليس دليلا على أنّ الأنا كان سكّيرا. فذلك وصل آليّ "بين وقائع حياة الشّعراء وخصائص فنّهم" [١٦].

إنّ الخمرة التي وصفها الأنا الشّاعر ساحرة تذعن لها النفس وتنقاد لها انقيادا يقول

تَجورُ بذي اللُّبَانَةِ عن هـواهُ

إذا ما ذاقها حتَّى يَلِينَا

تَرى اللَّحِزَ الشَّحيحَ إذا أُمِرَّتْ

عليه لمَالِه فيها مُهِينا

إذن هي تصرف شاربها عن وجهته وتحوّلها وتخرجه من جلدته حتى ما تعرفه على حدّ عبارة بخيل الجاحظ . وهي تجمع المدنّس الى المقدّس إذا ما خالطها الماء يقول

مُشَعْشَعةٌ كأنّ الحُصَّ فيها

إذا ما الماءُ خالَطها سَخِيَنا

أمّا لونها فأصفر لقيمتها. ومثّل هذا اللّون يكشف عن الارتباطات بين الدّاخل والخارج ويؤكد أنّ إرسال لون كهذا ينطوي في ذاته على " إثبات قيمة وإرسال حكم" [١٧]متعلّق بالخمرة وبما يُستحبّ فيها.

تلك هي خمرة الأنا الشّاعر يغنم بها الزّمان وهي "باب المعيشة"[١٨] . ولذلك لم يأت الحديث عنها مقترنا بالهموم لأنّها موقف من الحياة يستبق الأنا أجله بها .

يقول طرفة

الطويل

ألا أ يُّهذا اللاّئِمّي أشْهدُ الوغى

وأن أحْضُر اللّذّات هل أنتَ مُخْلِدي؟

كريمٌ يُروّي نفسَه في حياته

ستَعْلم إنْ مِتْنا غـدًا أيُّنا الصّـدِى

و يقول عمرو

وإنّا سوف تُدْركُنا المَنايا

مُقَدّرةً لنا ومُقَدَّرِينَا

ولو ربطنا هذا البيت بالأول لقال بعده

ألا هبّي بصَحْنك فاصْبَحينا

ولا تُبقي خُمور الأَنْدَرِينا

فإن قيل بعد هذا الخمرة هنا خمرة الجماعة والدليل على ذلك ضمير نحن قلنا إنّ النّعوت التي أسندها المتكلّم إلى الخمرة تكشف عمليات تأويلية عاطفية أحيانا وتقويمية أحيانا أخرى تتعلّق بالموصوف. إذن الواصف لا ينقل الواقع وإنّما تمثّله. ولهذا فالخمرة ها هنا خُلقت في الخطاب وبه . وهو خطاب ذاتيّ تتحمّل الذّات فيه جريرة لسانها وحدها. هكذا ينحطّ السؤال في ما نحن فيه على وجود الموصوفات في حدّ ذاتها من عدمه . وإنّ الذي يوجدها الخطاب وحده- ولذلك المشعشعة هي خمرة الأنا المتكلّم الآن

وهنا والمدامة خمرة الآخر (عنترة) هنا والآن أيضا.

قال في المعلّقة

الكامل

ولقد شربتُ من المُدامَةِ بعدما

رَكَدَ الهَواجرُ بالمشوف المُعْلَمِ

والذي يدلّ على أنّها خمرة الأنا خطابه الموجّه لأنتَ "ترى اللّحز..." إنّه يحاججه . والحجاج ها هنا إجراء يسعى المتكلّم به إلى التأثير في معتقدات الآخر وسلوكاته بالكلام [١٩]. ومصدر الرّؤية هو الأنا يوهم الآخر بأنّه يرى ولذلك كان الوصف في البلاغة العربية والغربية القديمتين يقوم على الإيهام[٢٠] باللّمس والشمّ وبالرّؤية.

١-١-١-١-٢ السّيف والرّمح

هما أدتان من أدوات الصّراع الذي يخوصه الأنا ضدّ الآخر . ويأتي الحديث عنهما في لوحة المفاخر أثناء وصف المعارك وسرد أطوارها.

أ- الرّمح

كنّى الأنا عن الرّمح بصفته فقال

بِسُمْرٍ من قَنا الخطِّيِّ لُدْنٍ

ذوابلَ أو بِبِيضٍ يَعْتَلِينَا

وفي البيت ثلاث صفات :

-السّمر : والسّمرة منزلة بين البياض والسّواد. ويقال امرأة مسمورة أي معصوبة الجسد ليست برخوة اللّحم. وناقة سَمُور : نجيب سريعة. فالجذر يدور حول : الصلابة والسّرعة، وهي معان مستحبّة في الموصوفات. والسّمر من الرّماح أجودها. فاقترن اللّون بالجيّد فنزع منزعا تقويميا تصنيفيا. والذي يؤكّد ذلك صفه ثانية :

لُدن : واللّدن اللّيّن من كلّ شيء . وقناة لدنة ليّنة المهزّة ورمح لدن. وهذه صفة موجبة مستحبّة في الرّمح ليمرّ في الجسم مرّا.

وزاد الأنا وذكر

ذوابل : وذبل النّبات والغضن والإنسان ذبولا : دقّ بعد الرّيّ أي ذوى. وقنا ذابل دقيق لاصق اللّيط. وذبل الفرس ضمر ويساعده ذلك على السّرعة والجري والنشاط. فالرّماح التي يصفها الأنا اجتمعت فيها كلّ الأوصاف الموجبة التي تلحّ على قدرتها على الطعن.

إذن غير خاف عنّا أنّ الأنا يكثف من الأوصاف التي تصنّف الرّمح في خانة الجيّد من وجهة نظرها- ممّا يؤكّد طبيعة هذا الملفوظ (البيت) التقويمية. ويُوقر في الذهون أنّ الذّات في وضع حجاج بتلك الأوصاف وهو ما يربط ربطا وثيقا بين قيمة القيود الدّلالية ووظيفتها التداوليّة باعتبارها تحاول إقناع الآخر لا بالرّمح واقعا فقد لا يكون كذلك بل بالصّورة التي رسمتها الذّات له كما تحبّ هي أن تكون الرّماح سمرا لدنا ذوابل . وفي سبيل ذلك تتوسّل الذّات بالتّماثل الصّوتي "سمر- لدن" لأنّ الملفوظ الذي نحن بصدده منطوق يتلقّى بالسّمع . ومن هنا فإنّ التّكرار يثبت في الذّهون سعي الذّات المتكلّمة إلى التأثير في الذّاكرة السّمعيّة.

إنّ أي استعمال لنعت تقويمي وثيق الصلة بمقاييس التقويم التي يطبّقها المتكلّم على صنف معيّن من الأشياء .

ب- السّيف

وصف الأنا سيفه ثابتا بالنّعت ووصفه بالفعل وهو يعمل.

• السيف ثابتا

- البياض

قال

بِسُمر من قنا الخطِّيِّ لُدْنٍ

ذوابلَ أو بِبِيضٍ يَعْتَلينا

والأبيض السّيف . وركزت الذات على لونه "وأثّرت وصف الكون المرجعيّ"[٢١] والنّعت باللّون دليل على أنّ المتكلّم يحرص على تمثيل الموصوف " بجزئياته الأهمّ وبالألوان الباهرة السّاطعة" [٢٢].

• السّيف يعمل

يقول :

نُطاعِن ما تَراخى النَّاسُ عنّا

ونضربُ بالسّيوف إذا غُشِينا

نشقُّ بها رؤوسَ القوم شقًّا

ونُخْليها الرّقابَ فيَخْتَلِيـنا

تَخالُ جماجم الأبطالِ فيها

وُسُوقاً بالأماعِزِ يَرْتَمينـا

نَحُذُّ رؤوسَهم في غير بِرٍّ

فما يدْرُون ماذا يتّقونَـا

كأنّ سيوفَنا فيها وفيهم

مَخاريقُ بأيدي لاَعِبـيناَ

هذا ضرب من الوصف عن طريق الفِعل[٢٣] description d'actions

يرصد السّيف وهو يعمل بالضّرب والحذّ والقطع.

ولا يخلو هذا الوصف من الدّراما فهو وصف مُمَسْرح dramatisé [٢٤] لذلك كثرت فيه الجمل الفعلية الخبرية الدّالة على شدّة الحركة وحدّة الصّراع الدراميّ. وتواترت في الأثناء الصّور الشعرية القائمة على التّشبيه. وهي تشكّلات configurations خاصّة "وأثر من آثار صنعة المتكلّم "[٢٥] . إنّها الذّات تثير الحواسّ في التّعبير المصوّر بدرجات متفاوتة لكنّ البصر أقواها. فالمتكلّم يعلم أنّ المرئيّ الأكثر وضوحا وحركية وبروزا يرسخ في الذاكرة.

ويعمد المتكلّم إلى صور صوتية قائمة على الاشتقاق أو تشقيق اللّغة. وهذه تخصّ حاسّة السّمع ليقوّي بها أثر المرئي : نشقّ شقّا / نخليها يختلينا. ويحرص في هذا السّياق على تقوية أثر ملفوظه بإحداث توافق بين البنية العروضية والبنية المعجمية وذلك على النّحو الآتي :

بسُمْرٍ مِن قنا الخطّي لدن ذوابلَ أوْ ببيض يعتلينا

مفاعلْتن مفاعلتن

نشُقُّ بِها رؤوس القوم شقّا ونُخْليها لاعبينا الرّقاب فيحتلينا

مفاعلتن مفاعلْتن

كأنّ سيوفنا فينا وفيهم مَخاريقٌ بأيدي لاعبينا

مفاعلْتن

والنّاظر في مواقع هذا التّوافق يجدها في المطالع وتتناسب مع أوصاف الآلة الحربية أو مع عملها في الآخر. وهي "مواقع عروضية"[٢٦] ذات

أهميّة كالمطالع والمقاطع والقوافي. إنّه إيقاع الذّات الحاضر يغلب العروض السابق.

إنّ وصف السّيف وكذلك الرّمح هو عندنا دليل على أنا بصدد التعرّف على نفسه وتعريف الآخر به . ذاك معنى التفاعل/ التّذاوت لأنّ الذي وصفته الذّات هو ما أثّر فيها وهمّت به فصوّرته لتحدّد للآخر قيمها وخلقها إنّها "الإرادة التّواصليّة" [٢٧]وتتمثّل في ضمّ الآخر إلى رؤية الأنا للوجود وللحياة.

١-١-١-١-٢ الموصوفات المتحرّكة

١-١-١-١-٢-١- المرأة

المرأة في المعلّقة حاضرة منذ البيت الأوّل تصريحا لا تلميحا وذلك بضمير يحيل عليها. أنت ألا هُبيّ / ولا تُبقي

لكنّ هيئة حضورها مخالفة لما جرى في سنن العرب. ذلك أنّ الذّات لم تشأ أن تبدأ بالوقفة للأسباب التي ذكرنا فلم تصف المرأة. وقد بدأت بداية فخرية حكيمة دلّت على حكمة علميّة في تعاملها مع الحياة والموت.

وبذاك تكون الذّات الشّاعرة سجّلت حضورها في ملفوظها منذ فاتحته وجوّدت مطلع شعرها بتخييب أفق انتظار المتلفّظ إليه والابتداء " أوّل ما يقرع السّمع وبه يستدلّ على ما عنده من أوّل وهلة " [٢٨]. وممّا يحسّن المطالع النّسيب " لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطّباع من حبّ الغزل والميل إلى اللّهو والنّساء وأنّ ذلك استدراج إلى ما بعده" .[٢٩]

كأنّ الذّات وقد خالفت المعهود المألوف شوّقت السّامع إلى النّسيب. فإذا ورد على النّفس نزل منزلا مُستحلى و لاَطَ بالقلوب .

وذكر الأنا للمرأة أوصافا وهي قسمان :

• أوصاف خِلقيّة

وهذه تتصدّى "لوصف الهيئة الخارجيّة للشّخصيّة"[٣٠]

- طول العنق

يقول :

ذراعَيْ عَيْطَلٍ أدْمَاء بِكْرٍ

تربّعتْ الأَجَارِع والمُتُونَا

وقوله ذراعي عيطل أي أنّها طويلة. والعَيَط في اللّسان طول العنق وامرأة عيطاء : طويلة العنق وهذه صفة مستحبّة في المرأة. وهي نعت تقويمي تصنيفيّ. لانّ إطلاق الصفة استند إلى خاصيّة في الموصوف من جهة وإلى نُظم المتلفظ التقويمية الجمالية ههنا. والمتكلّم في هذا السّياق يصدر حكما معياريا في حقّ موصوفه . لذلك نحن نعدّ هذا القيد ذاتيّا وذاتيته مضاعفة لأنّ استعمال مثل هذا النّعت مختلف باختلاف الذّات المتلفظة وهويكشف عن كفاءتها الايديولوجية .ويفصح عن موقف معيّن يقفه المتكلّم حيال موصوفه . ثمّ إنّ تحديد الطول في حدّ ذاته وكذلك القصير مسألة ذاتيّة. فالطويل هو كذلك بالّنظر لما هو طويل في ذهن المتلفّظ أي بمقاييسه هو لا غيره . ويحيل النّعت على موقع المتكلّم وهو يربط بين الطول والعلوّ. فالرّؤية ها هنا عمودية تصاعدية .

- الرّخص

قال :

وثَدْيًا مثلَ حُقِّ العَاج رَخْصًا

حَصَانًا من أَكُفّ اللاَّمِسِينَا

والرَّخْص الشّيء النّاعم اللّين. وهذا نعت عاطفي لأنّ السّياق يعبّر عن شحنة عاطفية يلتزم بها المتلفّظ تجاه موصوفه. فقد ورد الحديث عن اللّين مقرونا إلى الثّدي وبعده مباشرة وهو نعت تقويمي تصنيفي لأنّ الذّات صنّفت المرأة في صنف اللّواتي ناعمة بشرتُهنّ. والنّعومة والخشونة تقيسيهما الذّات بالعودة إلى مقاييسها هي لهُما.

- النّاهد

قال

وثديا مثل حُقّ العاج رخصا

وهو يقصد الثدي النّاتئ. وامرأة ناهد التي برز ثدياها. والنعت تصنيف للمرأة في خانة ما هو جميل . والجميل ها هنا يكشف مقاييس الجمال عند الذّات.

أوصاف في خُلقية

وهو "وصف أخلاق الشّخصية" [٣١]أي الجوانب المعنوية لا المادّية.

- الحصانة

يقول :

وثديا مثل حقّ العاج رخصا

حَصَانًا من أكفّ اللاّمسينا

والحصان صفة مشبّهة تدلّ على ثبات المعنى في الموصوف ودوامه فيه . والحصان المرأة العفيفة بيّنة الحصن . والإِحْصَان المنع . فهي امرأة منيعة حصينة لا تُلمس ولا تُمسّ . وهذا نعت يخبر بخاصيّة من خاصّيات المرأة الموصوفة ويفصح عن شحنة عاطفية تصدر من الواصف تجاهه . فهو معجب به. وهو أيضا بصدد تقويمه وتصنيفه في خانة ما هو جيّد جميل. إذ العفة إحدى الفضائل النفسية المحمودة التي يُمدح بها إلى جانب العقل والشّجاعة والعدل.

- البكر

يقول :

ذراعيْ عَيْطل أدْماءَ بِكْرٍ

تربّعت الأَجَارع والمُتُونا

والبكر الجارية لم تفتضّ والبكر من النّساء التي لم يقربها رجل . والبكر العذراء. فهذه امرأة حرّة والحرّ من الإبل أجودها ومن النّساء الخالصة الكريمة. وهذه أيضا نعت عاطفي تقويمي تصنيفي.

إذن المرأة التي وصفها الأنا هي المرأة التي يحبّ أن يراها بتلك الأوصاف وهو يكشف مقاييسه الخُلقية والخِلقية حين يقوّمها ويصنّفها.

١-١-١-١-٢-٣ الأنا / نحن

لم يدّخر الأنا جهدا في تقييم ذاته ونعتها وممّا أسنده إليها.

- المَنَعة/المناعة

يقول :

وأنّا المانِعُون لِما يَلِينا

إذا ما البِيضُ فارقت الجُفُونَا

والمانع من صفات التي تعالى. فهو يمنع أهل دينه أي يحوطهم وينصرهم. ومنع الشيء فهو معتزّ ومتعسّر. والمناعة في ما يذكر ابن رشيق من أقسام الشّجاعة

[٣٢]. إذن الصفة ذاتيّة تقويميّة تصنيفيّة. وهي لا تخلو من حكم معياريّ [٣٣]موجب لا سالب . فالأنا يحمي قومه بالسّيف ويمنع عنهم الضّيم والظّلم.

- العِصْمة

يقول

بأنّا العَاصِمُون بكلّ كَحْلٍ

وأنّا الباذِلُون لمُجْتَدِينَا

والعصْمة المنع والعاصم المانع الحامي والعصمة الحفظ والمنعة. فالصفتان متواشجتان متصاقبتان. بل هما ممّا يدخل في الإطناب لتأكيد القيد.

- الإنعام

يقول :

وأنّا المُنْعمُون إذا قدِرْنا

وأنّا المُهْلِكون إذا أُتِينَا

والإنعام هنا إطلاق سراح الأسرى وهو ضرب من الكرم والبرّ. ينتجان عن تركيب العقل مع السّخاء . والتخلية ها هنا محمودة لا مذمومة.

وغير خاف على المتلفظ إليه أنّ المتكلّم بصدد الكشف عن قيمة وخُلَله. وهو يسعى إلى التأثير في المخاطب وإحداث الوَقْع فيه وذلك بطريقتين على الأقل.

أولاهما : تماثل البدايات anaphore القائم على التّكرار والتّماثل الصوتيّ (العاصمون/ المانعون). وهو ترجيع للأوزان ترجيعا ساحرا مؤثّرا بليغا رشيقا- تدعن له النفس إذعانا وهي غاية المتكلّم.

ثانيتها : استغلال الصّيغ الصّرفية كالصفة المشبّهة والمعنى في الصفة ثابت لصاحبه في كلّ الأزمنة ثبوتا عامّا ملازما له دائم فيه[٣٤] .

فالأنا المتكلّم ها هنا في وضع المحاجج وإن لم يصرّح بذلك. والغاية التي يجري إليها حجاجة إقناع الآخر بالصور التي يرسمها لنفسه في الكلام وحمله بالملاينة على الاعتقاد فيها. وهي صورة مرتبطة بظروف التلفّظ المحيطة بها وهي صورة الايتوس المنعكس[٣٥] projectif في ذهن الآخر المخاطَب. وحضور ضمير نحن مرتبط هنا بضميري أنت/أنتم لا محالة. فالضمائر تعيّن أشخاصا متحاورين مخاطِبا ومخاطبا أي في عمل تداولي يؤسّس التلفّظ[٣٦] .

- البذل

يقول

بأنّا العاصِمون بكلّ كَحْل

وأنّا الباذلُون لمُجْتَدينَا

والبذل ضدّ المنع . وبذل أعطاه وجاده به. وهو صفة في الأنا محمودة ولا يخفي المتكلّم افتخاره بها. فهي إذن عاطفية وهي كذلك تقويمية تصنيفية لأنّ الأنا لم يصنّف نفسه من أصحاب الجمع والمنع فذلك مذموم في مُعْتَرف العادة والبذل والتبرّع بالنّائل من أقسام العدل. والسّخاء متى تركّب مع العقل أنتج البرّ. وإذا تركّب مع الشّجاعة أنتج الإتلاف . ويُنتج مع العفّة الإيثار على النّفس[٣٧] .

هكذا تكون الذّات قد كشفت أخلاقها وقيمها واكتسبت كلّ ما هو جيّد جميل حسَن بنعت واحد.

والذي يتحصّل من الوصف والآوصاف ما يلي :

١- اخترقت الذّات العملية الوصفية في الملفوظ باختيار الأوصاف وإسنادها إلى الموصوفات اللاّئقة بها.

٢- الذّات الواصفة ها هنا ناشئة في القصيد وبه . ولا وجود لها خارجه ولا هي موجودة قبله. وهي متحقّقة من خلال إجراءات تلفظية ذات صلة بالنّعت يتفرّد بها القصيد" هنا والآن" ويكتسب بها طابعه الخاصّ. فنحن بإزاء وجه من وجوه الذّات أو صورة من صورها. هي الذّات المقوّمة المصنّفة.

٣- الخطاب الوصفي في المعلّقة هو صوت حميميّ ما يلبث أن يتوجّه إلى الآخر ليعرّفه بنظمه الأخلاقية والجماليّة. هي الإنّية تتوجه نحو الغيرية. والأنا الذي وصف وقيّد ونعت هو أنا غنائي lyrique لا واقعيّ بصدد "البحث عن ذاته" [٣٨] في فعل الإنشاء.

٤- إنّ موضوع النعوت في هذا الملفوظ هو الأنا نفسه . فهو الذي يغوص في أعماق موصوفاته ويُرسي في مرافئها ليعرف ذاته ويعرفها بها . فلأنا في هذا الصّدد قيمة "هو" كأنّه شخصية في عمل روائي. و الذّات إذن لا تفرض على العالم قيمها ولا تُسقط عليه دلالات جاهزة مسبّقا بل "تنتقل" إلى الأشياء لتكتشف فيها خاصّيات كثيرة غير متوقّعة تتبنّاها بعد أن تشكّلها باللّغة و تحوّلها من الكُمون إلى الظهور. إنّ الذّات تتيه بين موصوفاتها لتنشأ نشأة أخرى أمّا تعدّد الموصوفات واختلافها (متحرّكة/ غير متحرّكة وإنسية/حيوانية). فإنّه في ما يرى Ponge بونج بيني كيان الأنا [٣٩]المتخفّي وراء الأشياء.

إنّ وصف المرأة أو الأدوات الحربية...كان في كلّ مرة يولّد في الذّات شعورا أو إحساسا ناشئيْن عن تفاعلها مع تلك الأشياء. وهو تفاعل حضر فيه الجسد حضورا فاعلا وهو يلمس ويرى ويبصر أو هو يوهمنا بذلك.

على أنّ ذاك الجسد ليس آلة بل جسد واع بأنّ فيه روحا وهي ليست الرّوح التي من أمر ربّي . إنّه ينهض بدور إقناعيّ وله قوّة فاعلة في إرادة الآخر [٤٠] فتجعلها تنضمّ إلى الحقيقة التي يوهم بها فعل التلفظ. ويستعمل ذلك الجسد قدرته على الإيهام بالصورة . فيقول مخاطبا الآخر

تخالُ جماجمَ الأبطال فيها

وُسُوقا بالأماعزِ يَرتَمينا

كأنّ سيوفَنَا فينا وفيهِم

مخاريقُ بأيدي لاَعِبِـينا

كأنّ شبابَنا منّا ومنهُم

خُضِبْن بأُرْطُوان أو طُلِيَنا

فالجسد يشارك في عملية الحجاج ويدفع إلى القبول بالواقع المزعوم المدعوم بالحجج الواقعية التجريبية التي تدركها الحواس (البصر اللّمس) ولا يكاد يشكّ العقل فيها. والصورة تنزل منزل الحجّة وتلفت الانتباه إلى العلامات التي لم تعُد تحيل على مراجعها المعهودة.

إنّ الجسد في العملية الوصفية يستعين "بقوّة التّلفّظ" la force énonciative [٤١] للإيهام والمخادعة والمراوغة. إنّه واسطة relais للتعبير عن الذّات وعن رؤيتها للوجود وفلسفتها في الحياة.

إذن إنّ السّفر إلى داخل الأشياء يمكّن المتكلّم من تجاوز حدوده ليتجدّد تجدّدا عميقا ويزيد إلى خواصّه خاصّية أو أكثر جديدة.

هكذا هي عاطفة الذّات المتكلّمة مرتبطة أشدّ الارتباط بالأشياء التي تؤثّر في جسدها فيتعالق العالمان الدّاخلي والخرجيّ.

١-٢الفعل

الفعل معيّن آخر من معيّنات الذّات ودليل على انخراطها في ملفوظها وعلى هيئة تشكّلها النّصانيّ إنّه من أثر الذّات السّاردة لا ذات الأحوال le sujet d'état [٤٢] التي تبيّناها في علاقتها بالموصوفات وبالقيم وفي عوالم التصنيف.

والأفعال التي لفتت انتباهنا تدور حول معنى الصّراع الذي مجاله الحرب. ولاحظنا أنّ الذّات تتّبع خُطاطة سردية ثلاثية في حكاية ذلك الصّراع :

- وضع البداية

وفيه تمهيد للحكي بإظهار البطل من خلال عمل بطوليّ . والبطولة تقتضي تأهيلا للمعنيّ بالأمر.

يقول

أبا هِنْدٍ فلا تَعْجَلْ علينا

وأَنْظِرْنا نُخَبِّرْك اليقينَا

بأنّا نُورِد الرّاياتِ بِيضًا

ونُصْدِرُهنّ حُمْرا قد رَوِينَا

ثم يشرع المتكلّم في سرد أطوار الصّراع لحسم المعركة . وترد فيها أفعال مثل نطاعن و نحذّ. ويظهر الطرف الآخر الذي يصارعه الأنا.

وسيّدِ مَعْشَرٍ قد توّجُوه

بتاجِ المُلْك يَحْمي المُحْجَرِينَا

تركْنا الخيْلَ عاكفةٌ عليه

مُقلَّدَةٌ أعنّتَها صُفُونَـــا

وتنتهي المقاطع السّردية بمقطع التعظيم

مَلأْنا البَرَّ حتّى ضَاق عَنّا

وظهْرَ البَحْر نملؤُه سَفِينَا

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا

فنجْهلَ فَوْق جَهْل الجَاهِلِينَا

إذن هي حكاية كاملة سردتها الذّات واتّبعت فيها خطاطة سردية تعاقبت فيها المراحل الثلاث سرّ التّعاقب منطقيا . فقد كان يمكن للذّات أن تعكس التّرتيب وتقلبه رأسا على عقب . لكنّه اختيارها قام على روايتين متقاطعتين متراكبتين لا تختلف الواحدة عن الأخرى إلاّ بمميّزاتها الأخلاقية المتنافرة سلبا وايجابا. فرواية البطل تتعلّق بالمجد وما لفّ لفّه ورواية الآخر المضادّ للبطل هي رواية الذّلّ والهوان.

١-٢-١- الفعل وضميره

لاحظنا في المعلّقة أنّ الضمير الغالب فيها هو ضمير المتكلّم الجمع . وهو لا يحيل إلاّ على "واقع الخطاب" [٤٣]. فنحن لا نقدر على تحديد هوية أنا/ نحن إلاّ في الوضعية التواصلية وحدها . وكذلك أنت/أنتم لا قيمة لهما إلاّ في الخطاب الذي أنتجهما باعتبارهما المخاطَبين. فهذه الضمائر معيّنات تفاعلِ ذاتيْن في الملفوظ هنا والآن أي في زمانٍ ومكانٍ معاصريْن لأنا وأنت.

ذاك ما يؤكد ضرورة التفريق بين اللّغة نظاما من العلامات واللّغة المجعولة للتكلّم. إنّها أنذاك تتحوّل إلى خطاب مشتغل . وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبار أنا / أنت علامتين افتراضيتين ، إذ لا وجود لهما إلاّ تمّ ترهينهما في الخطاب [٤٤] .

وقد اختارت الذّات من الضمائر ضمير نحن وأسندته إلى الأفعال فقالت

نُطاعن ما تراخى النَّاسُ عنّا

ونضربُ بالسّيوفِ إذا غُشينا

وسبق لها أن قيّدت نحن بقيود. فقالت

نُسَمّى ظالمينا وما ظَلَمْنا

ولكنَّا سنبدأُ ظَالِمِينا

إنّ اللّجوء إلى ضمير المتكلّم الجمع هو عندنا قناع تخييلي وراءه الأنا أو لنقل إنّه "عدول تصويريّ" عن الذّات التّجريبية التّاريخية. كأنّ الأنا يتعاظم فيه الإفراد / المفرد ليبلغ درجة الجمع . فهو يتّسع ليدلّ على ما تسميّه أوركيوني نحن الانضمامي nous inclusif [٤٥]في مقابل نحن الإقصائي nous exclusif [٤٦]. إنّ الذي نحن بصدده "الكلام مُنشدا"[٤٧] . حسب نولفقانق Nolfgang Jayser وهو الذي يظلّ الأنا فيه قريبا جدّا من ذاته يعبّر عنها بالإنشاد . بينما لو اتّسعت الهوّة بينهما يصبح الأنا بمثابة "هو" متحدث عنه". إنّ الذّات تتعنّى ها هنا بأعمالها كما تغنّت بقيمها مبتجهة بلقائها مع الآخر ومع العالم ومع اللّغة أيضا.

إذن إجراء ضمير نحن في البيوت يحيل مباشرة على التلفّظ الذي يتفاعل فيه المتكلّم والمخاطَب إذن " التلفّظ يعني/ يساوي التفاعل القوليّ" [٤٨]. وكلّ تقدّم بحو الإنّية يوازيه تقدّم نحو الغيرية[٤٩] . ولذلك نقول إنّ نحن في هذا السياق انضمامية لا إقصائية وهي تحتوي على أنا الذي هو "المتلفظ الفعليّ الرّاهن هنا والآن" [٥٠]والمسؤول عن ذاك الملفوظ نتاج عملية التلفّظ. والصّوت الخارج بالنّفس والمنطوق والمصاحب بالحركة يجعل التلفّظ محسوسا كسائر الأجسام المادّية. وبما أنّ ذاك الصّوت تعبير عن المعنى الذي قصدته الذّات المتكلّمة فإنّ الصّوت لا يحيل إلاّ على الأنا مركز الرّؤى للعالم وللآخرّ

١-٢-٢- الفعل الذّاتيّ

بدت لنا الأفعال في المقاطع السّردية ذاتيّة خالصة لأنّ مصدر التقويم فيها هي الذّات المتلفّظة . وتعلّقت هذه الأفعال بالحرب أساسا. أمّا موضوع التقويم فهو الجيّد والرّديء. إذن الذّات ستذكر أفعالها الجيّدة وتنهض بوظيفة التقويم والتّصنيف لأنّها ستضع الفعل في خانة مّا وفق مقاييسها هي لا غيرها.

هذه الأفعال بحسب مداليلها هي :

المناعة

يقول

ونحن إذا عِمادُ الحَيِّ خَرَّتْ

على الأَحْفاض نَمْنَعُ ما يَلينا

والمنع الحماية . والتقويم مصدره الأنا والتصنيف يدلّ عليه الحديث عن الآخر الهارب الفزع وذلك غير محمود بل مذموم.

ومثل المناعة المدافعة أو الحماية

يقول :

نُدافِع عنْهُم الأعْداءَ قُدْمًا

ونَحْملُ عنْهم ما حَمَّلُونَا

هذه أفعال كشفت مقاييس المتكلّم الأخلاقية في علاقته بالآخر في ساحة الحرب.لكنّ الحماية والمناعة تقتضيان أعمالا أخرى ذكرتها الذّات السّاردة وهي :

النّحز يقول

نَحُزُّ [٥١]رؤوسَهم في غير بِرٍّ

فما يَدْرُون ماذا يَتَّقُونَا

والنّحز شبه الدّقّ والسّحق. وهو أيضا الضّرب والدّفع.

والتّصنيف الإيجابيّ يؤكّده العجز : فما يدرون ماذا يتّقونا. دلالة على العجْز والذّعر وهذا تقويم سالب .

الطعن والضرب

يقول :

نُطاعِن ما تَرَاخى النّاسُ عنّا

ونَضْربُ بالسُّيوف إذا غُشِينَا

والطّعن يكون بالرّمح. وطعنه وخزه بحِرْبَة . والذي يدلّ على أنّها طعنة موجبة وأنّ المتكلّم يستجيدها قوله : " ما تراخى الناس عنّا " . فهو يتقن الإصابة بالرّمح إذا تباعد الصفّ ويحسن الضّرب بالسّيف إذا تقارب.

إذن تلك هي أعمال الأنا سردتها الذّات سردا دراميّا dramatique قائما على الصّراع بين الأنا والآخر. ولا يخلو ذاك السّرد من أبعاد نذكر منها ما هو على صلة بالقصّ عامّة والحكاية والقصّة خاصّة. إنّهما العجيب[٥٢] merveilleux و الغرابة étrange اللذين تحدّث عنهما تودروف Todorov . والغريب ها هنا يحيّر المسرود له في شأن هذا البطل المحارب. فسيوفه كأنّها مخاريق بيده وتختلي الرّقاب كأنّها عشب . وهذه الحيرة تمتدّ إلى الواقع وإلى العقل وتضعهما موضع تساؤل. وتنهض الصور ها هنا بهذه الوظيفة كقوله :

كأنّ ثِيَابَنا منّا ومنهُمْ

خُضِبْن بأُرْجُوان أو طُلِينا

وشبّه كثرة الدّماء على الثياب بصبغ أحمر . فللصّورة قدرة على إحداث المفارقة الدّلالية "وخلق وضعيات غير متوقّعة رغم أنّ رصيد الكلمات محدود متناه" [٥٣].

إذن لماذا يدخل الأنا الحرب؟ ولماذا يسرد علينا أعماله فيها ؟

الجواب في قوله :

وَرِثْنا المَجْد قد علمَتْ مَعَدٌّ

نُطاعِن دونَه حتّى يَنِينَا

والمجد هو الشّرف والرّفعة. إذن الطعن سبيل إلى تخليد الذّات وفرض السّلطان والسّيادة.

وقال

وَرِثْنا مجد عَلْقَمة بن سيف

أباح لنا حُصُون المَجد دِينَا

والتكرار ها هنا إلحاح على المجد. وهو دليل على ضرورة أن يأخذ السّامع بعين الاعتبار أنّ مرجعية العبارة ينجزها المتكلّم لا العبارة نفسها . فهو الذي يحيل المخاطَب على مرجع يتناسب مع رؤيته للعالم وعلى خاصّيات حقيقية في نظره هو ويُطلعه حينئذ على معارفه وقناعاته ورؤاه للحياة والآخر وللعالم. ولذلك نلاحظ الفرق بين مرجع المجد عنده وعند الآخر الذي يراه في الموجود بينما هو الوجود في منظور الذّات.

يقول :

فصَالُوا صَوْلَةً فيمن يليهِمْ

وصُلْنا صَوْلة فيمن يَلِينَا

فآبُوا بالنِّهاب وبالـسَّبَايا

وأُبْنا بالمُلوك مُصَفَّدِينَا

فالأنا يترفّع عن المغانم والأحوال ولا يطلب المال بل الرّجال الذين كانوا أسيادا . فنزع عنهم رداء العزّ والسّيادة ولبسه فزاد ذاك وقويت تلك لأنّ الصّوْل يكون بين الفحلين وقرنين ثمّ يصول أحدهما فيتقدّم على الآخر فهو صؤول . إنّ استعمال هذا الفعل مشحون بـ "سمات دلالية تقديرية Appréciatifs"[٥٤] مصدرها الذّات . وسبيل المجد الضّرب والطّعن لا غيرهما.

فبالرّمح وبالسّيف يحمي الأنا "شرفه [٥٥] و "مروءته" [٥٦] وهما يحتويان على كلّ القيم الجميلة مثل العفّة والعزّة وحماية الأحواض يقول

على آثارِنا بِيضٌ كِرامٌ

نُحَاذرُ أن تُفارقَ أو تَهونَا

هكذا مثّلت الأفعال (نطاعن- نضرب) جزءا من خطة الذّات الخطابية للوصول إلى طلب المجد والعلى. وهي استراتيجية تقوم على شدّ انتباه الآخر شدّا متواصلا بالتكرار أساسا (المجد- صالوا-صلنا) وهي استراتيجيات شدّ الانتباه les stratégies d'accroches[٥٧]. ومنها إقحام الآخر implication[٥٨] في وجهة النظر المطروحة عليه وذلك بمخاطبته مباشرة. والذي يدلّ على ذلك ضمير أنتم- يقول :

إليكُمْ يا بَني بَكْرٍ إليكُمْ

ألَمَّا تَعْرفُوا مِنّا اليَقِينَا

ألمّا تَعرِفُوا مِنّا ومنْكُمْ

كتائبَ يَطَّعِنَّ ويَرْتَمِينَا

واليقين هاهنا الجدّ في الحرب والاستفهام ذو قيمة مضافة لأنّه بلاغيّ والمتكلّم يعلم جوابه ولا ينتظره من الآخر/ هو سؤال مراوغ fausse question.

الخاتمة

أمّا بعد فإنّ النّظر في معلّقة عمرو بن كلثوم أثبت في ذهوننا مدى التّماثل والتّشابه اللّذين يسِمان الشّعر العربيّ. غير أنّ ذلك لا يعني أن المعلّقة خالية ممّا يشي بحضور الذّات المتلفظة فيها حضورا متفرّدا. وقد بدا ذلك في الأنا التي تقصّيناها في الوصف والسّرد. وإذ بنا قُدّام ذاتٍ أحوال تبدّت في علاقتها بالأشياء والموجودات خاصّة الخمرة وآلات الحرب (ولم تظهر في علاقتها بالناقة كما فعل طرفة بن العبد مثلا) وهي ذات تقوّم الموصوفات وتصنّفها وتحوّلها إلى قيم موجبة أو سالبة و تنقلها من الوجود التّجريبي إلى الوجود الشّعري وتكشف في الآن ذاته نُظمها الأخلاقية والجمالية وتنتقل بدورها من الوجود الغُفل إلى الوجود الواعي.

وتجلّت أنا ذات أخرى فاعلة/عاملة بصدد إنجاز أعمال مندوحة ممدوحة لا مذمومة ولا مكروهة. والحقّ أنّ الذاتين ذات واحدة فهي تصف السّيف "بيض يعتلينا" ثمّ تنجز به عملا أو تصفة وهو يعمل "نشق- نخليها" وبذلك تُكسب الموصوفات قيما تداولية على صلة بالتقويم وقيما عرفانية مرتبطة بما نعرفه عن الموصوف.

هكذا أنجزت الذّات ملفوظا أبان عن صورتها بفضل كفاءاتها اللّغوية والايديولوجية والثّقافية وتركت فيها آثارها ليلتقطها المتلفّظ إليه ويجمع شتاتها ويكوّن صورة الأنا وهو في "حالة تلبّس" يتشكّل في ملفوظه الذي هو ظرفُ حدثانه.

الهوامش

١- العمل لنيل شهادة الكفاءة في البحث بعنوان : « قراءة أسلوبية لمعلّقة عنترة » بإشراف الأستاذ أحمد حيزم عمل مرقون بكلية الآداب بالقيروان. ١٩٩١ -١٩٩٢

2- Villanveva. M.L « Enjeux de la subjectivité et nouvelles approches de la stylistique française » capplettra 29 (tardor 2000) p. 27

3- Culioli.A : « pour une linguistique de l'énonciation » T2.Orhys 1999. p. 11.

4- Orecchioni ; C.K » L'énonciation. De la subjectivité dans le langage» Armand Colin، Paris 2009، pp.35-39

٥- نفسه ص ٣٦.

٦- نفسه ص ٣٦.

٧- ابن رشيق «العمدة في محاسن الشّعر و آدابه « دار الكتب العلمية . بيروت. ٢٠٠١ / ج. ٢ – ص ٢٣٠.

٨- نفسه :ج ٢ - ص ٢٣١-٢٣٢

9- Molino. J « Logiques de la description « In : »Poétique » sept. 1992، n° 91. p. 363.

10- 1981 Hamon . P « L'analyse du descriptif « Hachette . Paris

11- L'analyse du descriptif « . p. 26.

12- Logiques de la descritption »، p. 38O

13- L'énonciation… »p. 94.

١٤- اليوسف يوسف « مقالات في الشّعر الجاهلي» منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي . دمشق . ١٩٧٩ / ص ١١٨.

١٥- خليف يوسف « دراسات في الشّعر الجاهلي» دار غريب للطّباعة و النّشر . ١٩٨١ / ص ١٢٠

١٦- الواد حسين «جمالية الأنا في شعر الأعشى الكبير» المركز الثقافي العربي . المغرب / ٢٠٠١ . ص ٨١

١٧- العجيمي محمّد الناصر «الخطاب الوصفي في الشّعر الجاهلي» مركز النّشر الجامعي و منشورات سعيدان . تونس ٢٠٠٣ / ص ٢١٣

١٨- «جمالية الأنا في شعر الأعشى» ص ٨٥

19- Marquez. E : classification des adjectifs» In « langages « Déc. 1998، n 132، p. 100

20- Molino : » logiques de la description » p. 378 .

21- classification des adjectifs « p.89

22- Logiques de la description p. 373

٢٣- محمد نجيب العمامي : « في الوصف بين النّظرية والنصّ السّردي» دار محمّد علي للنشر. تونس ٢٠٠٥ / ص ٧٧.
٢٤- نفسه ص ٧٩.
25- Tamine . J .G « Pour une nouvelle théorie des figures « PUF 2011 p. 116.
26- Pour une nouvelle….p.19
27-In « pour une nouvelle….. »p. 46. . نقلته تأمين عن Prandi
٢٨- العمدة : ج ١/ ص ٢٢٥.
٢٩- نفسه : ج١، ص ٢٣١.
30- L'analyse du descriptif « P.10»
31- L'analyse du descriptif، p. 10.
٣٢- « العمدة « ج ٢/ ص ٨١.
33- L'énonciation…..p. 102.
٣٤- عبّاس حسن «النحو الوافي» دار المعارف. القاهرة / ط ٨/ ١٩٨٧ج ٣ ص ٢٨٢.
٣٥- نقلت تأمين عن Meyer قوله أنّ الايتوس في عملية التواصل اثنان : ايتوس فعلي effectif وآخر انعكاسي projectif من صنع المخاطب
pour une nouvelle ……. » pp.25-26. «
36- Anscombre J.C.، Ducrot O : l'argumentation dans la langue »، Mardaga 1997.
٣٧- العمدة : ج ٢، ص ٨١.
38- Rabaté.D (sous la direction) : » Figures du sujet lyrique » Puf 1996.p.49.
39- Cité dans collot. M. » le sujet lyrique hors du soi » In » figures du…….. » p. 121.
40- Les significations du « corps » dans la philosophie classique » . Textes réunis par Chantal.J. L'Harmattan 2004 p. 107.
41- Bsaïs W. « Le corps prétexte، le corps texte et le corps sexe dans l'œuvre de A. Khatibi » p. 125. In» Objectivité et corps dans les littérature de langue française » texte réunis par Wafa Bsais Ourani ;actes de la journée d'étude organisée par le groupe de recherche sur « les écritures du moi » le 12/12/03، université Paul Valery Montpellier III-2006

42- Courtes. J. « Sémiotique narrative et discursive » (introduction de Coréimas H.J.) Hachette Supérieur 1993. p . 13.

43- « Problèmes de linguistique générale »T 2/ p. 252.

٤٤- نفسه : ج ٢. ص ٢٥٥.

٤٥- وتقصد به أن يتكوّن نحن من : أنا + أنت/أنتم وتعتبره معيّنا ذاتيا خاصا

«.In : l'énonciation….p. 46

٤٦- هو الذي يتكوّن من : أنا + هو/هم

47- .le sujet lyrique p. 57.

48- Ricœur. P. « Soi-même comme un autre » seuil، Paris، 1990، p. 59.

٤٩- نفسه ص ٥٩.

٥٠- نفسه ص ٦٥.

٥١- ويروي البيت : نجدّ رؤوسهم : أي نقطعها.

52- Aubrit. J.P. « Le conte et la nouvelle » Armand Colin، Paris 2002، pp. 117-118

53-. Pour une nouvelle……..p 23.

54- Rivara. R. » Pragmatique et énonciation « Publication de l'université de Provence 2004، p. 13.

55- Farès Bichr : « l'honneur chez les arabes avant l'Islam » Adrien Maisonneuve، Paris، 1932، p.112.

56- Albert Arazi : « La réalité et la fiction dans la poésie arabe ancienne » Maisonneuve et Larose، Paris، 1989، p. 43.

57- Allouche Victor : « Pour la production des discours، actes et stratégies » l'Harmattan-2013، Paris، p. 132.

٥٨- نفسه ، ص ١٣٤.

المصادر والمراجع

١- التّبريزي ابو زكرياء « شرح القصائد العشر « دار الجيل . بيروت (د.ت)

المراجع باللّسان العربيّ

٢- ابن رشيق «العمدة في محاسن الشّعر و آدابه « دار الكتب العلمية . بيروت . ٢٠٠١

٣- جعفورة محمّد المعز « قراءة أسلوبية لمعلقة عنترة « بإشراف الأستاذ أحمد حيزم عمل مرقون بكلّية الآداب بالقيروان السّنة الجامعية ١٩٩١ -١٩٩٢

٤- خليف يوسف « دراسات في الشّعر الجاهلي» دار غريب للطّباعة و النّشر . ١٩٨١

٥- عبّاس حسن «النحو الوافي» دار المعارف. القاهرة / ط ١٩٨٧/٨

٦- العجيمي محمّد الناصر «الخطاب الوصفي في الشّعر الجاهلي» مركز النّشر الجامعي و منشورات سعيدان . تونس ٢٠٠٣

٧- العمامي محمد نجيب: « في الوصف بين النّظرية والنصّ السّردي» دار محمّد علي للنّشر. تونس ٢٠٠٥

٨- الواد حسين «جمالية الأنا في شعر الأعشى الكبير» المركز الثقافي العربي . المغرب / ٢٠٠١

٩- اليوسف يوسف « مقالات في الشّعر الجاهلي» منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي . دمشق . ١٩٧٩

المراجع باللّسان الأعجمي

10- Albert Arazi : « La réalité et la fiction dans la poésie arabe ancienne » Maisonneuve et Larose، Paris، 1989

11- Allouche Victor : « Pour la production des discours، actes et stratégies » l'Harmattan-2013، Paris، .

12- Anscombre J.C.، Ducrot O » l'argumentation dans la langue » Mardaga 1997

13- Aubrit. J.P. « Le conte et la nouvelle » Armand Colin، Paris 2002

14- Bsaïs W. « Le corps prétexte، le corps texte et le corps sexe dans l'œuvre de A. Khatibi » . In» Objectivité et corps dans les littérature de langue française » texte réunis par Bsais Ourani Wafa ;actes de la journée d'étude organisée par le groupe de recherche sur « les écritures du moi » le 12/12/03، université Paul Valery Montpellier III-2006

15- Chantal.J » Les significations du « corps » dans la philosophie classique » . Textes réunis . L'Harmattan 2004
16- Courtes. J. « Sémiotique narrative et discursive » (introduction de Coréimas H.J.) Hachette Supérieur 1993.
17- Culioli.A « pour une linguistique de l'énonciation » T2.Orhys 1999.
18- Farès Bichr : « l'honneur chez les arabes avant l'Islam » Adrien Maisonneuve، Paris، 1932،
19- Hamon . P « L'analyse du descriptif « Hachette 1981 .Paris
20- Molino. J « Logiques de la description « In : « Poétique » sept. 1992، n° 91. .
21- Marquez. E : classification des adjectifs» In « langages » Déc. 1998، n 132،
22- Orecchioni ; C.K » L'énonciation. De la subjectivité dans le langage» Armand Colin، Paris 2009
23- Rabaté.D (sous la direction) : » Figures du sujet lyrique » Puf 1996
24- Ricoeur. P. « Soi-même comme un autre » seuil، Paris 1990
25- Rivara. R. » Pragmatique et énonciation « Publication de l'université de Provence 2004
26- Tamine . J .G « Pour une nouvelle théorie des figures « PUF 2011 .
27- Villanveva. M.L « Enjeux de la subjectivité et nouvelles approches de la stylistique française » capplettra 29 (tardor 2000)

البنياتُ العليا في ديوان» يتحدث الطمي»[1]

دراسة نحوية نصية

Higher structures in Diwan of “Altamee is talking”
Grammatical and Textual Study.

دكتور: حسام جايل

كلمات مفتاحية : التضمين الدلالي / التعالق النصي/ بنية النص/
العتبات النصية / النصوص المحاذية

Keywords: semantic embedding / text dependency / text structure / text thresholds / adjacent text.

ملخص البحث

سلّط هذا البحث الأضواء على ديوان الشاعر المعروف محمد عفيفي مطر، (يتحدث الطمي) وتوصل البحث الى أن الشاعر مطر يتمتع بحسّ لغوي عال يمكنه من توظيف اللغة توظيفا دقيقا له دلالة معينة، ويحملّه رسالته التي يريدها. وأن التراكيب اللغوية لدى الشاعر- رغم غموض لغته أحيانا- لا تخرج عن المألوف، ولا عن طرائق العرب النحوية والأسلوبية. كون جميع اعمال الشاعر عفيفي مطر تزخر بقدر عال من البنيات العليا - وهذا الديوان احد اهم أعماله - التي تسهم في تشكيل ملامح أعماله كما تتمتع بصيغ التكرار الفني الذي يعدّ من أهم البنى العليا لدى الشاعر في هذا الديوان اذ يتخذ التكرار أشكالا كثيرة ومتنوعة، وكلها تخدم هدف الشاعر ورسالته وتوصل هذا البحث الى ان الاسمية تعدّ أحد أهم ملامح الديوان كبنية عليا يضاف اليها ان الجدلية الكامنة بين الاسمية والفعلية كانت أحد أهم ملامح الديوان وبناياته العليا فيجيد الشاعر توظيف مفردات الريف وأساليبه في الحكي بطريقة فصيحة اذ يتميز الديوان بتوافر كثير من معايير النصيّة أو كلها وعلى العموم فان الخطاب الشعري لدى عفيفي مطر له خصوصية وتفرّد تميّز بها .

وعلى الله قصد السبيل .

Abstract

This research sheds light on the famous poet Mohamed Afifi Matar›s book. The research found that the poet Matar has a high linguistic sense that enables him to employ the language accurately and has a certain significance‹ and carries the message he wants. And that the linguistic structures of the poet - despite the vagueness of his language sometimes - do not go out of the ordinary‹ nor the methods of grammar and stylistic of Arabs. The fact that all the works of the poet Afifi Matar is rich in a high degree of high structures and this is one of the most important works that contribute to the formation of the features of his works and also enjoy the form of technical repetition‹ which is one of the most important structures of the poet in this work‹ taking repetition many forms and variety‹ The goal of the poet and his message and the conclusion of this research that the nominal is one of the most important features of the Court as a supreme structure added to the dialectic inherent between the nominal and the actual was one of the most important features of the Work and the Supreme Intentions That the poet well done in using rural vocabulary and methods in the story in a clear manner‹ characterized by the availability of many of the criteria Or all of the text on the whole‹ the poetic discourse has Afifi Matar his privacy and uniqueness characterize it.

God is intended .

المقدمة

كثيرةٌ هي المذاهبُ التي تتناول الشعر ، وكثيرة هي المداخل التي يحاول المشتغلون بتحليل النصوص النفاذ منها إلى عالمهم؛ بغية الكشف عن جماليات النص الشعري.وتختلف الرؤى والتأويلات وتتعدّد باختلاف أذواق النقاد وتعدّدهم؛ ولا سيما لدى شاعر كبير مثل: محمد عفيفي مطر؛ حيث تتسع مساحة التأويلات وأفق التفسير إلى حد بعيد؛ يساعد على ذلك ويسهم فيه بشكل كبير ذلك الغموض الذي يسيطر على إنتاج الشاعر؛ سواء على مستوى المفردات المعجمية، أو على مستوى التراكيب والأساليب أو على مستوى الصور والأخيلة.

وانطلاقا من محدّدات علم النص وتحليل الخطاب يحاول هذا البحث استخلاص أهمّ السمات المائزة والملامح اللغوية للبنية النصية والخطاب الشعري عند محمد عفيفي مطر في ديوانه» يتحدث الطمي» الذي يضم بين دفتيه عشرين قصيدة متفاوتة الطول، تدور في جلهّا حول الأرض والزرع والحرث والحصاد، والخصب والنماء والجدب وما يرتبط بذلك من حكايات الفلاحين وغنائهم، وما يتبعه من توظيف للأساطير والتراث الشعبي ودلالة كل ذلك على ارتباط الشاعر بالأرض وما تمثله له من قيمة، وما ترمز إليه من دلالة.

ومن خلال المعايير النصية المعروفة في علم النص؛ نستنطق هذا الخطاب الشعري متكئين على البنية اللغوية وما تحيل إليه؛ بحثا عن البنيات العليا التي تشكل، أو تسهم في تشكيل هذا الخطاب؛ فنلحظ سمات مائزة تتمثل في الاتكاء كثيرا على البنية الاسمية وما يتبعها من أساليب وصيغ، وعلى الحكي المستند إلى بنية المضارعة التي يتوافق مع عنوان الديوان» يتحدث الطمي» الذي يشي بالحكي وما يلزمه من آلة سردية.

كما تبرز الإحالة بقسميها: الداخلية والخارجية، وما تعتمد عليه من وسائل وأدوات مثل البنية التكرارية على مستوى الكلمة والجملة، والبنية الكنائية أو الضميرية، وما يساند ذلك كله.

ومن كل هذه العناصر اللغوية تتشكّل لنا ملامح الخطاب الشعرية لهذا الديوان، وتتضح لنا بنياته العليا.

وقداقترحكلمندبيوجراندودريسلرسبعةمعاييرللنص؛ وهي» إشارات لإيجاد نصوص لم تكتسب صفة القوانين الصارمة. وهي:» السبك Cohesion و : الحبك: Coherence القصد:Intentionality،والإعلامية: Informativity والتناص:Intertextuality، والقبول: Acceptability ،والمقامية أو رعاية الموقف:Situationality[٢]

ولا بد من توافر هذه المعايير، أو بعضها؛وذلك بحثا عن ترابط النص لأن النص» في مجمله لا بد أن يتسم بسمات التماسك والترابط» كما يقول جون لاينز[٣].ويتمّ تحديد هذا المستوى للبنية النصية انطلاقا من التفاعل الخلاق بين الكلمات والتراكيب والإشارات والإحالات، وما يتبع ذلك من دلالات، وبناء على ذلك نعتمد على البنيات الكبرى في تحديد سمات النص، ناهيك عن تحديد نصيته.

وتشتمل هذه البنيات « على عدة وحدات مثل القانون أو النسق والعلاقات والعناصر والتماسك، ولذلك فإنه عند التحليل يتمّ البحث في البنية الكبرى أو الوحدة الشاملة أو ما يسمّى بالنموذج الفكري ذي الطبيعة الدلالية والتي تشتمل على المتواليات النصية التي يتحقق النص بتجاورها وتماسكها، وانسجامها، وبتركبها الأفقي وظيفياً وبنيوياً لاكتشاف الهيكل العام للنص فهي متماسكة تماسكاً بنيوياً شاملاً٤[٤].

والبنية العليا تمثّل متوالية؛ وهذه المتوالية تشمل عددا من الجمل ، وتكون» متماسكة دلالياً عندما تقبل كل جملة فيها التفسير والتأويل في خط داخلي يعدّ امتداداً بالنسبة

لتفسير غيرها من العبارات الماثلة في المتتالية. أو من الجمل المحدّدة المتضّمنة فيها، ومن هنا فإن مفهوم النص تتحدّد خصائصه بفكرة « التفسير النسبي « أي تفسير بعض أجزائه بالنسبة إلى مجموعها المنتظم كلياً»[٥] ... «أي إن البنية الكبرى للنص هي تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص». [٦] و»تتحدّد هذه البنيات وفق العناصر الهامة التي يختارها القراء؛ ويختلف ذلك من قارئ لآخر؛ تبعا لاختلاف المعارف والآراء، والاهتمام والثقافة، ومن هنا فإن البنيات العليا أو البنية الكبرى- غالبا- ما تختلف من قارئ لآخر كما ذكرت[٧].

وبناء على ذلك يرى البعض أن مصطلح البنية الكبرى نسبي؛ لأن القارئ/ المتلقي هو الذي يحدّدها، ويحدّد إطاره؛ لأن» مفهوم التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضيفه القارئ على النص. ونتيجة لأن تأويل النص من جانب القارئ لا يعتمد فحسب على استرجاع البيانات الدلالية التي يتضمنها النص، بل يقتضي أيضاً إدخال عناصر القراءة التي يملكها المتلقي داخل ما يسمى بكفاءة النص أو إنجازه فإن نظم العقائد والأعراف والأبنية العاطفية، وما يطلق عليه الشفرات المساعدة عندهم كلها في صنع التماسك للخطاب النصي» [٨].

ورغم أن هذا الاعتراض له وجاهته؛ إلاّ أننا نرى أن هناك عوامل مشتركة، ومن ثم فمن المحتمل أن يتفق بعض القراء على عدد من البنيات العليا، أو يشتركوا فيها وذلك بناء على العوامل المشتركة؛ من ثقافة ولغة، وأحداث وما تحيل إليه النصوص من وقائع ، وما تحمله من دلالات اجتماعية أو سياسية، أو ثقافية يعرفها كثير من الناس.

« وإذا كانت البنى الكبرى يمكن ... أن تختلف جزئياً فحسب من شخص إلى آخر، فإن مبادئ تكوّنها لا تكاد تتغير في حد ذاتها، وترتبط هذه البنى الكبرى بالقضايا المعبرّ عنها بجمل النص بواسطة ما يسمى «بالقواعد الكبرى» فهذه القواعد تحدّد ما هو الأكثر جوهرية في مضمون نص متناول ككل، وعلى هذا فإن القواعد الكبرى تلغي بعض التفاصيل وكي تقصر بالتالي معلومات النص على تكوينها الأساسي»...[٩]

وقد حدّد فان دايك مجموعة من القواعد التي تمكن القارئ من الوصول إلى الأبنية العليا؛ وهي:

١ - الحذف ٢- الاختيار ٣- التعميم ٤- التركيب

ومن الوجهة الشكلية فإن القاعدتين الأوليين هما للإلغاء والثانيتين للإبدال، وإن كانت كلها تقتضي ضرورة تحقيق المبدأ المسمى « بالتضمين الدلالي»[١٠].

والبنيات العليا، أو الأبنية الكبرى؛ تتكون من عدد كبير من الأبنية الصغرى؛ التي تتضافر معا لتكوين البنيات العليا التي تشكّل الخطوط الرئيسية للنصوص.

ولا شك أن القارئ يبدأ أولا بهذه الأبنية الصغرى، ويقوم بما يشبه الحصر لهذه الأبنية، ثم يلي هذه العملية بعملية تقسيم نوعي، أو كيفي لهذه الأبنية الصغرى، ثم بعد ذلك يخضعها(الأبنية الصغرى) لعملية فلترة أو اختزال أو حذف على حد تعبير فان دايك، ثم يقوم- بعد ذلك- بعملية التكثيف ثم الانتقاء، ثم إنشاء الثيمات/ الموضوعات أو المفاهيم التي تنشأ عن طريق ما نسميه بالتعالق النصي بين المفردات الدلالية، أو المناسبة المعجمية، أو تكوّن عددا من المفاهيم/ الثيمات الصغرى لمفهوم أكبر نطلق عليه مثلا: الحب، أو التشاؤم، أو ما إلى ذلك ونحن بصدد البحث عن المعاني أو الأبنية الكبرى معنويا أو دلاليا؛ كالحزن والفرح أو تعميم الخاص، أو تخصيص العام، وكذلك يتم تجميع الجمل الصغرى نحويا في جمل أكبر للبحث عن البنيات العليا جمليا، أو نحويا ، وما

يتبعها من دلالات وما تحيل إليه من معانٍ. [١١]
وهذه – كما ذكرنا- مبنيةٌ على الفرز والتصنيف والاختيار، إضافة إلى الاستبدال، ومن هنا يتم تسليط الضوء على المرتكزات الضوئية[١٢]، أو البؤر المضيئة في النص، التي تشكّل في مجموعها أو في مجملها أبنية عليا لهذا النص أو ذاك[١٣].
وبدهي أن « هذه الوحدات تشكّل حزماً دلالية، وهذه الحزم قد تكون مفردات أو مقولات أو أنساقاً ...الخ وهكذا تحدّد البنية على مستوى السرد، ثم تدرس هذه الوحدات من خلال علاقاتها التشابكية على مستوى الذهن لتؤول بذلك على مستوى الدلالة والرؤية». [١٤]

و» ثمة أمران يؤثران بشكل كبير في تشكيل وحدات البنية وفرزها: ١- طبيعة النص ٢- ثقافة الناقد... لذلك فإن تشكيل وتحديد وحدات البنية، يختلف من ناقد إلى آخر، وإن هذا التشكيل والتحديد خاضع بالدرجة الأولى، للمعرفة الخلفية للناقد ولثقافته الموسوعية... ولكن مهما كانت ثقافة الناقد فإنه لا يستطيع أن يتجاوز هذه الخصائص النوعية ويسقط على النص ما يشاء من رؤى تنظيرية «. [١٥]
هذا ويؤكد د . صبحي الطعان في بنية النص الكبرى « أن الانتظام في البنية مهم ويتعلق بشكل مباشر بالانسجام، فانتظام النص يساعد على انسجام النص، والانسجام يشي حتماً بانتظام النص ولا ننسى أن الانسجام والانتظام لا يكونان إلاّ بالارتباط بالوحدة المفصلية وهذه الوحدة لا تناقش إلاّ بالتزامن مع وحدات أخرى من وحدات المفهوم أي السطح والعمق والتشابك. تعاريف تؤكد بشكل قاطع قيام النص على الترابط والانتظام والانسجام داخل النسيج الواحد» [١٦]
إن مجموعة البنيات العليا الحاكمة هي التي ترسم صور هذا الديوان- في ظني- ومن أمثلة هذه البنى أو البنيات؛ البنية النحوية متمثلة في الاسمية اللافتة، وفي التكرار، وصيغ الجمع التي دائما ما تتحدث عن فريقين وهما: صغار، فلاحون في معاناة دائمة، وحلم لا ينقطع بالقمر الأخضر، وبكسرة الخبز؛ حتى أنهم يلجأون إلى الأغاني، وإلى الحلم أو طلب العون من الأولياء..
وفريق آخر يمثله الانتهازيون السلطويون الذين يمارسون التضليل المستمر والتأجيل الحالم، والتغييب الفاعل.
بعد ذلك تأتي بنية المفارقة تجسيدا لسخرية الحياة، أو قل تصويرا لعبثية المشهد، وتعبيرا عن مشهد حياتي واقعي مؤلم، عاشه الشاعر والأمة فترة ما في بدايات النصف الثاني من القرن المنصرم.
وانطلاقا من عنونة الديوان ببنية المضارعة، وتثنية بالشرح والتوضيح بأنها قصائد من الخرافة الشعبية.
وانطلاقا من العنوان بوصفه أهم عتبات النص وأولها[١٧]؛لأن» العتبات النصية بأجناسها الخطابية أول ما يشدّ البصر، وقد تكون آخر شيء يبقى في الذاكرة حين ننسى النص يظل العنوان وهو واحد من بين عتبات النص يلفح الذاكرة يصرّ على البقاء.
تحملنا هذه العتبات أو ما يصطلح عليه بالنصوص الموازية إلى متاهات التأويل تشدنا إليها، فأنّى لنا أن نفلت من قبضة ذلك الإغراء والإغواء الذي لا ينتهي، كلما اعتقدنا أننا تحررّنا منها عادت وطوقّتنا راسمة آمالاً عراضا، تقدّم لنا قرابين العشق حتى لا ننسى لذة القراءة واللقاء،إنها فخاخ للعشق تحشّد الأفكار وتشدّها إليها، في كل ذلك تذكرنا أنها أهدتنا مفتاحا للدخول وفي الوقت نفسه تطالبنا بضريبة هذا الدخول، ففي النهاية إقامتنا غير شرعية مادامت القراءة قراءات متعدّدة، قد تمنحنا تأشيرة سفر بلا رجعة تاركة إيانا نتخبط

في متاهات التأويل بلا هوادة حتى ندرك أن ليس كل العتبات النصية حاملة لامتياز الشعرية، فكثيرا ما نلتقي بعتبات ونصوص موازية بلا نوايا دلالية»[١٨]،

وأهمية العتبات في أنها تقوم بدور بارز في» العبور بين النص والقارئ، بين الداخل والخارج، بين الفني والجمالي، بكيفية مفتوحة ديمقراطية وإيجابية ومناقضة لإعادة إنتاج النص المغلق،»[١٩].

كما أن قيمة العتبات تكمن في أن « ما توحي به من احتمالات تثير في القارئ شهية القراءة وهذا يتحقق قبل قراءة نص الرواية « [٢٠]

وطبيعي أن» تتجاذب داخل العمل الفني -كما تؤكد الدراسات النقدية العربية الحديثة- عناصر داخلية محايثة IMMANENTE،و أخرى خارجية محيطة و مجاورة له. وقد أسهم الوعي النقدي الجديد في إثارة علاقة العتبات و النصوص المحيطة أو المجاورة بالنص المركزي؛[٢١]، وبذلك أصبح مفهوم العتبة من المكونات الجوهرية للنص ذات خصائص شكلية، ووظائف دلالية تسهم في مساءلة البنيات الأخرى داخل النص[٢٢].

ويعدّ جيرار جنيت GERARD GENETTE من الأوائل الذين أثاروا سؤال العتبات [٢٣]وذلك في مقترحاته النظرية حول موضوع الشعرية عندما حاول تطوير آلياته النقدية الإجرائية بالانتقال من مجال النص المغلق إلى مفهوم النص الشامل. [٢٤]

١- في مفهوم العتبات النصية:

يمكن النظر إلى خطاب العتبات من منظور جمالي مؤثر»... لا مجرد...محطة تواصلية عابرة أحادية المظهر، و بسيطة التكون[٢٥]؛ أي أنها أضحت»... ظواهر نصية معقدة و ملتبسة لا تبوح بكل مدلولاتها ولا تجلي ما هي حاملة له، فمدلولها كامن في منطق تكوّنها وفي ما تشي به من معان و دلالات كامنة غير تلك الظاهرة» [٢٦].

وقد» تقتضي عملية الإحاطة الشاملة بالأثر الأدبي الاستحضار الذهني لمختلف هذه الوسائل المادية لأنها» تشكّل دروبا من أجل الاستكشاف ،ووصلات للتخييل الروائي»[٢٧].

ولا بد أن يراعى في عملية الاتصال والانفصال بين النص والعتبات» العتبات و النصوص المحيطة» PERITEXTES، والنصوص المحاذية اللاحقة. EPITEXTES

١- النصوص المحيطة:

تتوزع العتبات المحيطة بالنص إلى قسمين رئيسيين وهما:

١-عتبات و نصوص محيطة خارجية :

تؤطّر مجموع العناصر التي تؤثّث فضاء صفحة الغلاف الخارجية من قبيل: العنوان، اسم المؤلف، التعيين الجنسي، صورة الغلاف، ومحتويات الصفحة الأخيرة...

٢- نصوص محيطة داخلية: و تتضمّن معطيات داخلية محايثة كالإهداء، و الخطاب التقديمي ،و النصوص التوجيهية، و العناوين الداخلية، و الحواشي، و مختلف التذييلات بوصفها عناصر دالة تؤمّن العبور إلى المتن المركزي أو الفضاء الداخلي للنص. [٢٨].

وربما يتضح لنا هذا من عنوان الديوان؛ الذي يحيل إلى الطمي، والخرافة الشعبية، وكذلك عناوين بعض القصائد التي تحيل إلى الطمي والطين، والحقول، والغناء، والقمر، والموتى، وبيئة الريف، والموت والفقر. [٢٩]

- ب -النصوص المحاذية اللاحقة:

أهمية هذا النوع من النصوص تكمن أساسا في تحديد

مقاصد الكتاب، أو رصد رهانات الكاتب الإبداعية. ومن أبرز عناصر العتبات اللاحقة نذكر: الاستجوابات الصحفية، و الحوارات، و الاعترافات، و الشهادات .و إجرائية هذه النصوص المحاذية اللاحقة تظهر من خلال الحد من مسؤولية الكاتب إزاء بعض هذه العتبات من قبيل: استدراكه لتأويل غير مناسب لتعيين جنسي محدد (مسرحية مثلا) بقوله:»ليس هذا بالضبط ما أريد قوله، أو أنها أفكار مرتجلة IMPROVISES، أو أن هذا (الأثر الأدبي) لم يكن موجّها للنشر.»[٣٠]

وهذه الوظائف لا توجد عبثا، بل إن البحث فيها؛ هو من أجل البحث عن وظيفتها:

٢- وظائف العتبات: [٣١].

لايمكن النظر إلى العتبات باعتبارها خطابا بريئا أو ترفا فكريا يرصّع فضاء النص فحسب، بل يستدعي الأمر استثمار هذا الوجود النصي استثمارا جماليا أو إيديولوجيا (عنوان جميل، مقدمة سجالية، صورة مثيرة...)من منطلق القوة اللفظية لهذه العتبات الجاهزة لخدمة شيء آخر، و المخفّفة من حدة التوتر الذي يعتري القارئ و هو يشرع في تلقّي الأثر الأدبي.

كما أن كل عتبة ترسم ملامح هويّة النص، وتبني كونا تخييليا محتملا، وتقدّم إشارات أسلوبية ودلالية أولية تؤهّل القارئ للولوج إلى عالم الكتاب بشكل تدريجي. وبهذا المعنى، فكل عتبة إحالة مرجعية إيحائية تعبّر عن موقف ما وتحيل على» بنك معلومات «أولية عن المتن المركزي المرتقب. أي أنها: ملفوظات حول المسرحية «تسميها و تعينها، و خطاب حول العالم». [٣٢]

وإذا كانت للعتبات وظيفة، أو ظائف دلالية وتفسيرية في النص؛ فإنه بالإمكان اختزال أهم وظائف العتبات فيما يلي: [٣٣]

ا-وظيفة إخبارية: تكمن أساسا في الإشارة إلى اسم الكاتب، و دار النشر، و تاريخ النشر ،من جهة، والإحالة على مقصدية ما، أو على سيرورة تأويلية معينة متصلة بالكاتب من جهة أخرى.

ب- وظيفة تسمية النص: فالعنوان، على سبيل المثال لا الحصر، باعتباره عتبة أساسية و نصا صغيرا داخل نص كبير، يحيل على اسم الكاتب.

ج- وظيفة التعيين الجنسي للنص: فاندراج النص ضمن سلسلة أدبية معينة(رواية، شعر، مسرحية، قصة) تبرر وجوده في الإنتاج الأدبي.

د- وظيفة تحديد مضمون النص و مقصديته: ويضطلع بهذا الدور كل من العناوين الداخلية، و عنوان صفحة الغلاف، و الخطاب التقديمي، و التنبيهات قصد إبراز الغاية من تأليف الكتاب.

ه- وظيفة العبور السري للقارئ من اللا نص إلى النص: بحيث إن القارئ يؤدي وظيفة تحقيق الخيال و تخييل الحقيقة.

وعليه، فمجموع هذه العتبات –بمختلف أدوارها و وظائفها- تجسّر التواصل بين خارج النص و داخله. أي: تفتح عالما، و تغلق آخر، و تميزّ داخلا هو النص (الواقع النصيّ) عن خارج هو ما قبل النص (الواقع الخارجيّ. [٣٤]

وممّا سبق يتضح لنا أن العتبات لها دور بارز في إنتاج النصية وتحقّقها، وتصبح العتبات» همزة وصل، ولحظة مفصلية حاسمة بين ترسانة من النصوص الهامشية (العنوان، الإهداء، الصور، الرسوم، الخطاب التقديمي، والنصوص التوجيهية .. .)والنص المركزي.وهذا يعني أنها (أي العتبات) ليست نصوصا معزولة ومستقلة، بل»إجراء ثابت في ترتيبه زمن الكتابة، متحول مرن زمن القراءة.» [٣٥]ومن هنا، أهمية القراءة الأفقية (من العتبة إلى النص) ،والقراءة العمودية(من النص إلى

العتبة)في مشروع كل قراءة فعالة غير مغرضة، علما أن سلطة النص أو المتن تشكّل مرجعا لامحيد عنه إذا ما تعارضت قراءة العتبة بمحتوى النص المركزي[٣٦].

وانطلاقا من العرض السابق، يحضرنا سؤال جوهري، والسؤال الحاضر: لماذا الخرافة الشعبية؟ رغم أنها قصائد؛ والقصائد لا تخرج إلاّ عن شاعر- كان وما يزال- يمثّل خطوة واسعة في طريق النبوة الصادقة، والرفعة القبلية.

إن هذه الخرافة الشعبية تسيطر على الديوان كله؛ ومن ثم تستحضر جوا ريفيا من حيث اللفظة والصورة والمشهد.

وتمارس هذه الأشياء حضورها الطاغي؛ فنجد التوت والجميز والصفصاف، والتين والقمر والطمي والغيطان والحقول، والطين، كما نجد بومة الأحزان[٣٧].والصقر الذي يأكل الوجه[٣٨]. ودفنّا في جذور التوت موتانا، والقمر جديلة عشب معقودة، وسكنت عفاريت الدجى طاحونة الموتى، كذلك نجد مشهدية الريف في غناء الفلاحين وحواديت الكبار للصبية، والتبرك بالأولياء، وضخامة الحزن على الموتى وحضورهم الطاغي في الحكايا الليلية.

وعود إلى البنى الحاكمة تقفز البنية النحوية متمثّلة في سيطرة الاسمية على عناوين القصائد وبداياتها عدا بدايات اللوحتين الأولى والثانية من قصيدة دم على الأيدي، وقصيدة طقوس وقصيدة شارات[٣٩]، ليكون المجموع أربع قصائد فقط تبدأ بدايات فعلية، بينما تسيطر بنية المضارعة على فعل الحكي وسرد الأحداث داخل القصائد؛ وذلك بعد البدايات ومطالع القصائد.

إن الاسمية لها مزايا، وسمات نحوية ودلالية، ومنها: الثبات والجمود والاستمرارية كما يقول النحاة[٤٠]

وإذا كان النحاة قد قرّروا أن الاسمية دليل الثبات والسمو والوضوح وكشف المعنى على حد تعبير ابن السراج[٤١]، وأنه دالٌ على كمال الماهية والبيان ليكون إجمالا لما فرقه التفصيل.

وإذا كانت بنية المضارعة تدلّ على التجدّد والحدوث والاستمرارية من خلال الزمن النحوي السياقي، فهل ثمة تعارض بين بنية الثبات وبنية التجدد؟

إن جدلية البنية الاسمية مع الفعلية لهو دليل المحبة القارّة والمتجددة في وجدان الشاعر، وقرينة التمسك بالأرض والطمي.كما أنها رغبة ملحّة في حوار أو التحاور مع الوطن، والأخذ والرد من أجل انطلاقة رائعة، أو استعادة مدهشة لمجد عريق.

ثم تأتي بنية التكرار كقيمة نحوية وبلاغية تسهم في رصد أو رسم المشهد الأسطوري أو الخرافي الشعبي في قصائد الديوان، ودليل ارتباط -كما قلت سابقا- بين الشاعر والطمي.

إن التكرار لغويا معناه الكرّ وهو العود والحنين بلا كلال أو ملال، والتكرار في عرف النحاة لفظي ومعنوي، وأحد المؤكدات أو عوامل التأكيد؛ والتأكيد هنا على الارتباط المقدس بين أركان الصورة الأصيلة» الطمي بما يحمله من أصالة المنشأ وتجدّد النبت والزرع أو الحياة، وبين الشاعر الإنسان الفلاح وما يتبع هذين من ماء وتمر وليل ..إلخ

التكرار عند النحاة والبلاغيين:

والتكرار لدى البلاغيين ظاهرة جمالية لإعطاء المعنى بإعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع» [٤٢]. أو هو ظاهرة بيانية تقوم» بوظيفة الربط على مستوى البنية الظاهرة للنص المؤدية إلى الانسجام الداخلي»[٤٣].

وقد تكلّم عنه النحاة والبلاغيون، وأفاضوا في الحديث عنه وعن مزاياه. فهو « سمة من السمات الأسلوبية

التي شاعت في الشعر العربي،قديمه وحديثه، وتذهب المعاجم اللغوية إلى أنّ التكرار من كرّر الشيء، تكريرا وتكرارا،وكركرة وتِكرّه، بمعنى إعادته مرة بعد أخرى، ويقال: كررّتُ عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه، وكركرته عن كذا كركرة؛ إذا رددته، والكَرّ: الرجوع على الشيء، والتكرار مصدر والتكرير اسم[٤٤].

أمّا التكرار في الاصطلاح فهو» إعادة عناصر العمل الأدبي مرةّ أو مرات عديدة، وهو أساس الإيقاع بصوره جميعا» [٤٥].

وقال الجاحظ: إن «جملة القول في الترداد أنه ليس فيه حدّ ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضر من العوام والخواص[٤٦].

و يوضّح لنا ابن قتيبة أن الغرض من استخدام التكرار في كلام العرب هو» بغية الإفهام والتوكيد[٤٧].

وأمّا ابن جني النحوي فيرى أن:» العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين، أحدهما: تكرير الأول بلفظه، وأمّا الضرب الثاني، فهو تكرار الأول بمعناه»[٤٨]

وأمّا حازم القرطاجني فنجده يهتمّ بتكرار المعاني، ويرى أن» التكرار لا يجب أن يقع في المعاني إلاّ بمراعاته اختلاف ما في الحيزين اللذين وقع فيهما التكرار من الكلام، فلا يخلو أن يكون ذلك إمّا لمخالفة في الوضع،...، فعلى هذه الأنحاء وما ناسبها يقع التكرار في المعاني فيستحسن «[٤٩].

ويوضح ابن أبي الإصبع الغرض من التكرار بقوله :» ان يكرّر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد[٥٠].

ويزيد ابن معصوم توضيح الأغراض بقوله:» هو تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة؛ ونكته كثير؛ فهي إمّا للتوكيد أو لزيادة التنبيه أو لزيادة التوجّع أو التحسّر أو لزيادة المدح أو للتلذّذ بذكر المكررّ أو للتنبيه بشأن المذكور[٥١].

وإذا كان التكرار هو «الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني» فإن هذه العناصر هنا تمّثلت في الحرف واللفظ والجملة والأسلوب والصورة.

وقد تمثّل الحرف في القوافي الهامسة أو الساكنة لرسم مشهد الخوف أو السكين، أو البوح أو المتحركة لرسم صورة الأطفال، ودائرية الحياة، أو صورة الريف ومفرداته من زراعة وفخار كما في قصيدة غناء[٥٢]

بزاوية من الدارِ
يحط الصمتُ فوق إناء فخارِ
ويأخذه النعاسُ البارد الخفين في الصيفِ
يجوس به حدائق الأحلامِ
يضحكه اخضرار شجيرة عذراء،
يبكيه عراك الصبية الأيتامِ
يرفع وجهه المبتلّ نحو النازح المحزون والصيفِ

وهي صورة تتكّرر كثيرا، وفي كل مرة تكتسب ملامح إضافية، وقيما تعبيرية أكثر.

ونجد تكرار اللفظ أو مرادفاته، ولا يخلو هذا من تكرار الأضداد؛ وهو ملمح تم رصده في الديوان؛ فنجد تكرار: الطمي والشجر والصبية والجوع والأسود والعيون والزرع والحلم والأغاني ،والغناء والفاكهة واللحم، والحقول، والرضاع والطفولة ومرادفاتها وما يتبعها من حقول دلالية[٥٣]نموذجا.

سأحكي لكم قصة من حقول الرضاع[٥٤]، وهو تأكيد على حضور الألم والرغبة في الحياة.

كما يلجأ الشاعر إلى تكرار صيغ التفعيل،أو التضعيف من قبيل: تفجّع و خلّقت ومزّقت،ومرّغت وتذوقّتً،وتغرّبتُ، وهي دلالة معاناة (قيمة التضعيف نحويا وصرفيا) حتى في التذوّق.

كما نجد تكرار الثدي، والثديين، وهما هنا رمز الأنوثة ودلالة العطاء ورمز النماء والنمو، والأم التي ترضع وما هي سوى الأرض والحقول الطيبة التي يوشك أن يجفّ ثديها، ويتشقّق بفعل الإهمال وقصدية التغافل؛ فهذان الثديان الأخضران ذوا اللفة في الصيغة الرُمَّانية، نراهما يشهقان ويرتعشان[٥٥]، وتنسرب عليهما الخنافس ، ويسرح السوس[٥٦]وفي العينين قنديل من الظلمة[٥٧].

ونجد تكرار اللون متمثّلا في حضور طاغ لثلاثة ألوان هي: اللون الأخضر، واللون الأسود، واللون الأحمر؛ فالسواد ذلك الطارئ المعتم الجاثم على كل شيء؛ فالنهر أسود[٥٨].والقمر أسود[٥٩]. ، بينما يكون اللون الأحمر رمز التضحية والفداء والدماء السائلة فلون التوت أحمر يمص دماء قتلانا[٦٠]. والظلمة حمراء[٦١]. والثياب حمر والصدى أحمر والظلال حمراء[٦٢]. والشارات حمر [٦٣]، وهذا واضح جدا في قصيدة دم على الأيدي وهي ثلاث قصائد متداخلة أو ثلاث لوحات صغيرة تشكّل معا لوحة كبيرة؛ وهي الميلاد والحياة والموت، وهي مراحل التفتح في اللوحة الأولى تفتح قلبه[٦٤].في لحظة الولادة ونزف الرحم المتفجر ثم انسكاب الدم نتيجة حتمية للموت/ القتل ومن ثم العديد والعويل، وجوقة رجال ونساء يتنازعان/، وما يتبع تلك النهاية من فرار[٦٥]. فالدموية هنا سيدة المشهد، والحركة تكسب المقطع لونه هنا كما أن الشاعر ينجح فى رسم ورصد حركية المشهد من خلال حرف التخيير أو المرتبط بظرفية مكانية متعدّد:

سأهرب من هنا

أو من هنا

أو أو من نهاية السرب . [٦٦]..

ولا شك أن السواد رمز الحزن، والحمرة لون القتل والدم كما سبق؛ لذا يجيء اللون الأخضر برعما وطاقة نور لشاعر يمارس النبوءة، ولا يكفّ عن الأحلام؛ فنجد الخضرة تغطّي كل شيء مرتبطة بالنماء والخصب والطمي والفدادين والقمح،وساقية النهار[٦٧].فالثدي الذي تشقّق يعود أخضر ويصبح القمر أخضر، والعينان خضراوين والأحلام خضرا .

إن التكرار يقفز بنا من الكلمة المفردة أو الكلمة الصفة ليكوّن جملا وأساليب تكون نقطة دراما جديدة في مسلسل حديث الطمي ذي الصبغة الخرافية المحملة بطابع السرد والحكي الشعبي،؛لذا نشهد تكرارا جُمليا يسهم في تثبيت الصورة وحفر المشهد في مخيلة السامعين، ومن ذلك قوله: أنا بهلوان الحقول[٦٨].تسكن شرفة الغيطان / يحدث في ليالي الوحدة/ انتظر الصغار السحر/ الريح الريح الريح التي يكررها خمس مرات، في قصيدة تجسدات من الريح القديمة[٦٩].وفي كل مرة تكون الريح منطلقا لمشهد خرافي ودرامي جديد.

كما يساند هذا التكرار تكرار الأسلوب واعتماده بداية لحفر القصيدة، أو نقش جدارية الطمي، وعلى رأس هذه الأساليب أسلوب الجر ؛ سواء بحروف الجر أو بالإضافة كقوله:

بزاوية من الدار..

بالقلب...

في العيون

إن بنية الحكي تملي أساليبها ومفرداتها، ومن ثم – إضافة لما سبق- يلجأ الشاعر إلى تكرار الأغنية أو النشيد، كما أن الشاعر يلجأ كثيرا إلى الأغاني والأناشيد تعبيرا عن جو الريف وحياته الأسطورية المليئة بالخرافة والمرتبطة بالكسرة والليل[٧٠]. كما يتردّد النشيد في القصيدة الواحدة ليكون أشبه بالمناجاة الداخلية..

وتتكرّر -كذلك- الصورة نفسها؛ حيث تمثّل الصورة مرتكزا من مرتكزات البنية الشعرية، وتمثّل إحدى

البنيات العليا عند محمد عفيفي مطر في ديوان يتحدث الطمي، ولماّ كانت التربة أو الطمي وجو النهر شغلة الشاعر؛ لذا نراه يكرّر صورا بعينها؛ ومنها النيران المتوقدة، وصورة النخل والليمون؛ حيث يلتفت الصفار السمرُ يرتعدون من خوف ومن ألفة

تميل رؤوسهم، وهنا كما يقول البلاغيون تمام الانفصال مع تمام الاتصال، فهم يرتعدون من خوف وتميل رؤوسهم من الألفة، أم أنهم يرتعدون وتميل رؤوسهم من الخوف[٧١].

وفي اختراق مملكة الليل نجد الطين له صور كثيرة، ويتحدّ مع كل شيء حتى الغناء فهو غناء طيني[٧٢].

وعصير الضحى، وتتكرّر أيضا صور الساقية مع التنويع؛ فهي ساقية المواويل، وساقية النهار وساقية الليل وساقية الحقول، وكأنّ كلمة الساقية نفسها بما توحي به من دوران تجعل الحكايا نفسها تلفّ وتدور مع الأيام والسنين.

وتعدّ قصيدة شجرة الأسلاف نموذجا وصورة متكاملة للترابط النصي وتجسيد البنيات العليا من خلال الأبنية سالفة الذكر، ومن خلال اتكاء الشاعر على أدوات الربط:

دفنا في جذور التوت موتانا
وعدنا..
نملأ الفران دخانا
لينتظر الصغار فطائر العيد
وينتظر الكبار مواسم الأبطال. [٧٣].

بل إن هذه القصيدة نفسها تمثل ساقية دائرية؛ من خلال فعل الصبية حين:

يلتفون حول جنينة التوت
ويصرخون لأحدهم
« تسلقْ واضرب الفرعين بالأقدام
فهذا توتنا الأبيض
يمد جذوره ويمصّ ما بصدور موتانا
ويشرب ما بأثداء الساء السمر من لبن
وهذا توتنا الأحمر
يمصّ دماء قتلانا
وهذا توتنا الأخضر
يمدّ جذوره بسواعد الأطفال
ويا شمس الفروع الخضر غطينا [٧٤].
واسقينا وصبينا عصيرا في جذور التوت

فهنا نجد التناغم بين التوت والناس، او هنا تماه للشجرة(التوت) مع الموتى والقتلى والأطفال، وكأن الساقية والتوتة هما هنا دورة الحياة من موت وحياة؛ حتى إن الأطفال/ الصبية سيكون مصيرهم سقاء لجذور التوت مثل الآباء.

هذا التتابع السردي من خلال أدوات الربط، ولام التعليل يرسم صورة متكاملة، والشاعر يرسم صورة الأطفال وشجرة التوت والأطفال يتسلقونها، ويحدث نوعا من التناغم بين التوت والأرض والموتى والإنسان.

ومن بنية التكرار إلى بنية المفارقة؛ حيث تمثّل المفارقة ملمحا عفيفيا؛ وذلك-كما أسلفت- نتيجة قضية ملحّة على ذهن الشاعر، محاولاته إلى أن ينبّه من بيده الأمر إلى الخطأ الواقع فيه؛ فما بين الواقع المرير والغد المأمول وما بين ماض عريق وحاضر حنجوري فقط يعتمد الخطابة مشروعا نهضويا، ومنجزا حضاريا تكمن المشكلة. كذلك تعدّ المفارقة مخرجا فنيا آمنا للشاعر من فخ المباشرة والتصريح وما يمكن أن يترتب على ذلك من أذى وإيلام، ناهيكم عن الجدوى الفنية من التصريح.

ونموذج المفارقة الصارخ هو صورة الشيخ[٧٥]..

هذا الذي يأكل يخبزنا فيحل فيه الخير والبركة
ويغمس كفه في الماء والزيت

فلا نحتاج طول العام

هذا الشيخ المبارك الذي يمرق من عبر الحائط نسمع صوته:

يموء الجوع في جنبيه والرعبُ

تطارده الشموس السود والذئبُ[٧٦].

فالبطل المبارك الذي تغنى بالعبور إلى بر الأمان، وحلم معه الكل ها هو يسقط سقوطا مدويا ويسقط معه الحلم والحالمون.

وهنا يلجأ الشاعر إلى الصراخ مكررّا الرجاء والطلب بسيطرة ضميري المتكلم والمخاطب(ضميني/ خذيني/ ضعي/دعيني/..).

طالبا من الأم ذات اللون القمحي / مصر أن تنقذه من تلك الأصوات التي تسدّ عليه مسامعه، وكأنّ الأصوات في كل مكان، ومن كل مكان ،. وصيغة الطلب والرجاء جاءت مقترنة ومعللة بالقطف والأخذ في مقابل المنح والعطاء:

لأقطف/ وتقطف وأغسل. وانظر في مقابل سأمنح / لنمنحه / يغمس ..

وفي قصيدة انتظار تكون البداية على عكس العنوان : ويا ضيفنا بحرف العطف اعتمادا على بنية الحذف..

وهنا يظهر النداء والتعجل وطلب الإقبال في مقابل النتظار

ويا ضيفنا.. أيها الأخضر الوجه والصوت[٧٧].

أقبل إلينا

ويبلغ الإلحاح في طلب الإقبال مداه من خلال التناص القرآني:

تكلم.. ففي صوتك الرحب ساقية النهار

ولن أبرح الأرض[٧٨].

- **النتائج:**

من خلال قراءة أعمال الشاعر محمد عفيفي مطر، ومن خلال البحث في ديوانه: يتحدث الطمي استطعنا أن نخرج بعدد من النتائج تتمثل في الآتي:

١- أن الشاعر يتمتع بحسّ لغوي عال يمكنه من توظيف اللغة توظيفا دقيقا له دلالة معينة، ويحمله رسالته التي يريدها.

٢- أن اللغة تجنح- في كثير من الأحيان- إلى الغموض.

٣- أن التراكيب اللغوية لدى الشاعر- رغم غموض لغته أحيانا- لا تخرج عن المألوفي، ولا عن طرائق العرب النحوية والأسلوبية.

٤- تزخر أعمال الشاعر محمد عفيفي مطر بقدر عال من البنيات العليا؛ التي تسهم في تشكيل ملامح أعماله.

٥- يعدّ التكرار من أهمّ البنى العليا لدى الشاعر في هذا الديوان.

٦- يتخذ التكرار أشكالا كثيرة ومتنوعة، وكلها تخدم هدف الشاعر ورسالته.

٧- تعتبر الاسمية أحد أهم ملامح الديوان كبنية عليا.

٨- تعدّ الجدلية بين الاسمية والفعلية أحد أهم ملامح الديوان وبناياته العليا.

٩- يجيد الشاعر توظيف مفردات الريف وأساليبه في الحكي بطريقة فصيحة.

١٠- يتميز الديوان بتوافر كثير من معايير النصيّة أو كلها.

١١- الخطاب الشعري لدى عفيفي مطر له خصوصية وتفرد.

والله من وراء القصد

الهوامش

١- ديوان» يتحدث الطمي للشاعر محمد عفيفي مطر صدر ضمن سلسلة الأعمال الكاملة التي أصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة٢٠١١.

٢- روبرت دى بوجراند، النص الخطاب والإجراء، ص١٠٣-١٠٥.، ترجمة د. تمام حسان. عالم الكتب القاهرة ١٩٩٧. وانظر:خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات العربية، ص١٣٦-١٣٧. دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥.

٣- John Lyons، Introduction to theoretical Linguistics.p ١٠، (Cambridg University Press 1968)..

٤- http://maamri-ilm2010.yoo7.com/t2838-topic:منتدى معمري للعلوم في الخميس يناير ١٢، ٢٠١٢ ١:٤٨ pm.

٥- د.نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص١٧٨.

٦- المرجع السابق

٧- نعني بالقارئ هنا: القارئ الثالي المشتغل بتحليل النصوص ونقدها.

٨- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية- دراسة، ص٢٠٨ منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط١٩٩٠،١، وانظر:محمد خير البقاعي: نظرية النص، مجلة العرب والفكر العالمي.عدد(٣) بيروت، ١٩٨٨.

9- http://maamri-ilm2010.yoo7.com/t2838-topic:

١٠- السابق نفسه.و مقالات في الأسلوبية،ص ٢٠٩.وانظر:

بيرنارفاليط: النص الروائي مناهج و تقنيات، ص٣٦،ترجمة:د. رشيد بنحدو، سليكي إخوان، ط١، ١٩٩٩.

١١- للمزيد انظر: د. محمد حماسة: الجملة في الشعر العربي،ص ٣٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط١-١٩٩٠.

١٢-انظر: د. محمد حماسة: النحو الدلالة،ص٢٣٣، دار الشروق القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠/٢٠٠٠.

١٣- ٢٠١٠ http://maamri-ilm٧.yoo.topic-com/t٢٨٣٨:للمزيد راجع معايير النصية

١٤- مقالات في الأسلوبية، ص ٢٠٢.

١٥- معايير النصية، و أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة ، ص٣٤، ٢٠، دار الآداب، بيروت د.ت.

١٦- مقالات في الأسلوبية، ص ٢٣١-٢٣٢

١٧- للمزيد انظر: د. عبد الحق بلعابد: عتبات - جيرار جينيت - من النص إلى المناص،الدار العربية للعلوم-ناشرون، منشورات الاختلاف٢٠٠٧.و بسام قطوس : سيمياء العنوان، ط١،وزارة الثقافة، الأردن،٢٠٠١، ص٦.

١٨- دادس أنفو،عتبات النص مقاربة نظرية، صحيفة المثقف ١١مايو ٢٠١٤.وانظر: د. يوسف الإدريسي»عتبات النص بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر «الصادر عن منشورات مقاربات سنة ٢٠٠٨

١٩- يوسف الإدريسي: عتبات النص بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، ص٩- ١٠،ط١ Gérard genette Seuils ، éditions du seuil، paris، p376، منشورات مقاربات، المغرب،٢٠٠٨. وانظر:

٢٠- علي المتقي : انطباعات حول عتبات النص ليوسف الإدريسي، متاح على الشبكة، مدونة علي، وعتبات النص مقاربة نظرية،ص١٤.

٢١-.انظر: حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة سالم يفوت، الدارالبيضاء، ط١، ١٩٨٦، ص : ٢٣.

٢٢- راجع السابق نفسه .

٢٣-.2G . GENETTE، SEUILS، ED SEUIL، COLL POETIQUE، PARIS ، 1987

٢٤- عبد المجيد علوي إسماعيلي: عتبات النص مقاربة نظرية ،نشر في أخبار الجنوب يوم ١٩ - ٠٣ – ٢٠١٢.

٢٥- عتبات الكتابة الروائية، د عبد المالك اشهبون، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية، ط١ ، ٢٠٠٩، ص٨.

٢٦- السابق ، ص : ١٠

٢٧- - BERNAD، VALETTE، ESTHETIQUE DU ROMAN MODERNE، ED NOTHAN، 2EME، ED PARIS، 1993 ،P :P ١٤٨.نقلا عن عتبات النص، مقاربة مقاربة نظرية.

٢٨- - BERNAD، VALETTE، ESTHETIQUE DU ROMAN MODERNE، ED NOTHAN، ED PARIS، ٢EME، ١٩٩٣ ،P: P ١٤٨.نقلا عن عتبات النص، مقاربة مقاربة نظرية.

٢٩- انظر الديوان الأعمال الكاملة ج١،ص ٣٣٣.

٣٠- عتبات النص، مقاربة مقاربة نظرية. ص ١٥.

٣١- السابق نفسه.

٣٢- - HENRI، METTERAND، LE DISCOURS DU ROMAN، ED P.U.F، PARIS، ١٩٨٠، P: ١٥.

٣٣- عتبات النص، مقاربة مقاربة نظرية. ص ١٥.

٣٤- - CLAUD، DUCHET، IDEOLOGIE DE LA MISE EN TEXTE IN LA PENSEE N ، ٢١٥، ١٩٨٠، P: ٩٦.

٣٥- عتبات أم عتمات ، مصطفى سلوي م ،س ص: ٦ .

٣٦- السابق ص ٩.

٣٧- انظر الديوان الأعمال الكاملة ج١،ص ٣٤٦.

٣٨- السابق،ص١٤٧.

٣٩- السابق ٣٨٦.

٤٠- انظر على سبيل المثال:

١- شرح الأشموني على الألفية ومعه حاشية الصبان الأشموني، تحقيق د. طه عبد الرؤوف سعد. المكتبة التوفيقية بالقاهرة، بدون طبعة أو تاريخ.

٢- رضي الدين الاستراباذي ،شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق د. محمد نور الحسن وآخرين. دار الكتب العلمية ببيروت، طبعة ١٩٧٥م.

٣- شرح الرضي على الكافية، تحقيق د. يوسف حسن عمر. منشورات.

٤- جمال الدين بن مالك، شرح الكافية الشافية، تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي. دار المأمون للتراث بالسعودية، طبعة

٤١- ابن السراج، بو بكر محمد بن السري بن سهل: الأصول في النحو،١/ ٦٥، ت حقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

٤٢- السلجماسي. القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري،المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع،ص ١٤ ،تحقيق علال الغازي، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة ١٩٨٠م.

٤٣- الجاحظ؛ عمرو بن بحر، البيان والتبيين،١٥٨/١،– تحقيق عبد السلام هارون – الهيئة العامة لقصور الثقافة ،مصر٢٠٠٣.

٤٤- انظر : لسان العرب مادة كر، والمعجم الوسيط.

٤٥- انظر: السيد علي محمد خضر: ظاهرة التكرار بين النحاة والبلاغيين، ص ١٢،المكتب العلمي للنشر ١٩٩٧.

٤٦- البيان والتبيين،١٧٨/١.

٤٧- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم :٤٢/٢، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف،مصر.و للمزيد انظر:

١- عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل: البديع في البديع،دار الجيل،ط ١، القاهرة ١٩٩٠. حيث أفرد بابا كاملا للتكرار.

٢- ابن رشيق، أبوعي الحسن بن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده،ت،محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل،ط٥، ١٩٨١ م.

٣- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،١٣٢/٢، تحقيق د.أحمد الحوفي،نهضة مصر، القاهرة.

٤- د.محمد عبد المطلب :البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان ناشرون،ط١٩٩٧،١.

٥- د. . حسن طبل: المعنى في البلاغة العربية، ص ٤٩،ط١، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٩٨.

٤٨- ابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني :الخصائص ١٥٧/١،تحقيق محمد علي النجار – الهيئة العامة للكتاب ط٤ - ١٩٩.

٤٩- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٢٧،، تحقيق: الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨.

٥٠- العدواني؛ ابن أبي الإصبع؛ عبد العظيم بن الواحد بن ظافر، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ت، الدكتور حفني محمد شرف،ط لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة.

٥١- ابن معصوم..

٥٢- انظر الديوان الأعمال الكاملة ج١،ص ٣٥٠.

٥٣- السابق،ص١٣٧.

٥٤- السابق نفسه.
٥٥- السابق،ص٣٣٨.
٥٦- السابق،ص٣٨٣.
٥٧- السابق،ص٤٨٢.
٥٨- السابق،ص٣٩٤.
٥٩- السابق،ص٣٩٦.
٦٠- السابق،ص٣٤٩.
٦١- السابق،ص٣٦٤.
٦٢- السابق،ص٣٦٥.
٦٣- السابق،ص٣٧٠.
٦٤- السابق،ص٣٦٢.
٦٥- السابق،ص٣٧٠.
٦٦- السابق،ص٣٧١.
٦٧- السابق،ص٣٤٣.
٦٨- السابق،ص٣٣٧ و٣٣٨..
٦٩- السابق،ص٣٩٠-٣٩٢.
٧٠- السابق،ص٣٨٦.
٧١- السابق،ص٣٤١.
٧٢- السابق،ص٣٥٢.
٧٣- السابق،ص٣٤٨.
٧٤- السابق،ص٣٤٩.
٧٥- السابق،ص٣٦٠.
٧٦- السابق،ص٣٦١.
٧٧- السابق،ص٣٤٣.
٧٨- السابق،ص٣٤٤.

المصادر والمراجع

١- أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة،دار الآداب، بيروت د.ت.

٢- الأشموني:شرح الأشموني على الألفية ومعه حاشيةالصبان الأشموني،تحقيق: د.طه عبدالرؤوف سعد.المكتبة التوفيقية بالقاهرة،د.ت.

٣-بسام قطوس ، سيمياء العنوان، ط١،وزارة الثقافة، الأردن،٢٠٠١م.

٤- بيرنارفاليط:النص الروائي مناهج وتقنيات، ترجمة:د. رشيد بنحدو، سليكي إخوان، ط١، ١٩٩٩

٥-الجاحظ؛ عمرو بن بحر، البيان والتبيين،١٥٨/١،– تحقيق عبد السلام هارون – الهيئة العامة لقصور الثقافة ،مصر٢٠٠٣م.

٦- جمال الدين بن مالك، شرح الكافية الشافية،تحقيق د. عبدالمنعم أحمد هريدي. دارالمأمون للتراث، السعودية،طبعة ...

٧- ابن جني،أبوالفتح عثمان:الخصائص، تحقيق محمد علي النجار – الهيئة العامة للكتاب ط٤ - ١٩٩.

٨- حازم القرطاجني،منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م.

٩- د. حسن طبل،المعنى في البلاغة العربية،ط١، دار الفكر العربي، القاهرة١٩٩٨م.

١٠- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

١١- دادس أنفو، عتبات النص مقاربة نظرية، صحيفة المثقف، المغرب ١١مايو ٢٠١٤م.

١٢- رشيد يحياوي، الشعر العربي الحديث دراسة في المنجز النصي»١٩٩٨م.

١٣-ابن رشيق، أبوعي الحسن بن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده،ت،محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل،ط٥، ١٩٨١ م.

١٤- رضي الدين الاستراباذي:

- شرح الرضي على الكافية،تحقيق د. يوسف حسن عمر. منشورات.

- شرح شافيةابن الحاجب،تحقيق د. محمد نورالحسن وآخرين. دارالكتب العلمية، بيروت،طبعة ١٩٧٥م.

١٥- روبرت دى بوجراند،النص الخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان. عالم الكتب القاهرة ١٩٩٧م.

١٦- ابن السراج،أبو بكر محمد بن السري بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

١٧- السلجماسي. القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري،المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع،تحقيق علال الغازي، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٨٠م.

١٨- السيد علي محمد خضر، ظاهرة التكرار بين النحاة والبلاغيين، المكتب العلمي للنشر، ١٩٩٧م.

١٩- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د.أحمد الحوفي،نهضة مصر، القاهرة.

٢٠- د. عبد الحق بلعابد، عتبات - جيرار جينيت - من النص إلى المناص،الدار العربية للعلوم-ناشرون، منشورات الاختلاف٢٠٠٧م.

٢١- عبد الرزاق بلال، «مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم»(٢٠٠٠) .

٢٢-د. عبد العالي بوطيب،العتبات النصية بين الوعي النظري و المقاربة النقدية،جريدة العلم المغربية، (الملحق الثقافي)، السبت٢٨ إبريل ٢٠٠١ م.

٢٣- عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل:البديع في البديع،دار الجيل،ط ١، القاهرة ١٩٩٠م.
٢٤- د.عبد المالك شهبون، عتبات الكتابة الروائية، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية، ط١ ، ٢٠٠٩م.
٢٥- عبد المجيد أزراقط ،التلقي في النقد العربي القديم وموقع المتلقي في الظاهرة الأدبية، . مجلة الآداب اللبنانية، ع ٩ - ١٠ أكتوبر ١٩٩٨م.
٢٦- عبد المجيد علوي إسماعيلي، عتبات النص مقاربة نظرية ،نشر في أخبار الجنوب يوم ١٩ - ٠٣ – ٢٠١٢م.
٢٧- عبدالنبي ذاكر، «عتبات الكتابة مقاربة لميثاق المحكي الرحلي»(١٩٩٨) .
٢٨- العدواني؛ ابن أبي الإصبع؛ عبدالعظيم بن الواحد بن ظافر،تحريرالتحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن،تد.حفني محمد شرف ،ط لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة.
٢٩- علي المتقي، انطباعات حول عتبات النص ليوسف الإدريسي، متاح على الشبكة، مدونة علي.
٣٠- عمر حلي،»البوح والكتابة دراسة في السيرة الذاتية في الأدب العربي»(١٩٩٨).
٣١- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف،مصر.
٣٢- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثالثة عام ١٩٩٨.
٣٣- د. محمد حماسة:
- الجملة في الشعر العربي،ص ٣٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط١-١٩٩٠.
- النحو الدلالة،ص٢٣٣،دارالشروق القاهرة،ط١ ، ١٤٢٠/٢٠٠٠.
٣٤- محمد خير البقاعي، نظرية النص، مجلة العرب والفكر العالمي.عدد(٣) بيروت، ١٩٨٨.
٣٥- د.محمدعبدالمطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى،مكتبةلبنان ناشرون،ط١١٩٩٧م.
٣٦- محمد عفيفي مطر،ديوان يتحدث الطمي للشاعر صدر ضمن سلسلة الأعمال الكاملة التي أصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة٢٠١١م.
٣٧- مصطفى سلوي، عتبات أم عتمات،جريدة العلم المغربية، (الملحق الثقافي) ، السبت ٢٦مايو ٢٠٠١م.
٣٨- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية- دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط١٩٩٠م.
٣٩- ابن منظور جمال الدين ، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، ونديم مرعشلي، دار لسان،العرب بيروت، د.ت.
٤٠- ميشيل فوكو(حفريات المعرفة، ، ترجمة سالم يفوت، الدارالبيضاء، ط١٩٨٦،١ م.
٤١- د.نصر حامد أبو زيد،مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٤٢- د. يوسف الإدريسي، «عتبات النص بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر «الصادر عن منشورات مقاربات، المغرب سنة ٢٠٠٨م.
43 - BERNAD، VALETTE، ESTHETIQUE DU ROMAN MODERNE، ED NOTHAN، 2EME، ED PARIS، 1993

oretical Linguistics.p،10(Cambridg University Press 1968)..
- 47 http://maamri-ilm2010.yoo7.com/t2838-topic
- 48 http://maamri-ilm2010.yoo7.com/t2838-topic:
-49Gérard genette Seuils ، éditions du seuil، paris، 1987
،P :P 148.
44 - CLAUD، DUCHET، IDEOLOGIE DE LA MISE EN TEXTE IN LA PENSEE ، N 215، 1980، P: 96.
45 - HENRI، METTERAND، LE DISCOURS DU ROMAN، ED P.U.F، PARIS، 1980، P: 15.
46 - John Lyons، Introduction to the

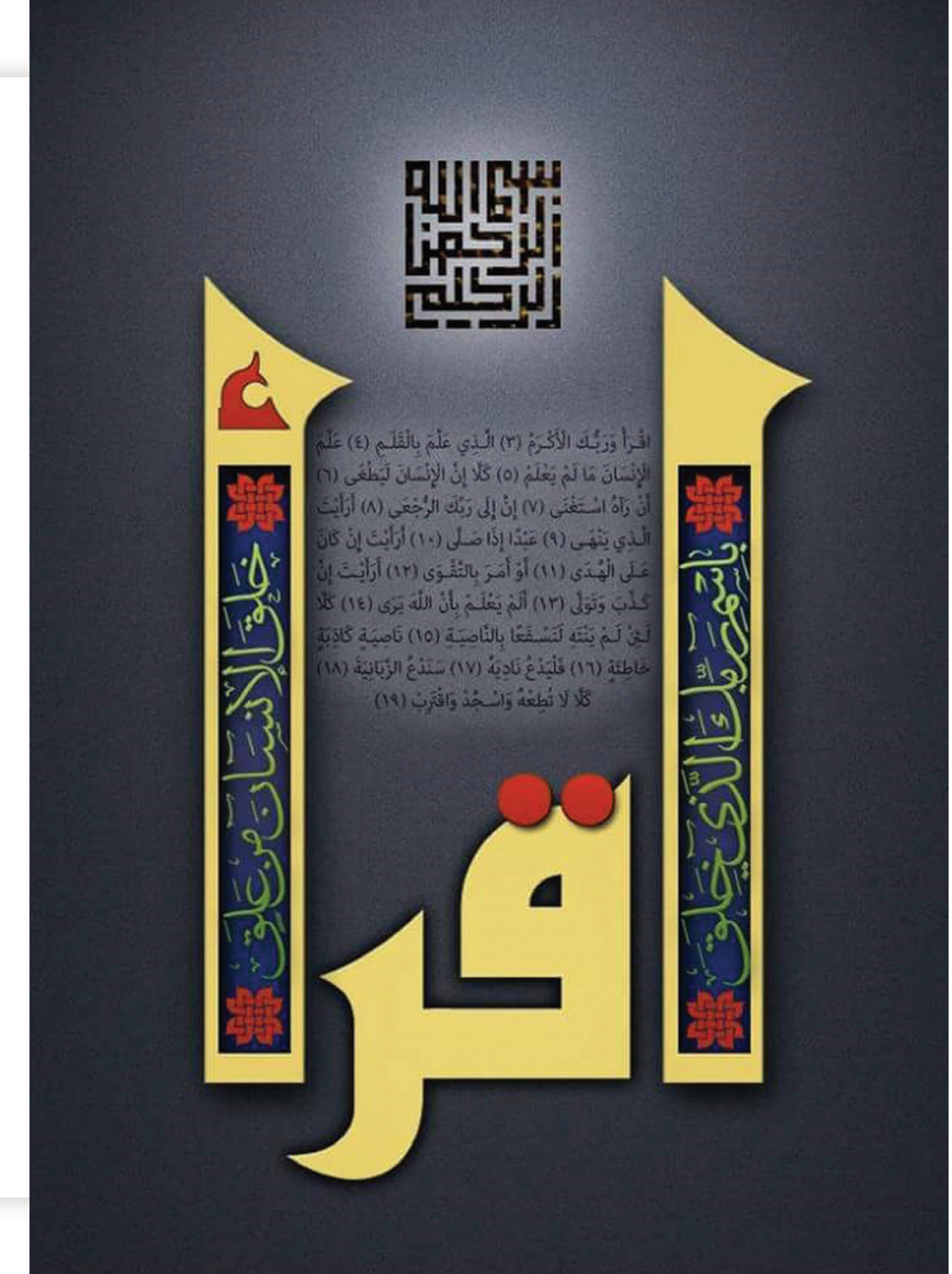
بسم الله الرحمن الرحيم
٩٦
اقرأ باسم ربك الذي خلق
خلق الإنسان من علق
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (١٩)
اقرأ

”فونوتيقيا النظامِ الصوتيِّ التوليديِّ في اللغة العربية“

“Phonotecia the sonic system in Arabic”.

أ. د. محمد حسين علي زعين
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

م. م. علاء صالح عبيد حسين
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

Dr. Mohammed Hussein Ali Zayen.
University of Karbala / College of Education for Human Sciences

Mr. Alaa Saleh Obaid Hussein.
Karbala University / College of Islamic Sciences.

كلمات مفتاحية :فونوتيقيا / فونولوجيا / اللسانيات/ النظرية التوليدية/ الفونيمات

ملخص البحث

إذا كانتِ اللغةُ تعيشُ في أذهان أبنائها في صورة أنظمة وقوانين – قواعد – فإنّ الوجود المادّي لها يتحقّق في نطق أصحابها؛ ذلك أنّ النطق يتكوّن من أصوات لغوية، تُنطق، وتُسمع، ويُفهم المقصود منها، ومن ثمَّ فإنَّ الوجود المادّي للغة هو الصورة النطقية لها التي تصدر عن جهاز النطق في الإنسان، وتنتقل عن طريق الوسط الناقل على شكل ذبذبات صوتية إلى أُذن السامع ، وهو ما يشكّل مادّة لعلم الفونوتيقيا الذي يُعرّ ف بأنّه «دراسة التصويت بصورة عامّة، أي اشتغاليّة الأعضاء التي تشترك في إنتاج أصوات اللغة الإنسانية وفي تلقّيها» ، أو هو «العلم الذي يهتمّ بدراسة الأصوات المنطوقة في لغة ما وتحليلها وتصنيفها بما في ذلك طريقة نطقها، وانتقالها وإدراكها» ، ومن ثمّ فإنّنا سنعرض في هذا البحث لنظرية السمات المميزة التي تشكّل عماد علم الفونوتيقيا الذي يكوّن هو الفونولوجيا النظام الصوتي التوليدي.

Abstract

If the language lives in the minds of its sons in the form of rules and laws (grammar) the material existence of them is achieved in the pronunciation of their owners; that the pronunciation consists of the sounds of language، spoken ، heard، and understood the intended، therefore the physical presence of language is the phonetic image of It which introduced from the set of pronunciation of the human beings phonotics known as “the study of voting in general، that is، the participation of members who participate in the production and reception of the voices of the human language” Or “science that is interested in studying the fundamentals spoken in a language analysis and classification، including the method of pronunciation، and transmission and aware، “and then we’ll show in this search for the theory of distinctive features that form the backbone of science Alfonotekie who is the audio system is phonology generative.

المقدمة

مدخل: النظام الصوتي التوليدي:

لم يكن ظهور اللسانيات التوليدية في الغرب طفرة، بل كان حصيلة تطوّر طبيعي وتلقائي أفضت إليه تراكمات أعمال فلسفية ومنطقية ولسانية يغطّي قسم منها ما يقارب ثلاثة قرون؛ شكّلت أعمال نحاة القرون الوسطى، والنحو العام المعقلن لبور رويال، واللسانيات الديكارتية، واللسانيات المقارنة واللسانيات البنيوية، أهمّ سماتها البارزة، وقد شكّلت تلك المساهمات أهمّ منطلقات النظرية التوليدية، وأهمّ مصادرها التاريخية ، بل إنّ تشومسكي لم يقف – في الاستفادة من التراكم المعرفي – عند هذا الحدّ؛ فقد شكّلت النماذج النظريّة المتعاقبة للنظرية التوليدية نفسها روافد معرفيّة بنائيّة استند إليها وطوّرها في النماذج اللاحقة؛ لذا - قياسًا إلى نموذج البنيات التركيبية الذي قدّمه تشومسكي في ١٩٥٧م - يعدّ نموذج المعيار أكثر وضوحًا وعمقًا في تناول القضايا اللسانية من وجهة نظر توليدية تحويلية، بل إنّه أكثر نضجًا من الناحية التصوّرية العامّة؛ لأنّه يتضمّن الإطار العام للنظرية التوليدية في أبعادها المختلفة وعلاقاتها وموقفها من العديد من القضايا اللسانية الجوهرية، فضلًا عن جملة من المفاهيم النظرية والإجرائية التي ستشكّل أساس التصوّر التوليدي ، إذ «أدخل تشومسكي – من خلال هذا النموذج – كثيرًا من التعديلات على نظريته، حتى أصبحت أكثر إيجابيّة من صورتها الأولى» ، وبهذا يعدّ النظام النحوي الذي اقترحه تشومسكي في ١٩٦٥م في كتابه (مظاهر النظرية التركيبية)، نظريّة؛ فقد «صُمّمت لهذا النظام هندسة تتمثّل في وجود مكوّن تركيبي قاعدي مسؤول عن توليد العبارات اللغوية التي يمثّل لها في بنيات عميقة، ومكوّنين تأويليين، المكوّن الدلالي والمكوّن الصوّاتي (أو الفونولوجي) اللذين يؤولان تباعًا البنية العميقة والبنية السطحية» .

بموازاة هذه النظرية النحوية التي يشكّل التمثيل الصوتي البنية السطحية للتراكيب النحوية فيها وهو يمثّل الوجود المادي المحسوس للغة، كانت هناك نظرية توليدية، أيضًا، في الصوت، قدّمها تشومسكي لتشرح الآلية التي تنتظم فيها الأصوات اللغوية وتتشكّل في كلمات وتراكيب، وما يحدث من عمليات صوتية محكومة بقواعد أو قوانين محدّدة، وذلك في كتابه (The sound pattern of English) (النسق/ النمط الصوتي للغة الإنكليزية) في (١٩٦٨م) الذي أصدره بمعيّة موريس هالي (Mories Halle)؛ إذ راقب فيه تشومسكي وزميله هالي التمثيل الصوتي للتراكيب الإنجليزية، وقد عُرفت الفونولوجيا المقدّمة في هذا الكتاب بـ«الفونولوجيا التوليدية المعيار» «standard theory» ويتكوّن التمثيل الفونولوجي – في هذا النموذج – من القطع (الأصوات) والحدود المرتّبة ترتيبًا خطيًّا، وتُمثَّل القطع بوصفها مكوّنة من سمات فونولوجية قائمة على معايير نطقيّة على خلاف السمات المميزة التي وضعها ياكوبسن (١٩٥٢م)، القائمة على معايير فيزيائية صوتية (أكوستيكية) .

وتُكمِّل الفونولوجيا التوليدية الفونولوجيا التقليدية؛ فهي التي أقامت العلاقات الصرفية بين الصوتيات، وكانت الفونولوجيا التقليدية أغفلت هذا الجانب،

ووقفت عند الاهتمام بالتقابلات المميّزة؛ إذ درست الفونولوجيا التقليدية الانساق الصوتية بناءً على مبدأ الوظيفة التمييزية، واستخرجت الفونيمات وهي أدنى الوحدات الصوتية المُمَيزَة المتعاقبة، وارتأت أنّ الوحدات الصغرى للبنية الفونولوجية هي الفونيمات، وإن اتّضح أنّ الفونيمات - بوصفها وحدات صغرى غير قابلة للتفكيك – لا تبدو كافية؛ فهي تتفكّك إلى سمات مميزّة ثنائية عند ياكوبسن وغيره، ومع ذلك، فالوحدة الفونولوجية الأوليّة – في العديد من الأدبيات الكلاسيكية – هي الفونيم، وحينما يُحال على السمات، فإنّه لا يُحال عليها بوصفها وحدات مميزّة، وإنّما يُحال عليها بوصفها خاصيات صوتية تسمح بالإحالة الملائمة على طوائف الفونيمات؛ ومن ثمّ فإن كانت الفونولوجيا التقليدية تتوخّى استخلاص الفونيمات التي تخصّ كلّ لغة طبيعية، بواسطة التقابلات، فإنّ الفونولوجيا التوليديّة تعنى بمنح صورة تلفظيّة للبنية التركيبية السطحية، التي تنتجها التحويلات التركيبية في النموذج المعيار، وهي كالتركيب تعمل على مستويات، وتطبّق قواعدها على التمثيل التحتي لتصعد به إلى مستوى النطق، فالمستوى التحتي يمثّل الأصل، وتوصله القواعد التي تطبّق عليه إلى المستوى المنطوق .

وتمثّل الفونولوجيا التوليديّة المعيار مرحلة نظرية ضمن سلسلة من المراحل النظرية الصوتية في النظرية التوليدية، وقد جرت عليها عمليات تطوير وتعديل قُدِّمت على شكل مراحل؛ ادّعت أنّ الفونولوجيا التوليديّة المعيار اقتصرت في تعاملها مع النظام الصوتي للغة على القول بأنّ الاتصالية الصوتية (continuum) تتجزّأ إلى قطعات (segments) تخضع إلى ترتيب خطّي زمني، وهي مكوّنة من سمات (features) آنيّة غير متعاقبة زمنيًّا وغير مرتّبة، والحقّ أنّ القطعات منها ما هو مفرد ومنها ما هو مركّب، كالجيم قليلة التعطيش التي تبدأ بشدّة وتنتهي برخاوة، وهذا الأخير يقتضي بنية تحت – قطعيّة (sub segmental)، وأنّ بعض الظواهر النغمية في بعض اللغات تقتضي التعرّف على بنية فوق – قطعيّة (supra segmental) ، فظهرت (الفونولوجيا مستقلة القطع) التي قدّمها كولد سميث في كتابه (الفونولوجيا مستقلة القطع) في (١٩٧٦م)، و(الفونولوجيا العروضية) التي قدّمها ليبرمان وبرينس في مقالهما (حول النبر والإيقاع اللساني) في (١٩٧٧م) .

إلاّ أنّ الذي اتّضح من خلال البحث أنّ الفونولوجيا التوليدية في نسختها المعيار تصلح لتفسير كثير من الظواهر الصوتية العربية وفي مقدّمتها ظاهرة الإعلال؛ فهي عمليّة في معالجة الظواهر التي تقوم على تحوّلات قطعيّة كالإبدال والإعلال والإدغام والإمالة والقلب المكاني، وغيرها.

وقد أُغفلت هذه المرحلة الأساسية من مراحل الفونولوجيا التوليديّة، من قبل الدارسين العرب سواء أعلى مستوى الترجمة لما كُتب فيها، أم على مستوى التأليف فيها؛ إذ لا نجد غير إشارات يسيرة هنا وهناك لا تُشفي غليل الباحث العربي، ولا تجعله يقف على معطياتها بشكل راكز، ولم يقدِّم مَن كَتَبَ في المراحل التي أعقبتها أي عذر لإغفالها، ولعليّ استشفّه – أعني العذر – بأنّ الاطّلاع على الفونولوجيا التوليديّة

كان بعد مدّة ليست بالوجيزة تمخّضت النظرية التوليديّة فيها عن مراحل جديدة جاءت لتغطّي بعض المساحات الصوتية التي لم توفّق المرحلة التوليديّة المعيار في تغطيتها ومعالجتها فكانت المراحل التي تلتها أكثر نضجًا، ومن ثمّ رأى من اطّلع على هذا النتاج العلمي أنّه ما من داعٍ للخوض في مرحلة قد غودرت، وأنّ الأفضل هو نقل التطوّرات الحديثة لهذه النظرية لنكون مواكبين لها؛ فبقيت هذه المرحلة من مراحل الفونولوجيا التوليديّة حلقة فارغة إلاّ من بعض الإسهامات اليسيرة، وهنا نتساءل: هل الحكمة أن نبدأ – نحن العرب – بما انتهى إليه الغرب في هذا الميدان لنقول إنّنا التحقنا بالغرب، وإنّنا نسايره؟ هل من الصواب أن نؤلّف بادئ ذي بدء في نحو الحالات والذي لم يظهر في أميركا إلاّ سنة ١٩٦٦م فقط بمقال (Fillmore) والحالة أنّنا لم نمرّ كما مرّوا من مراحل لغوية دقيقة هيأت نحو الحالات هذا؟ هل من الحكمة نشر دراسات حول النحو التوليدي التطبيقي الذي رأى النور أوّل ما رآه في حوالي ١٩٦٢م؛ ونحن بعد مفتقرون إلى المؤلفات التي عنها تمخّض هذا التيار؟ أم هل من الصواب أن نصنّف في النحو التوليدي الذي لم يظهر في أمريكا إلاّ سنة ١٩٥٧م بعد أن هيأت ظهوره تيارات لغوية أخرى مازال ميدان التأليف العربي لا يعرف عنها إلاّ النزر القليل الذي لا يفيد؟ ، من هنا انبرت هذه الدراسة وبالاستعانة بكتاب تشومسكي سابق الذكر إلى رأب الصدع وردم الهوة وملء هذا الفراغ، التي نسأل الله العليّ القدير أن نكون وفّقنا لإخراجها على نحو لائق.

وقد استُعمل هذا الاصطلاح - (النظام الصوتي التوليدي) – عنوانًا لكتابٍ ترجمه الدكتور نوزاد حسن أحمد، وعنوانه (Generative Phonology) وهو من تأليف (Sanford. A. Schane)، وعنوانًا لكتابٍ من تأليف الدكتورة كورديا أحمد حسن صالح، وقد ذُيّل باللاحقة (في السور المكيّة القصار)، على حين أنّ هناك اصطلاحات أخر عُبّر بها عن الجانب الصوتي في النظرية التوليدية التحويلية منها اصطلاح (الصواتة التوليدية) قدّمه الدكتور إدريس السغروشني في كتابه (مدخل للصواتة التوليدية)، واصطلاح (الفونولوجيا التوليدية) وقد قُدّم عنوانًا لكتاب ترجمه الدكتور مبارك حنون، والدكتور أحمد العلوي ، وهو من تأليف هاري فان درهالست ونورفال سميث، وقد كان عنوان الكتاب مذيّلا بـ(الحديثة) فصار (الفونولوجية التوليديّة الحديثة)، وقد اعتمدنا مصطلح (النظام الصوتي) استنادًا إلى عنوان كتاب تشومسكي (The sound pattern of English) واستئناسًا بما ترجمه الدكتور نوزاد، وكتبته الدكتورة كورديا، وما هو قارّ في المدوّنة العربية من استعمال مصطلح نظام للإشارة إلى المستويات اللغوية (النظام النحوي، النظام الصرفي، النظام الصوتي... الخ).

أولًا: السمات المميّزة:

تعدّ نظرية السمات المميّزة أهمّ مرتكزات النظام الصوتي التوليدي الذي ينظر إلى «التمثيلات الفونولوجية باعتبارها محلّلة - في الغالب - في مستوى مجرّد، وفق [سمات] ثنائية»[٤] ، ومن ثمّ فإنّ السمات المميّزة تمثّل «عناصر نووية للصواتة، وبذلك تُعزى أهمية أقل للقطعة نفسها»[٥] .

تعود فكرة السمات المميّزة إلى لغويي مدرسة براغ وتحديدًا لتروبتسكوي (Trubetzkoy) (١٨٩٠- ١٩٣٩م) أحد مؤسسي هذه المدرسة التي «اتّبعت نهجًا فريدًا متفرّعًا من مدرسة (دي سوسور) في اللغويات البنيوية، نادى بأنّ الفونيمات ليست هي الوحدات الصوتية الأساسية التي تشكّل بمفردها النظم اللغوية، بل إنّ الفونيمات حزم من السمات المتميزة» [٦] إذ رأى تروبتسكوي أنّ الفونيم «هو مجموع خواص تكوين صوتي وثيقة الصلة فونولوجيًا» [٧]، فالأصوات «هي كلّ يتألف من الخصائص النطقية والسمعية، بيد أنّ هذه ليست كلها ذات علاقة بعملية التفاهم المتبادل، ولا يحظى بهذا الوصف إلاّ بعض من هذه الخصائص» [٨]وهو بذلك يتقدّم «خطوة متجاوزًا تكوين وحدة (الفونيم)، فقد جزّأ الفونيم ... وإذا قُسّم الفونيم إلى وحدات أصغر فإنّ السمات التي تُرتّب مع ذلك ليست بشكل أفقي في مقابل الوحدة الأفقية الممكن تجزئتها (الفونيم) تنتج تبعًا لذلك بشكل متزامن» [٩]، وقد «لفت تروبتسكوي الأنظار إلى الدور الجوهري الذي تؤدّيه التقابلات الثنائية Binary oppositions وتتجلّى هذه التقابلات في سلسلة من التكوينات المتوازية مشروطة بمعايير صوتولوجية واحدة ... وعند دراسة هذه التقابلات الثنائية البسيطة لاحظ تروبتسكوي أنّ أحد عضوي التقابل يؤدي وظيفة العضو الموسوم Marked ، ويدخل في تمييز بالضد من عضو غير موسوم Unmarked، ومثال ذلك أنّ في تقابل الصوت المجهور /b/ مع الصوت المهموس /p/ نجد أنّ طرفي التقابل كليهما ذوا خصائص صوتية، إلاّ أنّ الصوت الموسوم /b/ يتميّز بخاصية واحدة (هي كونه مجهورًا)، وهي الخاصية التي يفتقدها الصامت المهموس» [١٠]، لقد حاول تروبتسكوي «أن يصنّف السمات الصوتية داخل الأنسقة اللغوية:

أ/ حسب علاقتها بتقابلات النسق كلّه.

ب/ حسب علاقتها ببعضها.

ج/ حسب مدى قوّتها التمييزيّة» [١١].

بناءً على ذلك تحدّث تروبتسكوي عن السمات المميّزة ضمن نوعين رئيسيين من الأصوات:

أ/ سمات نطقيّة تتعلّق بالصوائت.

ب/ سمات نطقيّة تتعلّق بالصوامت[١٢] .

ومن ثَمَّ فقد قدّم وصفًا لهذه الأصوات؛ وذلك على النحو الآتي:

أ/ السمات النطقيّة للصوائت:

حدَّد تروبسكوي الصوائت «ثلاث فئات طبيعية على النحو [الآتي] [١٣] :

١- تقابلات مبنية على أساس النوعية، وتتضمّن الآليات [الآتية] [١٤]:

- درجة الانفتاح (وضع اللسان بالنسبة لسقف الفم).

- الجرس (timbre)، ويشمل:

الاستدارة (وضع الشفتين).

الموضع (أمامي في مقابل خلفي).

٢- تقابلات مبنيّة على أساس اختلاف غرفة الرنين: (resonance opposition of) :

- حركة أنفية (غرفة الرنين، التجويف الأنفي)، في مقابل حركة غير أنفية (غرفة الرنين، التجويف الفموي).

- حركة مُفَخَّمَة في مقابل حركة غير مُفَخَّمَة (هنا

يتدخّل وضع اللسان في تغيير حجم غرفة الرنين).

٣ـ تقابلات بروسوديّة (prosodic opposition) ، وتتضمّن أنماطًا نطقيّة مثل:

ـ الشدّة (intensity) (وتتعلّق بالنبر).

حركة منبورة في مقابل حركة غير منبورة.

ـ الكم:

حركة طويلة في مقابل حركة قصيرة.

ـ درجة الصوت (pitch) (وظيفة الاختلاف النسبي لدرجة الصوت).

ـ التنغيم (وظيفته العاطفية واللغوية).

ـ حركة النغمة (نسق تتابع النغمات وما ينشأ عنها من تقابل).

ـ طبقة الصوت «(rcgister) [١٥] .

ب/ السمات النطقيّة للصوامت:

«الفئات الطبيعية التي اقترحها تروبتسكوي [للصوامت] [١٦] شملت ما [يأتي] [١٧]:

١ـ تقابلات تتعلّق بالموضع (مكان النطق).

٢ـ تقابلات تتعلّق بطريقة النطق:

ـ الجهر.

ـ نفسي، غير نفسي.

ـ درجة انحباس الصوت.

ـ مهموز، غير مهموز (glottalized / nonglottalized) .

٣ـ تقابلات تتعلّق بالجرس:

ـ محنّك، غير محنّك (palatalized / non palatalized) .

ـ مستدير، غير مستدير.

ـ مفخّم، غير مفخّم.

ـ انقلابي (retroflex) ، أسناني.

٤ـ تقابلات تتعلّق بالشدة (intcnsity) :

ـ شديد، رخو (fortis / lenis) .

ـ مضغوط، غير مضغوط.

ـ قوي، ضعيف.

ـ طويل، قصير.

ـ مشدّد، غير مشدّد» [١٨].

غير أنّ تروبتسكوي قد انتهى إلى هذا بمعية رومان جاكوبسن (Jakobson) (١٨٩٦ـ ١٩٨٢م) الذي تعاون معه «تعاونًا وثيقًا للغاية في التخطيط للفونولوجيا كعلم إلى حدّ أنّ المرء يجد أحيانًا وهو يناقش المسألة مشكلة، وهي لأيّ من الاثنين يرجع (حق التأليف) الفعلي» [١٩]، فجاكوبسن الذي «يُعدّ من مؤسسي الفونولوجيا في حلقة براغ، ولولا ديناميكيته الفعّالة لما استطاعت أن تحقّق ذلك النجاح الكبير، ولاستغرقت وقتًا طويلًا لتفرض نفسها خارج (براغ)» [٢٠] اشتهر «بنظريته الفونولوجية التي تنصّ على وجود نظام سيكولوجي كلّي (Universal) منتظم وبسيط تشترك فيه جميع اللغات البشرية، وتؤكد على أنّ الاختلافات الموجودة بين مختلف الأصوات الكلامية، ما هي إلاّ عبارة عن اختلافات سطحية لنظام تحتي ثابت» [٢١]كان يرى أنّ «العمل المطلوب للغوي هو التحليل العميق للفونيم، والبحث المنهجي في بنيته»[٢٢] ، وأنّ «كلّ الفونيمات الصائتة والصامتة، لكلّ لغة معينة، يمكن أن تُحلل إلى سمات مميزة غير قابلة للتحليل» [٢٣].

لقد رأى جاكوبسن أنّه «يجب أن يبدأ تحليل النظام الفونولوجي، بالضرورة، بتعيين السمات

المميزة؛ لأنّه تبيَّن أنّها قابلة للمقارنة بصورة تبادلية وصارمة؛ ذلك أنّ سمة مميّزة ماثلة في النظام الفونولوجي للغة معينة هي مشابهة، بشكل رئيس، للسمة ذاتها عندما تكون جزءًا من نظام آخر» [٢٤]، ولأنّه رأى ـ أيضًا ـ أنّها تنهي حيرة اللغويين بمشكلة ماهية المعيار الحقيقي الذي يحصي صوتين أو أصواتا متباينة بصورة أكثر وضوحًا كفونيم مفرد؛ «إذا حاولوا أن ينكبّوا ـ على الرغم من عدم النجاح ـ على معيار مستمد من الاستبطان ـ أي الحدس الذاتي لمتكلمي اللغة، ولكن إذا اعتبرنا الفونيم كحزمة من العناصر التمييزية فسينتج بصورة موضوعية وغير غامضة، أنّ الصائت الأمامي / i/ والصائت الخلفي / y/ يحققّان الفونيم نفسه في اللغة الروسية؛ طالما أنّهما لا يشتركان في تقابل مميّز، وإنّ كلّ واحد منهما يشارك في مجموعة مشتركة من العناصر، أي حزمة من السمات المميزة التي تميّزها من كل الفونيمات الأخرى لهذه اللغة المعيّنة، فكلّ واحد منهما هو صائت مغلق وغير مدوّر» [٢٥].

وكان جاكوبسن اتجه ـ في المدة التي قضّاها في الولايات المتحدة ـ بقوة إلى تحليل السمات أو الملامح؛ فقد وضع مع عالم الدراسات السلافية موريس هالي والمهندس جونر فَنت أساس علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات السمعي مستفيدًا من المعامل السمعية المحسَّنة وذلك في كتابهم الذي عُرف باسم (مقدمات في التحليل الصوتي) (preliminaries to Speech analysis) في ١٩٥٢م [٢٦]، وقد طرح هو وهالي (١٩٥٦م) مهمة الانتقال من الحقائق السمعية المباشرة إلى التسجيل الفونولوجي، وقد احتيج في ذلك إلى السمات المميّزة التي كانت تعلّل تارة من الناحية النطقية وتارة من الناحية السمعية، وبنيت حسب مبدأ الثنائية [٢٧]، وقد «كان موقف جاكوبسن حازمًا تجاه ثنائية السمات التمايزية (traits distinctifs)، ففي حين اعتمد مارتينه وجود السمات الثنائية والسمات الثلاثية والسمات الرباعية ... أصرّ جاكوبسن على أنّ كل سمة تمايزية هي ثنائية ... وقد قام بمقابلات فونولوجية عدة تعتمد على التمييز السياقي، فالفونيمات /p/ و/b/ يتقابلان في الفرنسية لأنّهما يُستخدمان في التمييز بين (pierre و biere)، فتقابلهما لا يقوم إلاّ على سمة واحدة، وهو بالتالي ليس تقابلًا كليًّا شاملًا، وإنّما ينحصر في العلاقة بين المجهور (b) وغير المجهور (p)، فنحن لا يمكن أن نميّز الفونيم المجهور إلاّ إذا كان هناك فونيم غير مجهور، وهذه الثنائية هي التي تجعل السمة أكثر وضوحًا وأكثر بروزًا، فكلّ العلاقات بين الوحدات الصوتية التمايزية في لغات مختلفة تخضع لنظام ثنائي (وجود أو عدم وجود سمة تمايزية معينة)» [٢٨] ، وقدّم جاكوبسن نتيجة لذلك الأنموذج المعروف المكوّن من اثني عشر زوجًا من العلاقات الثنائية [٢٩]، وهذه العلاقات موزّعة على قسمين كبيرين، وهما ملامح رنّة الصوت، وملامح لحن الصوت:

(أ) سمات رنّة الصوت (Traits de sonorite) :

تقدّر سمات رنة الصوت بكمية الطاقة، ومدى تكثيفها في طيف الصوت مكانًا وزمانًا، وهي تصنّف في تسعة أزواج، كما يأتي:

١.لينة ≠ غير لينة (– Vocalique ≠ non

(Vocalique

٢.صامتة ≠ غير صامتة (≠ Consonantique (non – Consonantique

٣.متقاربة ≠ متباعدة (Conpact ≠ diffuse)

٤.شديدة ≠ رخوة (Tendu ≠ lache)

٥.ذلقة ≠ غير ذلقة (Voise ≠ non –voise)

٦.أنفية ≠ شفوية (Nosal ≠ oral)

٧.مطبقة ≠ غير مطبقة (≠ Continu (discontinu

٨.صارخة ≠ ظليلة (Strident ≠ mat)

٩.محصورة ≠ غير محصورة (Bloque ≠ non –bloque)

(ب) سمات لحن الصوت (Traits de Toolite) :

وتقدّر سمات لحن الصوت أو نغمته بتواتر طيف الصوت، وتصنّف في ثلاثة أزواج، هي:

١.ثخينة ≠ حادة (Grave ≠ aigu)

٢.مخفّفة ≠ غير مخففة (– Bemolise ≠ non (bemolise

٣.مقوّاة ≠ غير مقواة (Diese ≠ non –diese)

(٣٠)

وقد عنى جاكوبسن بهذه السمات الآتي(٣١) :

• صوامتي / غير صوامتي: وتتمثّل في حضور انقباض في الممرّ الفموي مقابل غيابه.

• صائتي / غير صائتي: وتتمثّل في اهتزاز أساسي أو في مستوى المزمار فقط، مصاحب بمرور حرّ للهواء في الجهاز المصوّت(٣٢) .

• مكثّف ـ منفلش (compact/diffuse): تصف السمة (+مكثّف) الأصوات المنطوقة في الجزء الأمامي من الممرّ الفموي التي تستلزم تكثيفًا للطاقة على شكل حزام ضيّق في منتصف الرسم الطيفي، وتعدّ المصوتات المنخفضة والصوامت الغشائية والحنكية (+مكثّف) أو (-منفلش).

وتصف السمة (+منفلش) الأصوات المنطوقة في الجزء الخلفي من الفم التي تتسم بتكثيف للطاقة في أسفل الرسم الطيفي، وتعدّ المصوتات العالية والصوامت الأمامية (+منفلش) أو(-مكثّف).

• مجهور / مهموس: وتتمثّل هذه السمة في حضور مقابل غياب تذبذب الأوتار الصوتية، فالصوت الذي يشتمل نطقه على تذبذب الأوتار الصوتية يوصف بأنّه (+مجهور) أو(-مهموس).

أمّا الصوت الذي لا يشتمل على هذا التذبذب في الأوتار الصوتية فهو (+مهموس) أو(-مجهور).

• أنفي / غير أنفي (فموي): تصف السمة (+أنفي) الأصوات التي تستلزم اختزال شدة بعض الحزم في رقعة الذبذبات وإدراج حزام أنفي إضافي في الرسم الطيفي وذلك لأنّ الرنين الفموي يكون مصحوبًا برنين التجويف الأنفي، وفي غياب انسياب الهواء من الأنف تكون القطعة (+فموي) [] m وn [مقابل] t وk [ ].

• غليظ / حادّ (grave / acute): تصف السمة (+غليظ) الأصوات المنطوقة على حواشي الممرّ الفموي التي تظهر على رسمها الطيفي تجمعًا للطاقة في الأسفل، وتعدّ الصوامت الشفوية والغشائية (+غليظ) أو (-حاد).

وتصف السمة (+حاد) المصوتات الأمامية التي تتميّز بذبذبات عليا في الرسم الطيفي، وتحيل هذه

السمة على القطع التي تعدّ (-غليظ).

• غضيض / واضح: تصف السمة (+غضيض) الصوامت والمصوتات المستديرة التي تستلزم إضعافًا للذبذبات العالية في الرسم الطيفي.

وتصف السمة (+واضح) القطع التي تتسم بانفتاح واسع في الممرّ الفموي.

• شديد / رخو: تصف السمة (+شديد) المصوتات التي تستلزم تعويجًا واضحًا للممرّ الفموي، وانتشارًا واسعًا للطاقة في الرسم الطيفي سواء من حيث الذبذبات أو من حيث المدة الزمنية. أمّا المصوّتات التي لا تتصف بذلك فهي (+رخو).

• حاجزي / استمراري: تصف السمة (+حاجزي) القطع التي تستلزم فترة صمت متبوعة بانتقال مباغت إلى رقعة واسعة من الذبذبات في الرسم الطيفي، وتتسم القطع (+استمراري) بغياب هذا الانتقال، وتعدّ الأصوات المركّبة نحو [ts] والحاجزيات، نحو: [b] و[p] (+حاجزي)، وتعدّ الاحتكاكيات، نحو: [f] و[s] (+استمراري) أ، (-حاجزي).

• صريري / سلس (strident /mellow): شدّة صوتية عالية في مقابل شدّة صوتية منخفضة: [v، z، sv، s، zv، f] مقابل: [Θ، O] .

• ناتئ / مسطّح (sharp / plain): تصف السمة (+ناتئ) الصوامت التي تستلزم ارتفاع اللسان نحو الحنك مع تكوّن تجويف واسع وراء نقطة التلامس، وتستعمل هذه الصفة لوصف بعض الصوامت التي يكون لها نطق مرافق (ثانوي)، نحو: [ty] و[ly] .

• محصور / واضح: تصف السمة (+محصور) الصوامت التي تستلزم إفراغًا سريعًا للطاقة في مدّة زمنية جدا قصيرة، وتصف التهميز كنطق مصاحب، مثل: [Tʔ] و[Kʔ] .

ومن ثمّ فإنّ «مدرسة براغ هي إحدى المدارس التي هيمنت على اللسانيات ردحًا طويلًا من الزمن والتي لا يزال تأثيرها ساريًا إلى يومنا هذا» [٣٣]؛ إذ إنَّ «أوّل نسق تام للسمات هو الذي تقدّم به ياكوبسن في ياكوبسن وفانت وهالي (١٩٥٢م) Jakobson، Fant، and Halle » [٣٤]؛ في كتابهم (preliminaries to Speech analysis) ، و»طُوِّر في (١٩٥٦م) عندما نشر ياكوبسون (Jakobson) مع (Mories Halle) كتابهما (Fundamentals of language) أساسيات اللغة، واقترحا فيها أنّ كل صوت يحلّل إلى عناصر أصغر من الفونيمات أي (features) فيُميّز عن بقية الأصوات الأخرى بسمة واحدة أو اثنتين، فغدت السمة (features) أصغر وحدة في بنية التحليل الفونولوجي (phonological analysis)» [٣٥]؛ إذ «لا يمكن لأي منها أن تُجزَّأ إلى وحدات لغوية أصغر» [٣٦] وهكذا قام روّاد مدرسة براغ بتصنيف الأنظمة الفونولوجية بطرائق مختلفة، وفقًا للملامح المميزة للفونيمات، وبفضل أعمال هذه المدرسة في هذا الميدان أصبح الفونيم أحد المقوّمات الأساسية للنظرية اللسانية عامة والوصف العلمي والتحليل المنهجي لمختلف الظواهر اللغوية خاصة[٣٧] ، الأمر الذي نجد أثره واضحًا فيما قدمه نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) وموريس هالي (Mories Halle) في كتابهما (The sound pattern of English) [٣٨] (النمط/

النسق الصوتي للغة الإنكليزية) في (١٩٦٨م)؛ إذ شكّلت نظرية السمات المميّزة عماد النظرة الجديدة للنظام الصوتي التي تقدّم بها تشومسكي.

ثانيًا: السمات المميزة عند تشومسكي:

إنَّ السمات المميزّة «التي برزت ضمن الإطار الفكري العام لمدرسة براغ اكتفت بالفكرة وسيلة لتأسيس التقابلات بين الأصوات وتحليل الوحدات الصوتية، ولم توظّف الفكرة ضمن منهجيّة واضحة المعالم للتحليل الفونولوجي وتفسير التغيرات الصوتية ـ الصرفية، وكان علينا أن ننتظر حتى ظهور كتاب (النمط الصوتي للغة الإنجليزية) لنجد كيف يمكن إدخال [السمات] [٣٩] الصوتية ضمن آلية يكون بمقدورها أن تساعدنا في صياغة القواعد الصوتية التي تفسّر لنا العمليات الصوتية في اللغة» [٤٠].

فقد رأى تشومسكي أنَّ أبحاث الفونتكس عندما بدتْ «مهتمّة بالسمات المحدّدة نحويًا للإشارة اللغوية، لم يكن السؤال القائم عن الصلة بين الفونتكس ودراسة اللغة، بل إنّ هذه الأبحاث، فضلًا عن ذلك، منذ أن ظهرت بهذا المعنى كانت تمثّل تفسير سامع المتكلّم بدلًا من تشخيص خصائص الإشارة المباشرة الجديرة بالملاحظة» [٤١]؛ إذ كانت «السمات عند ياكوبسن اصغائية، أساسًا لا نطقية، وتحدّد بخصائص مَرْسَمَة الطيف، والمعلومات التي تحملها السمة تمييزية لا أصواتية» [٤٢]، ومن ثمَّ فإنَّ التناقض بين الوصف والإشارة يمكن إدراكه بسهولة، وهكذا فلم يعد صعبًا أن نُدرك أنَّ الوصف في الفونتيقيا متكوّن من رموز منفصلة بينما الإشارة شبه مستمرة، أو أنّ ما تزوّدنا به هذه الأوصاف معلومات متعلّقة ببعض خصائص الإشارة دون أن تكشف عن الخصائص المتبقية، وأخيرًا، فإنّ هناك إشارات جسدية مشابهة للإشارات اللغوية لربّما كان لها وصف متميّز في الفونتيقيا، وعلى نحو واضح فإنّ تفسير شخص ما لحدث معيّن من الكلام لا يكون محدّدًا فقط بالخصائص الطبيعية (الفيزيائية) المكوّنة للحدث، وعلى نحوٍ ضمني فإنّ في هذه النظرة وجهة تذهب إلى أنّ فهم الكلام عملية فاعلة، وهي عملية يضرب فيها المحفّز الطبيعي أُذنَ السامع فيكون مستعملًا بالقوة نفسها في تأليف فرضيات حول البنية العميقة للجملة [٤٣]، ومن ثمَّ فإنّ تشومسكي كان يمنح «وظيفتين للسمات:

أ) تجميع التغايرات الصواتية داخل اللغات.

ب) وصف المحتوى الصوتي للقطعات المشتقة بواسطة القواعد الصواتية، وكذلك وصف القطعات التحتانية» [٤٤].

كانت النظرة إلى الحاصل المهم من سمات «الفونولوجيا توليدية المعيار» تتمّ في ضوء علاقة خاصّة بمفهوم البساطة مثلما يقدّمه الفونولوجيون التوليديون في تصوّرهم؛ لأنّ البساطة التي كانت تتمثّل في تصوّر ياكوبسن وهيلمسيلف بضرورة اختصار السمات المميزة إلى الحدّ الأدنى كهدف أساس في الوصف الفونولوجي، لم تعد كذلك في الفونولوجيا توليدية المعيار عند تشومسكي وهالي؛ إذ أخذت شكل «البساطة التامّة» (Overall Simplicity) التي لا تقوم على أساس جعل عدد السمات المميزّة قليلًا مختصرًا ممّا يؤدي إلى تعقيد

القواعد الفونولوجية، وإنّما تقوم على أساس بساطة القواعد الفونولوجية، لا بساطة مرهونة باختصار عدد السمات المميزة [٤٥]، ومن ثمَّ فإنّ الهدف كان يكمن في إغناء «مجموع السمات للتمكّن من صورنة صوتية، أو بعبارة أخرى، للتمكّن من تصيّد التقابلات التحتية وضبط المحتوى الصوتي للقطعات الذي ينتج عن القواعد الصواتية القائمة عن سمات مثنوية» [٤٦]، إذ إنَّ وضوح النظام الثنائي يمكننا من التحقّق من مدى قابلية السمات كلّها على تقبّل التفسير الثنائي، وبضمنها السمات التي لا تبدو ثنائية للوهلة الأولى، وذلك نحو: سمات العلو للمصوّتات أو سمات موضع النطق، وهو ما أشار إليه تشومسكي وهالي بقولهما: إنَّ السمات لا تكون بالضرورة ثنائية في مستوى التجريد النظامي الصوتي (phonetic level systematic)، بل هي ثنائية على المستويين التصنيفي (factory classy) أو التجريد العالي النظامي (phonemic systematic) [٤٧]، وقد اعتمد تشومسكي وهالي في كتابهما (The sound pattern of English) في تصنيف السمات الصوتية على وصف حركيّة أعضاء الجهاز المصوّت أثناء تحقيق الأصوات مقارنة بالوضع المحايد الذي يميّز الجهاز النطقي للمتكلم قبل التكلّم، واقترحا لائحة بما يناهز الثلاثين ملمحًا لتعيين أصوات اللغات الإنسانية كلّها، وترتيبها ضمن أصناف معيّنة تمتلك خاصية الاشتراك في القدرة على شرح العمليات الفونولوجية نفسها ومعالجتها [٤٨]، وهذه السمات هي [٤٩]:

١. Major class features (سمات الصنف الرئيسة)

Sonorant (جهير) (رنيني) (رنّان)

Vocalic (صائت) (مصوّتي)

Consonantal (صامت) (صامتي)

٢. Cavity features (سمات التجويف)

Coronal (تاجي) (نصل اللسان إلى الأعلى) (طرفي)

Anterior (صوت داخلي) (انسداد أو تضييق حنكي ـ سنخي) (مقدّم)

Tongue-body features (سمات جسم اللسان)

High (مرتفع) (فوق شكله الحيادي)

Low (منخفض) (دون شكله الحيادي)

Back (خلفي) (تراجع إلى الخلف)

Round (صوت مدوّر) (الشفتان ضيقتان)

Distributed (صوت موزّع) (منتشر) (تضييق مطوّل ـ ممتد)

Covered (صوت مغطّى) (مقنّع) (بلعوم ضيّق مشدود) (محجوب) * [٥٠]

Glottal constrictions (تضييق ، انسداد، حنجري) (انقباض حنجري)

Secondary apertures (سمات الانفتاحات الثانوية)

Nasal (أنفي)

Lateral (جانبي)

٣. Manner of articulation features (سمات أسلوب ، كيفية، النطق)

Continuant (مستمر)

Release features: instantaneous and delayed (سمات التحرير ، الإفلات ـ الإطلاق) (آني، فوري) (متأخر)

Primary release (تحرير أولي) ابتدائي

Secondary release (تحرير ثانوي)

Supplementary movements (حركات إضافيّة)

Suction (جذب) (انجذاب) (امتصاص)*

Velaric suction (clicks) (انجذاب ، التصاق، حلقي) (أصوات الطقطقة)

Implosion (انفجاري) (داخلي)

Pressure (ضغط)*

Velaric pressure (ضغط حلقي)

Ejectives (الأصوات الخارجة بشدّة)

Tense (مشدود) (جهد عضلي)

٤. Source features (سمات مصدر الصوت) (منبع الصوت)

Heightened subglottal pressure (ضغط تحت حنجري مرتفع) (ضغط تحت مزماري متعالي)

Voice (مجهور)

Strident (حاد النغمة) (صريري)

Prosodic features (السمات النظميّة)

Stress (النبرة)

Pitch (طبقة الصوت) (درجة الصوت)

High (عالٍ)

Low(سافل)

Elevated (رفيع)

Rising (صاعد) (متزايد)

Falling (هابط) (منحدر)

Concave (مقعّر)

Length (الطول) [٥١]

وعلى الرغم من أنَّ تشومسكي وهالي لم يكونا مهتمّين، إلى درجة كبيرة، بتحقيق الكلام نفسه، بل كان همّهما هو وصف الكفاءة الفونولوجية عند الإنسان، فإنَّ السمات الصوتيّة عندهما كانت أكثر تطبيقًا في أنموذج لإصدار الكلام من مجموعة السمات السمعية الصرفة التي اقترحها ياكوبسن من قبل [٥٢]، قدّم تشومسكي هذه السمات بمقارنة الجهاز النطقي في حال نطق الأصوات به في ما أطلقوا عليه بـ(الوضع المحايد) (Neutral Position) وذلك أنَّ في أغلب صور أشعة أكس (X-ray motion pictures) التي صوّرت الكلام، ما يمكن أن يلاحظ فيه أنّ المتكلم يجعل المنطقة الصوتية على مستوى مخصّص ومتميّز؛ ففي هذا الوضع يكون اللسان مرتفعًا والهواء يمرّ من خلال الأنف، واللسان في حالة سكون وراحة في أعلى الفم، ومازال الصوت يخرج من خلال عملية الزفير فيجب أن يكون ضغط الهواء في الرئتين قبيل الكلام أعلى من الضغط الجوي، وخلال عملية التنفس الهادئ يجب أن تنتشر الحبال الصوتية عبر نطاق واسع بغضّ النظر عن الصوت الذي تصدره [٥٣].

١- سمات الأصناف الرئيسة Major class features :

تأتي مسألة تصنيف الأصوات اللغوية ـ بمعنى تحديد الصفات والخصائص التي تميّز وتفرّق بين نوع

وآخر، أو بين طائفة وأخرى من الأصوات ـ في مقدمة اهتمامات دارس الصوتيات الذي يروم دراسة أصوات اللغة، وظواهرها الصوتية، وخصائصها الأدائية [٥٤]، وتعدّ هذه السمات من الأبعاد الرئيسة في التصنيفات الخمسة لنظرية تشومسكي، وهالي ضمن نظرية السمات المميزة في التحليل الفونولوجي [٥٥]، إذ نستطيع ـ بشيء من الاختزال ـ تحديد الحيز الصوتي في عملية الكلام بأنّه تناوب بين الإغلاق والانفتاح؛ ففي أثناء عملية الإغلاق يواجه تدفّق الهواء باعتراضات أو توقّفات تؤدي إلى ارتفاع الضغط في الحيّز الصوتي، وعلى العكس من ذلك؛ فإنّ تدفّق الهواء ينساب بحرية في أثناء عملية الانفتاح، وبفضل هذا التناوب يزوّدنا الجهاز النطقي بصفات أو سمات تمثّل الأصناف الرئيسة للأصوات وهي: (رنيني) (Sonorant) ، و(صائتي) (Vocalic) ، و(صامتي) (Consonantal) [٥٦] التي تعدُّ إطارًا طبيعيًّا للأصوات اللغوية [٥٧]، فضلًا على سمات أخر [٥٨].

١-٢- رنيني / غير رنيني (Sonorant\ Non sonorant)

تشير السمة (+ رنيني) إلى السمة الرنينيّة للصوت، و»يُقصد بالرنين اهتزاز أحد التجاويف متأثرة باهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بصوت مجهور، مثل التجويف الحنجري، والتجويف الحلقي، والتجويف الفموي، والتجويف الأنفي» [٥٩]، وتنتج الأصوات الرنينية بتشكّل خاص للجهاز النطقي يجعل الرنين أو التصويت التلقائي ممكنًا، الأمر الذي يزول أو يتعذّر عند تضييق الممر الهوائي عند النطق بالصوت [٦٠]، ومن ثمَّ فإنّ الأصوات الأنفية مثل الميم والنون، والأصوات الجانبية مثل صوت اللام، والأصوات أشباه الصوائت الواو والياء، فضلًا على الصوائت تُصنّف بأنّها (+رنيني) [٦١].

١- ٢- مصوتي/ غير مصوتي Vocalic\ Non vocalic)):

تشير السمة (+مصوتي) إلى الأصوات التي تُنتج بتضييق في التجويف الأنفي، لا يتجاوز التضييق المعيّن للمصوّتات العالية مثل: الكسرة [i] والضمّة [u] ، ويكون الوتران الصوتيان في حالة تسمح بالتصويت التلقائي، وفي حال انعدام أحد الشرطين أو كلاهما فإنّ الأصوات المنتجة توصف بأنّها (-مصوتي) [٦٢]، ومن ثمَّ فإنّ المصوّتات في العربية هي الصوائت الطويلة والقصيرة.

١- ٣- صامتي/ غير صامتي (Consonantal\ Non consonantal):

تشير السمة (+صامتي) إلى الأصوات التي تُنتج بإعاقة جذرية في المنطقة المزمارية الوسطى من الجهاز المصوّت، أمّا الأصوات التي توصف بأنّها (-صامتي) فإنّها تُنتج بغير هذه الإعاقة[٦٣] ، ومن الضروري الإشارة إلى أنّ هذه الإعاقة إمّا أن تشكّل انسدادًا كاملًا أو تضييقًا [٦٤]، وتشمل هذه الأصوات الاحتكاكيات، والانفجاريات، والأنفيّات، والمائعات، والانفجاريات الاحتكاكية [٦٥].

٢- سمات التجويف (Cavity features):

أشار تشومسكي وهالي إلى أنّ هناك طرائق متعدّدة في اختبار ومعالجة مناطق التضييق الصوتي في أدبيات الفونوتيقيا، من أهمّها وجهة النظر

المعروفة التي استقرّت عليها الأبجدية في الفونوتيقيا التي تستعمل سمات مختلفة لتمييز التضييق في كلّ من الأصوات الصائتة والصامتة؛ فالصائت موصوف بالاستناد إلى الخصائص التي تميّزه كـ(+أمامي)، و(+خلفي)، و(+عالي)، و(+منخفض)، في حين يوصف الصامت بمتغيرات متعدّدة ذات قيمة أحادية تشير إلى موقع التضييق [٦٦]، وذكر أنّ الخلل الذي يشوب هذه الطريقة يتمثّل في أنّها تخفق في إظهار التوازيات الواضحة في درجة التضييق بين الصوائت والصوامت، وعلى الرغم من ذلك فإنّ الأبجدية الدولية لم تشتمل على آلية لتقييد هذه الحالة والحالات المماثلة لها[٦٧] ، لذا حدّدا أربعة مواضع رئيسة لنطق الصوامت هي: الشفتان، والأسنان، واللثة – الغار، وسقف الفم (الطبق)؛ استنادًا إلى العائق الذي يكون على أشدّه في مقدمة منطقة فجوة الفم (الصوامت الطرفية)، أو أشدّ تراجعًا (الصوامت غير الطرفية)، سواء أكان عضو النطق هو اللسان أم عضوًا آخر[٦٨] .

٢ـ١ـ طرفي/ غير طرفي (Coronal\ Non coronal):

تشير السمة (+طرفي) إلى الأصوات التي تُنتج بارتفاع نصل (طرف) اللسان عن مستواه العادي في الوضع المحايد، أمّا الأصوات غير الطرفية فإنّها تُنتج ببقاء نصل اللسان في مستواه الطبيعي في الوضع المحايد [٦٩]، وتمثّل الأصوات (+طرفي) الأصوات الصادرة من اللثة إلى الحنك الليّن نحو الأسنان في الترتيب التصاعدي ضمن التجويف الفموي وهي الأصوات الأسنانية، واللثوية –الغارية [٧٠].

٢ـ٢ـ مقدّم / غير مقدّم (Anterior\ Non anterior)

تشير السمة (+مقدّم) إلى الأصوات التي تُنتج بواسطة حاجز في منطقة مقدمة المنطقة اللثوية – الحنكية، وتوصف الأصوات التي تُنتج من دون هذا الحاجز بأنّها (-مقدّم) [٧١] ، وتمثّل الأصوات (+مقدّم) الأصوات الصادرة من الجزء الأمامي للتجويف الفموي إلى اللثة بحيث لا يتعدّاها، وتشمل الشفوية، وما بين الأسنان، والأسنانية [٧٢]، غير أنّ السمة (+مقدّم) لا تعدّ سمة فعّالة على المستوى التجريدي؛ فالقسم الأمامي من فجوة الفم يعدّ قسمًا غامضًا إلى حدٍّ ما فهو محدّد اعتباطيًّا، ومن ثمّ فإنّ الصوامت الشفوية والأسنانية التي توصف بأنّها (+مقدّم) لا تعدّ صنفًا طبيعيًّا ضمن هذا النظام[٧٣] .

٣ـ سمات جسم (كتلة) اللسان (Tongue-body features):

حدّد تشومسكي وهالي ثلاث سمات تبيّن هيأة اللسان أثناء عملية النطق بالأصوات، وذلك استنادًا إلى الوضع المحايد للسان الذي يتمثّل بارتفاع عضلة اللسان وتقدّمها وهو الوضع الذي يماثل هيأة اللسان عند نطق صوت العلة [e] في الكلمة الإنجليزية [bed]، وهذا السمات الثلاث هي (عالي (High)، منخفض (Low)، خلفي (Back)) [٧٤].

٣ـ١ـ عالي / غير عالي (High\Non high):

تشير السمة (+عالي) إلى الأصوات التي تُنتج بارتفاع جسم اللسان فوق المستوى الذي يحتلّه في الوضع المحايد، أمّا الأصوات الموصوفة بأنّها (-عالي) فإنّها تُنتج من دون مثل هذا الارتفاع لجسم

اللسان [٧٥]، والأصوات العالية هي الأصوات الغاريّة والطبقية ونصف الصائت والكسرة والضمة[٧٦] .

٣ـ ٢ـ منخفض / غير منخفض (Low\Non low):

تشير السمة (+منخفض) إلى الأصوات التي تُنتج بانخفاض جسم اللسان تحت المستوى الذي يحتلّه في الوضع المحايد، أمّا الأصوات الموصوفة بأنّها (-منخفض) فإنّها تُنتج من دون مثل هذا الانخفاض في جسم اللسان [٧٧]، والأصوات المنخفضة هي الأصوات الحلقية والحنجرية [٧٨]والفتحة.

٣ـ٣ـ خلفي / غير خلفي (Back\ Non back):

تشير السمة (+خلفي) إلى الأصوات التي تُنتج بانسحاب جسم اللسان من الوضع المحايد، أمّا الأصوات التي توصف بأنّها (-خلفي) فإنّها تُنتج من دون هذا الانسحاب من الوضع المحايد [٧٩]، والأصوات الخلفية هي الأصوات الطبقية واللهوية والحلقية والواو نصف الصائت والضمة [٨٠].

إنّ تعيين المصوّتات وفق هذه السمات الثلاث يعدّ ضروريًّا، وهو تعيين يختلف نوعًا ما عمّا قدّمته الكتب الفونتيكية القديمة [٨١].

ـ درجات تضييق الجهاز المصوت (Degress of Narrowing In The Vocal Tract):

٣ـ٤ـ مدوّر / غير مدوّر (Rounded\ Non rounded):

تشير السمة (+مدوّر) إلى الأصوات التي تُنتج بتضييق فتحة الشفة، أمّا الأصوات التي توصف بأنّها (-مدوّر) فهي الأصوات التي تُنتج من دون مثل هذا التضييق[٨٢] ، ويرتبط التدوير عمومًا بسمة (+خلفي)؛ فكل الأصوات التي توصف بأنّها (+خلفي) هي في الواقع (+مدوّر) [٨٣] ومثال ذلك الضمة [u] [٨٤]، وإنّ درجة التدوير قابلة لأنْ تقرّر من قبل صفات أخرى؛ ففي الصوائت (Vowles) والانزلاقيات (Glides) تكون درجة التدوير مرتبطة بالدرجة القصوى التي يبلغها التجويف النطقي في الانقباض، وتكون درجة التدوير في الانزلاقيات والصوائت العالية أكبر منها في الصوائت المنخفضة [٨٥].

٣ـ٥ـ منتشر / غير منتشر :(Distribuded\ Non distribuded)

تُشير السمة (+منتشر) إلى الأصوات التي تُنتج بوساطة انقباض ممتدّ على طول محور تسرّب الهواء، أمّا الأصوات التي تُنتج بامتداد أقلّ في هذا المحور فإنّها توسم بأنّها (-منتشر) [٨٦] .

٣ـ٦ـ محجوب / غير محجوب (Covered\ Non covered):

تشير السمة (+محجوب) إلى الأصوات التي تُنتج عندما تكون جدران البلعوم ضيّقة ومتوتّرة والحنجرة عالية، أمّا الأصوات التي تُنتج من دون أي تضييق أو توتّر في جدران البلعوم فإنّها توسم بأنّها (-محجوب) [٨٧].

٣ـ٧ـ الانقباضات المزمارية (Glottal Constriction):

تشير هذه السمة إلى الانقباضات المزماريّة التي تُشكّل «بتضييق الانفتاح المزماري بشكل يخالف وضعيته المحايدة، ويمكن أن تُصاحب هذه الانقباضات، مجموعة من أنواع التشكّل النطقي الفوق- مزماري، من بين الأصوات التي تقتضي انقباضًا مزماريًّا، هناك: الصوامت التي يصاحب تحقّقها بانغلاق في

الحنجرة (Ejectives) وكذا الأصوات الانفجارية الداخلية (Injectives)، لكن العوامل الأكثر أهمية في أنواع الأصوات المهمّزة (Glottal) هاته، على المستوى الصوتي، هي الطرائق التي ترتخي فيها الانغلاقات المزمارية، وكذا حركة المزمار التي قد تسبق هذا الارتخاء» [٨٨].

٣ـ٨ـ الانفتاحات الثانوية (Secondary apertures):

٣ـ٨ـ١ـ أنفي / غير أنفي (Nasal\ Non nasal):

تشير هذه السمة (+أنفي) إلى الأصوات التي تُنتج بانخفاض سقف الحنك الليّن وهو ما يسمح يخرج الهواء من خلال الأنف، أمّا الأصوات التي توصف بأنّها (-أنفي) فإنّها تُنتج والحنك اللين مرفوع بحيث لا يخرج الهواء القادم من الرئتين إلاّ من خلال الفم [٨٩]، والأصوات الأنفية في العربية هي: [m] و [n] فقط [٩٠]وهي أكثر الأصوات الأنفية انتشارًا [٩١]، وهناك ارتباط بين سمتي (+أنفي) و(+مجهور) فكل الأصوات الأنفية هي مجهورة بالضرورة؛ وذلك أنّ فتحة الممرّ الفموي لا تسمح بارتفاع الضغط داخل الجهاز المصوّت بشكل كافٍ لمنع الاهتزاز التلقائي للوترين الصوتيين [٩٢].

٣ـ٨ـ٢ـ جانبي / غير جانبي (Lateral\Non lateral):

تشير السمة (+جانبي) إلى الأصوات التي تُنتج بانخفاض الجزء المتوسط من اللسان من الجانبين أو من جانب واحد، ممّا يؤدي إلى خروج الهواء من الفم بجوار الأضراس[٩٣] ، أمّا الأصوات التي توصف بأنّها (-جانبي) فلا وجود لمثل هذا الانفتاح الجانبي [٩٤].

إنّ هذه السمة (+جانبي) تختصّ أو تقتصر على الأصوات الصامتة التي تحمل السمة (+طرفي) [٩٥]، والصوت الجانبي الوحيد هو صوت اللام [L] [٩٦].

٤ـ سمات أسلوب (كيفيّة) النطق (Manner of articulation features):

٤ـ١ـ مستمرّ / غير مستمرّ (Continuant\ Non contiuant):

تشير السمة (+مستمرّ) إلى الأصوات التي تُنتج بتضييق أولي في الجهاز المصوت لا يؤدي إلى إيقاف مرور الهواء، أمّا عندما يؤدي التضييق إلى إيقاف تيار الهواء المارّ عبر الفم تُنتج الأصوات غير المستمرة (-مستمر) الانسدادية [٩٧]؛ أي إنّ تيار الهواء يواجه بإعاقة جزئية في فتحة المزمار أو البلعوم أو في نقطة محدّدة في الفم، الأصوات الاستمراريّة هي: الاحتكاكيات والموائع وأشباه الصوائت [٩٨].

٤ـ٢ـ سمات التحرير (Release features):

تؤثّر هذه الميزة فقط في الأصوات التي تنتج عن إغلاق الجهاز الصوتي؛ إذ يمكن إغلاق الجهاز الصوتي إمّا بشكل سريع كما هو الحال في الأصوات الانفجارية (plosives) أو بشكل متأخر وبطيء كما هو الحال في الأصوات الاحتكاكية (africates) [٩٩].

٤ـ٣ـ حركات إضافية (Supplementary moements):

في الأصوات التي تتشكّل بوساطة انسدادين متزامنين مثل الشفويات الطبقية والأصوات المهمزة،

قد تكون هناك حركات حلقية أو انسدادات مزماريّة أثناء مدة الانسداد، فيكبر حجم المنطقة التي تقع بين الانسدادين؛ فيتقلّص ضغط الهواء داخل هذه المنطقة، وقد يحدث العكس [١٠٠]، هذه الحركات يتنج عنها سمات خاصة يمكن إجمالها في الآتي:

٤ـ٣ـ ١ـ امتصاص (جذب) (Suction):

ينتج الامتصاص عندما يرتخي الانسداد الأولي (الانسداد الطبقي)؛ إذ يكبر حجم الفضاء بين الانسدادين، وينخفض ضغط الهواء فيه، ممّا يؤدي إلى ابتلاع الهواء من الفم [١٠١]، ولا بدَّ من الإشارة في هذا الموضع إلى أنّ الانسداد الطبقي الذي يُنتج الامتصاص قد لا يعدّ انسدادًا ثانويًّا بالضرورة فهو قد يكون انسدادًا أوليًّا، ولمّا كان الامتصاص متحققًّا بفضل الانسداد الأولي وكان هذا الانسداد طبقيًّا تارة ومزماريًّا أخرى، كان لا بدَّ لنا ـ فونتيقيًّا ـ من تحديد سمتين للامتصاص هما: التمطّق (Velaric suction (Clicks))[١٠٢] الذي يرتبط بالانسداد الطبقي، والحقن (Injection) الذي يرتبط بالانسداد المزماري[١٠٣] .

٤ـ٣ـ٢ـ ضغط (Pression):

ينتج الضغط بعكس الآلية التي ينتج عنها الامتصاص؛ أي عندما يحدث الانقباض في الاتجاه المعاكس، فيتقلّص الحجم بين الانسدادين، ويرتفع ضغط الهواء في هذا الفضاء، ويحدث الارتخاء في الانسداد الثانوي، فيؤدي إلى طرد الهواء إلى خارج الفم [١٠٤]، وتتحقَّق حركات الضغط عن طريق انسداد طبقي أو انسداد مزماري، ومن ثمّ ينبغي علينا أن نحدِّد سمتين للضغط: إحداهما: (ضغط طبقي) (Velaric pressure) وترتبط بالانسداد الطبقي، والأخرى: (ضغط مزماري) (Ejection) [١٠٥].

٤ـ٣ـ٣ـ شديد / غير شديد (رخو) (Tense\Lax) (Non tense):

تشير السمة (+شديد) إلى الأصوات التي تُنتج بتدخّل (شِدَّة) العضلة الفوق- مزمارية، والأصوات الشديدة تُنتج بواسطة نطق دقيق ومميّز يتضمّن جهدًا عضليًّا مهمًّا، أمّا الأصوات التي توصف بأنّها (-شديد) (رخوة) فهي تُنتَج بسرعة، وبطريقة لا تتطلّب ذلك الجهد العضلي المهمّ [١٠٦]، وتحدّد السمة (+شديد) الصوائت والصوامت معًا [١٠٧]؛ إذ تصف هذه السمة الصوائت ولا سيما الصوائت الانجليزية؛ فالصائت الشديد ترافقه زيادة في الجهد الذي تبذله عضلات الجهاز النطقي، ويتميّز بوضوح النطق فضلًا على بقاء أعضاء النطق في مكانها مدّة أطول مقارنة بالصائت الرخو [١٠٨]، ومن ثمَّ فإنّ السمة (+شديد) تعيّن الضغط فوق المزماري [١٠٩].

٥ـ سمات منبع (مصدر) الصوت (Suorce Features):

٥ـ١ـ الضغط تحت- مزماري المتعالي (Heightened subglottal pressure):

في المناقشات المتعلّقة بالأصوات الشديدة يلاحظ عادة أنّها تُنتج بواسطة ضغط تحت- مزماري مرتفع، وتفسّر هذه الحقيقة الحضور المشهور للنفسية في الانسدادات الشديدة غير المجهورة في كثير من اللغات، لذا ينبغي لنا الاعتراف - فضلًا على السمة (+شديد) التي تعيّن الضغط الفوق- مزماري [١١٠]- بسمة أخرى للضغط هي سمة (الضغط التحت

– مزماري المتعالي) التي تُعدّ ضرورية لإنتاج الأصوات النفسية [١١١].

٥-٢- مجهور / غير مجهور (Voice\ Non voice):

تشير السمة (+مجهور) إلى الأصوات التي تُنتج باهتزاز [١١٢] الوترين الصوتيين [١١٣]، ولكي يهتزّ الوتران الصوتيان لا بدَّ من مرور الهواء عبرهما، وأن تكون كمية الهواء كافية، والوتران الصوتيان أقل اتساعًا من الوضع العادي أو الهمهمة [١١٤].

ولا يعدُّ انسداد المزمار لازمًا لإنتاج الجهر، ويكفي أن لا يكون المزمار منفتحًا بشكل كبير، أو يكون ضيّقًا مع عدم وجود تيار هوائي مهم [١١٥]؛ فـ»الشرط القبلي للحصول على الجهر (voice) هو أن يكون ضغط الهواء تحت الحبال الصوتية أكبر منه فوقها»[١١٦] والأصوات المجهورة في العربية هي مجموعات الأصوات الأنفية والمائعة والصائتة وشبه الصائتة [١١٧].

٥-٣- صريري / غير صريري (Strident\ Non striden):

تُشير السمة (+صريري) إلى الأصوات التي تتميّز أكوستيًّا بكمية كبيرة من الضوضاء، تفوق الكمية الخاصة بالأصوات الموسومة بالسمة (-صريري)؛ إذ تنتج – في ممرّ الهواء على امتداد سطح معين - كمية من الارتجاجات، ترتبط بطبيعة السطح، وسرعة التسرّب، وزاوية سقوطه؛ فالسطح الصلب (الخشن)، وتيار الهواء السريع، وزاوية السقوط القريبة من ٩٠ درجة تسهم في إنتاج الصوت الصريري [١١٨]، والأصوات الصريريّة في العربية هي الأصوات الاحتكاكيّة والأصوات شبه الاحتكاكيّة [١١٩].

جدولان بيّن الأوّل منهما السمات المميزّة للصوامت العربية، وبيّن الثاني السمات المميزّة للصوائت العربية[١٢٠]

الهوامش

١- ينظر: علم الصوتيات، د. عبد العزيز أحمد، د. عبد الله ربيع: ١٧.
٢- وظيفة الألسن وديناميتها، أندريه مارتينه: ٢٥٧.
٣- معجم اللسانيات الحديثة، د. سامي عياد حنا وآخرون: ١٠٣.
٤- الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللغوي، د. مصطفى بوعناني: ١٤.
٥- النظرية الفونولوجية، د. أحمد العلوي، بحث منشور في مجلة مكناسة: ع: ٦، ١٩٩٢، ص: ٩٥.
٦- اللغة واللغويات، جون لوينز: ١٠٣.
٧- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيته باتشت: ١٣٣.
٨- اتجاهات البحث اللساني ، ميلكا ايفتش: ٢٣٦.
٩- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيته باتشت: ١٣٣، وينظر: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر. هـ. روبنز: ٢٩٤.
١٠- اتجاهات البحث اللساني ، ميلكا ايفتش: ٢٤٠.
١١- مدخل للصواتة التوليدية، د. إدريس السغروشني: ٢٦.
١٢- ينظر: التحليل الفونولوجي وفق منظور مدرسة براغ صفحة في تاريخ علم اللغة، يحيى علي أحمد، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج: ٥، ع: ٤، ٢٠٠٩م: ٢٥ـ ٢٦.
١٣- في المتن الأصلي [التالي].
١٤- في المتن الأصلي [التالية].
١٥- التحليل الفونولوجي وفق منظور مدرسة براغ صفحة في تاريخ علم اللغة، يحيى علي أحمد: ٢٦.
١٦- في المتن الأصلي [السواكن] ولكن حرصًا منّا على وحدة المصطلح استبدلناها بـ [الصوامت].
١٧- في المتن الأصلي [يلي].
١٨- التحليل الفونولوجي وفق منظور مدرسة براغ صفحة في تاريخ علم اللغة، يحيى على أحمد: ٢٨.
١٩- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيته باتشت: ١٣٧.
٢٠- اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. نعمان بو قرة: ٩٤.
٢١- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن: ١٤٧.
٢٢- ست محاضرات في الصوت والمعنى، رومان جاكوبسن: ١٠١.
٢٣- م . ن: ١١٤.
٢٤- م . ن: ١١٦.
٢٥- ست محاضرات في الصوت والمعنى ، رومان جاكوبسن: ١١٧.
٢٦- ينظر: التحليل الفونولوجي وفق منظور مدرسة براغ صفحة في تاريخ علم اللغة، يحيى علي أحمد: ٢٩.
٢٧- ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيته باتشت: ١٤٥.
٢٨- النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، فاطمة الطبال: ٤١ـ ٤٢.
٢٩- ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيته باتشت: ١٤٥.
٣٠- ينظر: علم وظائف الأصوات اللغوية، الفونولوجيا، د. عصام نور الدين: ٧٩، النظرية الألسنية عند

رومان جاكوبسون، فاطمة الطبال: ٤٢.
٣١- ينظر: النظرية الفونولوجية، د. أحمد العلوي: ٩٢- ٩٣.
٣٢- ينظر: في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بوعناني: ١٥٦؟
٣٣- اللسانيات النشأة والتطوّر، د. أحمد المومن: ١٥٥.
٣٤- مدخل للصواتة التوليدية، د. إدريس السغروشني: ٢٨.
٣٥- النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، كورديا أحمد: ٤٣- ٤٤.
٣٦- Jakobson، Roman. Fant، Gunnar. And Halle، Morris (1952) preliminaries to Speech analysis. MIT press، Cambridge: Mass: p: 3، نقلًا عن التحليل الفونولوجي وفق منظور مدرسة براغ صفحة في تاريخ علم اللغة، يحيى علي أحمد:29.
٣٧- ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن: ١٣٨.
٣٨- ينظر: The sound pattern of English: ٦٤وما بعدها.
٣٩- في المتن الأصلي [الملامح].
٤٠- التحليل الفونولوجي وفق منظور مدرسة براغ صفحة في تاريخ علم اللغة، يحيى علي أحمد: ٣٦.
٤١- The sound pattern of English: ٢٩٤.
٤٢- مدخل للصواتة التوليدية، د. إدريس السغروشني: ٢٨.
٤٣- ينظر: The sound pattern of English: ٢٩٤.
٤٤- مدخل للصواتة التوليدية، د. إدريس السغروشني: ٣٤.
٤٥- ينظر: في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٨- ١٧٩.
٤٦- مدخل للصواتة التوليدية، د. إدريس السغروشني: ٣٧.
٤٧- ينظر: النظام الصوتي التوليدي، أ. سانفورد: ٥١.
٤٨- ينظر: في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بوعناني: ١٦٤- ١٦٥.
٤٩- ينظر: The sound pattern of English: ٢٩٩-٣٠٠.
*. السمات المعلّمة بـ(*) غير مهمة في اللغة الإنجليزية.
٥٠- تمت الاستعانة في ترجمة بعض هذه السمات بـ: أساسيات علم الكلام، جلوريا . ج. بوردن، كاثرين. س. هاريس: ٢٦٦-٢٦٧ ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٥- ١٧٦، معجم اللسانيات الحديثة، د. سامي عيّاد حنّا وآخرون.
٥١- ينظر: أساسيات علم الكلام، جلوريا . ج. بوردن، كاثرين. س. هاريس: ٢٦٧.
٥٢- ينظر: The sound pattern of English:300
٥٣- ينظر: علم الصوتيات، د. عبد العزيز أحمد، د. عبد الله ربيع: ١٧٧.
٥٤- ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٧٤.
٥٥- ينظر: The sound pattern of English: 301-302.
٥٦- ينظر: النظام الصوتي التوليدي، سانفورد: ٥٢.

٦٦- : ينظر: في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٦٥.
٦٧- معجم اللسانيات الحديثة، د. سامي عياد حنا، وآخرون: ١٣٢.
٦٨- ينظر: The sound pattern of English: ٣٠٢ ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٦٥.
٦٩- معجم اللسانيات الحديثة، د. سامي عياد حنا، وآخرون: ١٣٢.
٧٠- ينظر: The sound pattern of English: ٣٠٢ ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٦٦، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٧٧.
٧١- ينظر: The sound pattern of English: ٣٠٢ ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٦٦، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٧٦.
٧٢- ينظر: النظام الصوتي التوليدي، سانفورد: ٥٢.
٧٣- ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٧٦.
٧٤- ينظر: The sound pattern of English: 303
٧٥- ينظر: م. ن.
٧٦- ينظر: النظام الصوتي التوليدي، سانفورد: ٥٧.
٧٧- ينظر: The sound pattern of English: ٣٠٤ ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٦٧.
٧٨- ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٧٦.
٧٩- ينظر: The sound pattern of English: ٣٠٤ ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٦٧.
٨٠- ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٧٦.
٨١- ينظر: النظام الصوتي التوليدي، سانفورد: ٥٧.
٨٢- ينظر: The sound pattern of English: 304
٨٣- ينظر: The sound pattern of English: 304
٨٤- ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٨٠.
٨٥- ينظر: The sound pattern of English: 305
٨٦- ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٨١.
٨٧- ينظر: The sound pattern of English: 305
٨٨- ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٨١.
٨٩- ينظر: The sound pattern of English: 305 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٦٨.
٩٠- ينظر: The sound pattern of English: 309
٩١- ينظر: م . ن.

٩٢- ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٨١.
٩٣- ينظر: The sound pattern of English: 310
٩٤- ينظر: في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٠.
٩٥- ينظر: The sound pattern of English: ٣١٤
٩٦- في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧١، و ينظر: The sound pattern of English: 315
٩٧- ينظر: The sound pattern of English: 316 ، مقدمة في اللغويات المعاصرة، د. شحدة فارع وآخرون: ٨٤.
٩٨- ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٨٠.
٩٩- ينظر: في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧١.
١٠٠- م . ن.
١٠١- ينظر: The sound pattern of English: 317 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧١.
١٠٢- ينظر: The sound pattern of English: 317
١٠٣- ينظر: The sound pattern of English: 317 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧١.
١٠٤- ينظر: مقدمة في اللغويات المعاصرة، د. شحدة فارع وآخرون: ٨٥.
١٠٥- ينظر: The sound pattern of English: 317 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧١.
١٠٦- ينظر: مقدمة في اللغويات المعاصرة، د. شحدة فارع وآخرون: ٨٥.
١٠٧- ينظر: The sound pattern of English: 318-319
١٠٨- ينظر: The sound pattern of English: 322 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٢.
١٠٩- ينظر: The sound pattern of English: 322 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٢.
١١٠- التمطّق أو الطقطقة :(Clicks) «من طرائق نطق الصوامت ولكنّها نادرة الاستعمال في لغات العالم، ولا توجد إلاّ في بعض لغات أفريقيا الجنوبية، وهي تختلف عن كلّ الصوامت الأخرى بكونها لا تصدر عن فعل أحد أعضاء النطق في تيار الهواء المزفور الخارج من الرئتين، بل إنّها تأتي كنتيجة لتأثير أحد أعضاء النطق في الهواء الخارجي الذي يندفع نحو الداخل تحت تأثير فقدان الجزء الأمامي من التجويف الفمي، ويقع هذا الجزء بين انغلاق خلفيّ لهويّ (إطباق مؤخر اللسان على اللهاة) وبين انغلاق أماميّ (إطباق مقدّم اللسان على الجزء الأمامي من الحنك الصلب)، ويتأتّى فقدان الهواء فيه من امتصاص الهواء بين نقطتي الانغلاق، بحيث يستدعي تحرّر النقطة الأمامية منهما دخول الهواء الخارجي بشكل مفاجئ، لذلك يدعو بعض اللغويين

الصامت الذي يصدر بالطقطقة بالامتصاصيّ». علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، د. بسام بركة : ٩٠، وينظر: النظام الصوتي التوليدي، د. سانفورد:٦١.

١١١- ينظر: في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٢، The sound pattern of English: 323.

١١٢- ينظر: The sound pattern of English: 322 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٢.

١١٣- م . ن، وينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ١٢٩.

١١٤- ينظر: The sound pattern of English: 324 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٢.

١١٥- ينظر: النظام الصوتي التوليدي، د. سانفورد: ٦١.

١١٦- ينظر: مقدمة في اللغويات المعاصرة، د. شحدة فارع وآخرون: ٨٦.

١١٧- ينظر: في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٣.

١١٨- ينظر السمة شديد / غير شديد (رخو) (Tense\ Non tense) (Lax) المذكورة آنفًا.

١١٩- ينظر: The sound pattern of English: 326 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٣.

١٢٠- ذكر الدكتور أحمد مختار عمر أنّ Catford وصف «أكثر من عشر حالات للأوتار الصوتية متميزة لغويًا، ومعظم اللغويين يتفقون على حاجتنا إلى ست أو سبع حالات فقط لمعرفة التقابلات اللغوية وهي الجهر والهمس والنفسية والحفيف والحنجرية والوقفة الحنجرية والوشوشة». دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ١٢٧.

١٢١- ينظر: علم الصوتيات، د. عبد العزيز أحمد، د. عبد الله ربيع: ٢٦٤.

١٢٢- ينظر: في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٤.

١٢٣- ينظر: The sound pattern of English: 326 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٤.

١٢٤- أساسيّات علم الكلام، جلوريا. ج. بوردن، كاثرين. س. هاريس: ١٥٣-١٥٤.

١٢٥- ينظر: مقدمة في اللغويات المعاصرة، د. شحدة فارع وآخرون: ٨٦.

١٢٦- ينظر: The sound pattern of English: 327 ، في الصوتيات العربية والغربية، د. مصطفى بو عناني: ١٧٤.

١٢٧- ينظر: النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، د. كورديا أحمد: ٧٩.

١٢٨- ينظر: مقدمة في اللغويات المعاصرة: ٩٠-٩١.

المصادر والمراجع

أولًا الكتب العربية:

١- اتجاهات البحث اللساني، ميلكا ايفتش، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.

٢- أساسيات علم الكلام، جلوريا . ج. بوردن، كاثرين. س. هاريس، ترجمة: محيي الدين حميدي، دار الشرق العربي، ١٩٩٠م.

٣- الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي ، د. زيد خليل القرالّة ، عالم الكتب الحديث ، إربد ـ الأردن ، ٢٠٠٤ م .

٤- ست محاضرات في الصوت والمعنى، رومان جاكوبسن، ترجمة: حسن ناظم، علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، د. ت.

٥- الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللغوي، إعداد وترجمة: د. مصطفى بوعناني، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ٢٠١٣م.

٦- علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، د. بسام محمود بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م.

٧- علم الأصوات اللغوية، الفونوتيكا، د. عصام نور الدين، ، دار الفكر اللبناني للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٩٢م.

٨- علم الصوتيات ، د. عبد العزيز أحمد علام ، عبد الله ربيع محمود ، مكتبة الرشيد، الرياض ، ٢٠٠٩م .

٩- في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، د. مصطفى بوعناني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ٢٠١٠م.

١٠- اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. نعمان بو قرة، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٩م.

١١- اللسانيات النشأة والتطور، الأستاذ: أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٥م.

١٢- اللغة واللغويات، جون لوينز، ترجمة: د. محمد إسحق العناني، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ٢٠٠٩م.

١٣- مدخل للصواتة التوليدية، د. إدريس السغروشني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٨٧م.

١٤- معجم اللسانيات الحديثة، د. سامي عياد حنا، د. كريم زكي حسام الدين، د. نجيب جريس، مكتبة لبنان ناشرون، د. ت.

١٥- مقدمة في اللغويات المعاصرة، د. شحدة فارع، د. جهاد حمدان، د. موسى عمايرة، د. محمد العناني، دار أوائل للنشر، ط: ٤، عمّان – الأردن، ٢٠٠٨م.

١٦- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيته باتشت، ترجمه وعلّق عليه ومهّد له: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ٢٠٠٤م.

١٧- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر. هـ. روبنز، ترجمة: د. أحمد عوض، عالم المعرفة، ١٩٩٧م.

١٨- النظام الصوتي التوليدي، أ. سانفورد سشن، ترجمة: د. نوزاد حسن أحمد، مراجعة: محمد نبيل يوسف، الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م.

١٩- النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، كورديا أحمد حسن صالح، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ٢٠١٣م.

٢٠- النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.

٢١- وظيفة الألسن وديناميتها، أندريه مارتينه، ترجمة: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م.

ـ البحوث :

١- التحليل الفونولوجي وفق منظور مدرسة براغ صفحة في تاريخ علم اللغة، يحيى علي أحمد، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج: ٥، ع: ٤، ٢٠٠٩م.

٢- النظرية الفونولوجية، د. أحمد العلوي، مجلة مكناسة: ع: ٦، ١٩٩٢.

ـ الكتب غير العربية:

1- The sound pattern of English، Noam Chomsky، Morris Halle، 1968، MIT press، Cambridge، Massachusetts.

لا حول ولا قوة إلا بالله

اللسانياتُ والتراثُ العربي دراسة مقاربة

Linguistics and Arab heritage “Comparative Study”.

م.م ساجد حمزة غليم مساعد
وزارة التربية - العراق
Mr. Sajid Hamza Glim،
Ministry of Education - Iraq.

كلمات مفتاحية :اللسانيات - التراث - العربي - دراسة - مقاربة

ملخص البحث

لسانياتُ النصَّ هي من أقدم النظريات موضوعا وأحدثها نشأة، إذ تُعنى بدراسة النص وآليات اتساقه وانسجامه، ومّما لاشك فيه أن تراثنا العربي القديم يحتوي على كثير من الإشارات والملامح النصية سواء في كتب التفاسير، أو البلاغة، أو النقد، وبعد قرون عديدة جاء علماء الغرب بتنظير وأفكار ومصطلحات كان لها الأثر الكبير في ظهور نظرية لسانية نصية مكتملة الأركان منظمة الأفكار، فأصبح أمامنا فكر عربي وفكر غربي ولا ضير بتلاقح أفكار القدماء والمحدثين، والمزج بينهم، للمساهمة في تطوير الدرس اللساني العالمي بصورة عامة، والعربي بصورة خاصة وتكوين مدرسة جديدة، مستقلة بمصطلحاتها، وخصوصياتها، تحترم القديم وتجلّه، وتأخذ من الحديثِ ما يفيد منها، الأمر الذي أدى إلى طرح فكرة لسانيات التراث .

Abstract

It is clear that our ancient Arabic heritage contains many references and textual features، whether in the books of interpretations، rhetoric، or criticism. After centuries، Western scientists came to the conclusion that the ancient text of the text is one of the oldest and most modern theories. And ideas and terminology have had a great impact on the emergence of a textual theory full of ideas، ideas and ideas، we have before us Arab thought and Western thought and not harmful to the convergence of the ideas of the ancients and modernists، and mix them، to contribute to the development of the lesson in the world in general and the Arab in particular and the formation of a new school، And respect for the old، and take advantage of the talk of what is useful، which led to the idea of linguistics heritage.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، البشير النذير، والسراج المنير، أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد...

إنّ نظرية النص هي اتجاه لغويٌّ غربيٌّ حديثٌ تعنى بوصف البنية الكلية للنص وتحليلها، وبيان علاقاتها، مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه الاطراد، والتتابع النصية التي تحقّق تماسك النص، وتناسقه، وترابطه، عن طريق مجموعة من المعايير والآليات، وهي: السبك، والحبك، والقصدية، والمقامية، والمقبولية، والتناصية، والإعلامية، وتدور هذه الورقة البحثية حول تأصيل معايير لسانيات النص، والبحث عن جذورها، وآلياتها في كتب التراث العربي، وحول الربط بين تراثنا المجيد من جهة، واللسانيات الغربية الحديثة من جهة أخرى، لذلك اقتضت طبيعة البحث أن تكون على ثلاثة محاور: الأول: مفهوم النص في اللغة والاصطلاح، والمحور الثاني: مظاهر النظرية النصية في التراث العربي، وتحدثت في المحور الثالث: عن نشأة اللسانيات النصية وتطوّرها، واتجاهات الباحثين فيها، وفي الخاتمة بيَّنت أهمّ النتائج المتوصَّل إليها.

المحور الأول

مفهوم النص في اللغة والاصطلاح

عُني الباحثون المحدثون عناية دقيقة بمفهوم (النص Text) فذكروا له تعريفات متعددة، وقبل أن نذكر تلك المفاهيم نودّ أن نعرِّج على الدلالة اللغوية لهذا المصطلح، وعند الرجوع إلى تلك المعاجم العربية فإننا نقف أمام مجموعة من التعريفات تدور أغلبها حول الظهور، والرفع، فالمتأمل في لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ) يجد أن المادة اللغوية (ن ص ص) تعني رفعك للشيء[١]، وقال الأزهري النصُّ منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ونصُّ الشي إذا استوى واستقام، ونصَّت الضبية جيدها: أي رفعته[٢]، وأقرب المصطلحات إشارة عند القدامى إلى النص هو مصطلح (المتن) لاسيما قوله: نصُّ القرآن، ونصُّ الحديث أي: متنه، وكل تلك المعاني تجمع في معنى يدلّ على الارتفاع أو ظهور مكونات الشيء[٣].

أمّا في الدراسات المعاصرة، فلا يزال مفهوم النصِّ في الاصطلاح هو الدلالة الأبرز في الاختلاف؛ وذلك بسبب تعدّد انتماء الدارسين المحدثين إلى المدارس اللغوية مختلفة الثقافة، فقد تباينت تعريفات (النصText)، وتنوعت، لكن هنالك قاسما مشتركا في هذه التعريفات، ألا وهو التأكيد على خصيّصة ترابط النصِّ، وهذه الخصيصة إنما وجدت في الدلالة للفظ (TEXT) فالأصل اللاتيني له هو (Texts) ومعناه النسيج (Tissue) ومنه أطلق (Texil) على صالة إنتاج النسيج(٤)، وعرَّفه بعضهم بأنه:((نسيج من الكلمات يرتبط بعضه مع بعض))[٥]، وفي ضوء ذلك يمكن القول: إنه ليس من اليسير الوقوف على تعريف جامع مانع لمفهوم النص؛ نظرا لتعّدد معايير هذا المفهوم ومضامينه وخلفياته المعرفية، لكن على الأشهر يمكن حدَّه بـأنه فعلٌ اتصاليٌّ تتحقّق نصيته إذا اجتمعت له معايير سبعة، وهي: السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والتناصّ، والإعلام، والموقف،

ويعنى معيار السبك بكيفية الربط النحوي والشكلي لمكونات ظاهر النص، ويعنى معيار الحبك بكيفية التماسك المعنوي لمكوّنات عالم النص[٦]، وتعنى القصدية بهدف النص، والتقبّلية بموقف المتلقي من قبول النص من عدمه، والموقفية تتعلق بمناسبة النص للموقف، والتناص يُعنى بالكشف عن مدى تبعية النص لنصوص أخرى أو تداخله معها[٧]، وإن العرب القدماء لم يبتعدوا عن هذا المفهوم كثيرا، فقد عرَّفه البلاغيون في أثناء دراساتهم للنصوص القرآنية، والأدبية، والنقدية، والبلاغية، حتى نظروا إلى (النصّ) على أنه نسيج من الكلمات المترابطة يرتبط بعضها ببعضها الآخر، وسوف نفصّل الكلام في ذلك في المحور الثاني من هذا البحث.

المحور الثاني

مظاهر النظرية النصية في التراث العربي

يتفق أغلب الباحثين على غياب واضح ومحدّد لمفهوم النصِّ بمعناه الاصطلاحي في تراثنا العربي، لكن هذا لا يعني عدم معرفة العرب القدامى بماهية النصِّ، فإن غاب المفهوم، فلم تغبْ الجذور، فجذور النظرية النصَّية لم تكنْ غائبةً عن كتب التراث العربي والإسلامي، على مستوى التطبيق والمصطلحات، حيث تمثلت في كتب النقد، والبلاغة، والدراسات القرآنية، وكانت أبحاثهم عميقة جدا في هذا المجال، حيث تطرَّقوا لمصطلح السبك والحبك، والإنسجام، والاتساق، والتضام، وغيرها[٨]، ونجد تلك الإشارات بصورة واضحة وجلية، في تحليلهم للقصيدة العربية وإظهار وسائل الترابط فيها، ورصدهم للعلاقات التماسكية بين السور القرآنية وآياتها، ودراستهم لعلم المناسبة، وأسباب النزول، وربط آيات القرآن الكريم بعضها مع بعضها الآخر، وهذا كلهُ في صميم البحث النصي المعاصر، إذ لا يمكن إغفال سبعة قرون من العمل النصيِّ في مجال علم البلاغة، والشعر، وكتب التفاسير، وإعجاز القرآن ومعانيه، لأنه يعدّ أمرا غاية في الخطورة[٩]، وعليه يجب علينا أن نضع يدا في كتب التراث العربي، وأخرى في الدراسات اللغوية الحديثة؛ ليكون الربط بين الموروث التليد والحاضر الجديد، والوصول إلى نتائج مرضية عن طريق هضم القديم والاستفادة من النظريات الحديثة بما يتناسب وطبيعة اللغة العربية وخصوصيتها في الجانب التنظيري، وأودّ التنبيه على قضية مهمة جدا ألا وهي قضية الربط بين الدراستين، فإنها تحتاج إلى فهم صحيح للقيم التراثية، وإلى معايشة واعية لمعطيات العصر الحديث، فلا يتعبّد الباحث في محراب التراث منطويا على نفسهِ غير عابئ بالنظريات اللغوية الحديثة، ولا ينجرف وراء التيارات الفكرية المعاصرة معطيا إياها كل همه وعنايته، منصرفا عمّا في تراثه من قيم فكرية ولغوية، بل ينبغي أن يستوعب معطيات الحداثة مسترشدا ومستأنسا بمعطيات التراث العربي، وأن يكون ذلك كله في موضوعية وحيادية؛ حتى لا يقع في دائرة التعصب لهذا أو ذاك[١٠].

إنَّ أول من أشار لمصطلح السبك من علمائنا القدماء هو الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في كتابه (البيان والتبين) إذ يقول:((وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلّم أنه قد أُفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا

واحدا))[١١]، فالجاحظ يرى أن تلاحم أجزاء القصيدة يتحقّق حين تصبح الكلمات المتجاورة على مستوى واحد من السهولة، فتكون خفيفة على اللسان، حتى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة[١٢]، وقد ربط علماء العرب القدامى، لاسيما أرباب الأدب بين نسيج الثوب، ونسيج الشعر، والشعر، والنسج، والتصوير، فكل واحد من هذه المفاهيم يحتاج إلى التلاؤم، والتداخل، والقصد، والإبداع للوصول إلى غاية الصناعة، لذا قال الجاحظ ((إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير))[١٣].

ويرى ابن طباطبا(ت٣٢٢هـ) أن الشاعر الحَذِق كالنسَّاج الحاذق الذي يفوق وشيه بأحسن التفويق، ويسديه، وينيره، ولا يهلهل شيئا منه فيشينه، وكالنقَّاش الرقيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان[١٤]، فنسج الثوب فن، ونسج الشعر فن، وعن طريق ذلك يمكن أن ينشأ نسيج النص، لأن القنوات كلها تتداخل في ما بينها، فالنجار ينحت من الخشب كرسيا واللغوي ينحت من الكلمات كلمة.

وكانت لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) إشارةٌ واضحةٌ لمصطلح الحبك في كتابهِ (الصناعتين) إذ يقول:((...وينبغي أن تجعل كلامك مشتبها أوله بآخره، ومطابقا هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطراره، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أُختِها، ومقرونة بلفظها...))[١٥]، ويدلّ هذا الكلام على وعيه بخاصية الحبك الدلالي للنَّصِّ ومفهومه.

واتضحت ملامح النظرية النصية بشكل واضح وجلي عند العالم الكبير عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) والذي يعدّ بحقّ المؤسس الأول للدراسات النَّصِّيَّة العربية في كتابه (دلائل الإعجاز) إذ حدَّد مفهوم النص، فالنصُّ عنده هو النظم، إذ يقول:((وأعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب والفضة، فيُذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة))[١٦]، وللدكتور وحيد الدين طاهر رأي في غاية الأهمية مفاده ((إن نظرية النظم هي المعين الذي استسقى منه علماء النصِّ أفكارهم حيث تتقارب أفكار النظريتين إلى الحدِّ الذي يصعب معه تحديد أي النظريتين أفادت من الأخرى، وعندما يصل التقارب إلى هذا الحد يكون التأريخ فاصلا لتحديد أيِّ النظريتين أفادت من الأخرى، وبالاحتكام إلى فكرة الزمن نجد أن نظرية النظم قد سبقت نحو النصِّ بتسعة قرون تقريبا))[١٧]، وتؤيد الدكتورة ليندة قيَّاس هذا الكلام وترى أن إبداع عبد القاهر الجرجاني في تحليل آيات من سورة هود جعله يقترب كثيرا من التحليل النصيِّ المعاصر[١٨].

ويبدو لنا أن أسامة بن منقذ(ت٥٨٤هـ) في كتابه(البديع في نقد الشعر) كان قاب قوسين أو أدنى، من وضع تعريف واضح لنظرية نحو النصِّ في قوله:((خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض))[١٩]، والسبك والحبك من مصطلحات لسانيات النص وما دام التراث يسدّ الحاجة لملء فراغ الترجمة فلا ضير في استعمال هذه المصطلحات والأخذ بها.

ونجد أن الناقد الفذ حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) في القرن السابع الهجري قدَّم لنا أُسس نظرية نصية شاملة في كيفية تماسك القصيدة، ويمكن أن نصف

ما قدَّمه القرطاجني في تماسك القصيدة العربية على أقسام:

١-(ترابط الفصل): ويراد به أن يكون الفصل مُحْكم النسج، وتكون بين أبياته علاقات دلالية ومنطقية.
٢-(ترابط الفصول): ويقصد بها أن يستمر تماسك الفصل السابق في اللاحق.
٣-(العلاقات بين الفصول): أي الانتقال من الوحدات الصغرى إلى الكبرى وبالعكس، وأن يكون آخر الفصل عبارة عن نتيجة منطقية لما تقدّم منه، وهذا التقسيم الرائع الذي قسّم فيه القصيدةَ العربية على فصول تجمعها علاقة التماسك والترابط ، فلا نبالغ إذا قلنا إن كلام حازم القرطاجني هو في صلب النظرية النصية الحديثة[٢٠]، وقد أشار الدكتور صلاح فضل إلى محاولة القرطاجني والتي مثّلت نظرية كلية تراثية إلى نص كامل، قائلا:((حالة فريدة لم تتكرّر ينبغي الإشارة إليها، والتنويه بها، وهي التي نجدها عند بلاغي مغربي متأخر هو حازم القرطاجني في تحليله لأجزاء القصيدة وتسميته لكل منها فصلا، وتمييزه بين المطلع وهو البيت الأول منها، والمقطع، وهو مكان الوقوف، ولا يهمل الإشارة الى وصل الفصول بعضها ببعضها الآخر، بل يفعل ذلك بأسلوب الشرط، إذ يشترط أن يكون معنى كل كل فصل تابعا لمعنى سابقه، ومنتسبا إليه في الغرض، ويسمي ذلك تسمية اصطلاحية الاطراد في تسويم رؤوس الفصول، ويمضي في تطبيق هذه التصورات على قصيدة المتنبي: أغالب فيك الشوق والشوق أغلبُ، فيوردها كاملة، محللا العلاقة بين أجزائها ووحدتها المكونة على هذا الأساس الدلالي الذي لا يقف عند حدود التعالق النحوي بين الجملتين))[٢١].

لو ابتعدنا قليلا عن القرطاجني، حتى نصل إلى القرن الثامن الهجري والنحوي الشهير ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) في كتابه (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) نجدهُ قد أسهم ببحوثه العميقة في التأسيس لنظرية نحوية نصية؛ وذلك من خلال عنايته الفائقة بمظاهر الترابط النحوي في القرآن الكريم، والروابط التي ذكرها ابن هشام تمثّل أغلب الروابط التي اعتمدها علماء النصّ المعاصرين كالضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والعطف والحذف وغيرها[٢٢].

إن من الدراسات القرآنية التي ترقى إلى مستوى الدراسات النصية كتاب (البرهان في علوم القرآن) لبدر الدين بن محمد الزركشي (ت٧٩٤هـ)، إذ يتحدث فيه عن أهمية علم المناسبة القرآنية وأثره في تماسك النصّ وبنائه إذ يقول:((وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضِها آخذا بأعناقِ بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، متلاحم الأجزاء)[٢٣].

إن خاتمة الكلام عن جذور وإرهاصات اللسانيات النصية في تراثنا العربي تكمن في القرن العاشر الهجري مع العلاّمة جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) فقد أفرد فصولا كاملة تحدث فيها عن الحذف، وأنواعه في القرآن الكريم، وفواصل الآيات، وأسباب النزول، والوقف والابتداء، وبيّن أهميته في الكشف عن المعنى[٢٤].

إنَّ المتأمل والمدقّق في الموروث النحوي

والبلاغي والقرآني يلمح النظرات العميقة لعلمائنا في بحث أسرار الترابط والتماسك النصي في القرآن الكريم لاسيما كتب مفسري القرآن وإعجازه، فعملهم يقوم أساسا على النظرة إلى النص القرآني كاملا؛ إلى درجة أنهم رأوا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة كلهُ آخذ بأعناق بعضه، فأكدوا التماسك الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي[٢٥]، وما قدَّمه علماؤنا العرب القدماء من إسهامات، لا تقلُ أهمية عمّا جاء به علماء الغرب أمثال فان دايك وبوكراند وهارتمان وكوسيرو وآدم وغيرهم[٢٦]، وخلاصة ما تقدَّم يرى الباحث أن جذور المعايير اللسانية النصية كانت حاضرةً في عقول المبدعين العرب وأفكارهم، حتى أن بعض المحدثين العرب أشاروا إلى وجود هذه المعايير في البلاغة العربية وبخاصة (البديع) إذ وجدت هذه الظاهرة بعضها، أو جُلَّها في التراث النقدي، والبلاغي عند العرب أشتاتا أو فرادى؛ فالتراث البديعي يحتوي على الكثير من الثراء النصي[٢٧]، أمّا بالنسبة للغربيين وما فعلوه من تطوّر وتنظير، وتأسيس لأركان هذه النظرية وتقديمها في أزهى ثوب، كان بإمكان العرب فعله بعد عبد القاهر الجرجاني مباشرة، ولو فعلوا ذلك؛ لأصبح لدينا ما يدعيه الغرب من فضل في تأسيس نظرية لسانية نصية مكتملة الأركان(٢٨)؛ لأن العرب القدماء من خلال قراءاتهم المستفيضة، والنظرة الشمولية في دراسة النص القرآني، والقصيدة العربية، وتأليفهم لكتب التفاسير والإعجاز، يجعلنا نسلم بأنهم سبقوا الغرب في الإهتداء إلى نظرية النص، وإن لم يستعملوا المصطلحات أنفسها؛ لأن القضية ليست قضية مصطلحات بقدر ما هي قضية فكر ومنهج، ولكن يجب علينا أن نستفيد ممّا توصّل إليه علماء النص الغربيون من نظريات لغوية جديد، وأن نأخذ الحذر في هذه الاستفادة، فلا ننقل إلى لغتنا ما لا يناسبها من نظم تركيبية، حتى نحافظ على هويتها وشخصيتها، وخصائصها التركيبية والأسلوبية[٢٩]. بعد عرض هذه الأفكار والآراء فإنَّ الباحث يقرُّ ويعترفُ بغربية علم اللسانيات، وإنه علمٌ عربيٌ شكلا ومضمونا جاء قادما من الحضارة الغربية بفعل عملية الترجمة.

المحور الثالث

اللسانيات النصية النشأة والمفهوم والتطور

لا يختلف اثنان على أن بداية الستينيات من القرن المنصرم هي إيذانٌ علنيٌّ بقدوم الدرس اللساني النصي، وقد تطوّر هذا العلم كثيرا في العقد السبعيني، ومع بداية الثمانينيات وصلت الدراسات اللسانية النصّية إلى أوج إزدهارها وهي مرحلة النضج والبلوغ والاكتمال[٣٠]، ولم تنشأ لسانيات النصّ من الفراغ، وإنما هي تطورٌ لمعطيات لسانيات الجملة؛ بل تعدّ الأخيرة البذرة والنواة الأساسية لها[٣١]، وانقسمت آراء الباحثين في نشأة هذا العلم على ثلاثة آراء:

الاول: يرى أن العالم الهولندي فان دايك هو المؤسس الحقيقي لعلم اللغة النصي، فقد سعى في كتابه (بعض مظاهر أنحاء النص) الذي أصدره عام ١٩٧٢م، و(النص والسياق) عام ١٩٧٧م، و(علم النص مدخل متداخل الأختصاصات) عام ١٩٧٨م، إلى إقامة تصوّر كامل وواضح عن النظرية النصية[٣٢].

الثاني: يرى أن العالم الأمريكي روبرت دي بوكراند هو صاحب الريادة في هذا العلم، فأصبحت مؤلفاته قبلة الباحثين في الدراسات النصية ومنها كتاب

(مدخل إلى لسانيات النص) الذي أصدره عام ١٩٨١م و(مدخل إلى علم لغة النص) عام ١٩٩٢م، و(النص والخطاب والإجراء) عام ١٩٩٩م[٣٣].

الثالث: يرى أن علم النص لم يرتبط ببلد معيَّن، أو مدرسة بعينها، أو تاريخ محدّد لنشأته، إذ إن البدايات الأولى لنشأة أيِّ علم لا تتضح معالمه ابتداء، ولابد من مخاض تعقبه ولادة بعد أن يتخلّق في مدارج الاكتمال لحينِ سريان الروح فيه، والتي تجعل منه نظرية متكاملة تستطيع الوقوف على قدم راسخة[٣٤].

ونحن لا نستبعد أن علماء الغرب قد افادوا من ترجمة كتب التراث العربي التي وصلت إليهم عن طريق البعثات العلمية العربية في منتصف القرن التاسع عشر ومن ثم بنى الغرب أفكارهم على هذا التراث، وهذا لا يعني أن الغرب لم يضيفوا شيئا جديدا؛ بل إنهم فعلوا الخطوة التي كان على المفكرين العرب أن يفعلوها لإكمال جهود علمائهم القدماء، فقدّموا -علماء الغرب - للعالم أجمع نظرية لغوية مكتملة الأركان، منظمة الأفكار تدعى بـ (النظرية النصية)[٣٥]، وفي بداية الأمر لم تكن اللسانيات العربية قريبة من تلك المخاضات؛ لأن بعضهم كان يعتقد أن البحث اللساني لا تربطه أيُّ صلة بالثقافة العربية؛ لأنه((بحث أوجدته ظروف اللغات الأوربية التي تختلف في انتماءاتها وتكوينها وبيئتها وشعوبها المتكلمة بها، وتأريخها عن العربية وظروفها اختلافا كبيرا، يجعلنا في موقف رافض لكل ما يراد من الباحثين المعاصرين العرب أن يسلكوه أو يتعاملوا به مع العربية))[٣٦]، ولم يحتكّ الباحثون العرب بالدراسات اللسانية النصية إلاّ في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، حيث شهدت أول دراسة لسانية نصية متمثلة بالاطروحة الجامعية التي أنجزها الباحث المغربي محمد خطابي بعنوان(مظاهر انسجام النص)عام ١٩٨٨م ، ثم طبعت كتابا بعنوان (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب) في عام ١٩٩١م، وأول بحث في هذا المجال كان للدكتور سعد مصلوح بعنوان (من نحو الجملة إلى نحو النص)عام ١٩٨٩م، وفي العام نفسه قدَّم الأستاذ سعيد يقطين بحثه الموسوم (انفتاح النص الروائي النص والسياق)، وكذلك أصدر الدكتور صلاح فضل كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النصّ)عام ١٩٩٢م[٣٧].

وعلى الرغم من كل هذه المؤلفات، فقد ظلت البحوث اللسانية النصية غريبة على ثقافتنا العربية، وقد استمر هذا الوضع على ما هو عليه حتى بعد الانفتاح على اتجاهات البحث اللساني، لأن أغلبهم كان يرفض النظر إلى علم اللسانيات، أو لا يحاول تفهّمه، أو يتعجب أن ما في يده من علم قد يحلّ محلّه علم حديث قادم من الجامعات الاوربية[٣٨]، ويقول الأستاذ أنيس فريحة:((ما يؤسف له أن يظل هذا العلم الحديث مجهولا عند عامة المتأدبين، وموضع استهزاء عند عامة الناس، الذين ينظرون إلى اللغة العربية وعلمها أنها من الدراسة الفارغة التي لاعلاقة لها بواقع الناس، أو أنها من جملة الكماليات التي تتلهّى بها العقول الخاملة))[٣٩]، وإن بعض المتخصصين في علم العربية، والمهتمين بأمرها في بعض المجامعِ اللغوية ما زالوا ينظرون إلى هذا العلم بنظرة الشك والارتياب؛ لأنه علمٌ أجنبي لم ينبت في أرضنا، وتحاول اللسانيات إلى هدم اللغة العربية والقضاء عليها بنظريات ومناهج لا تصلحُ لها؛ بل تصلح هذه

النظريات لغير اللغة العربية من اللغاتِ الإنسانية الأخرى[٤٠]، ولنا حقّ الرد على مثل هذا الاعتقادات، حيث استطاعت اللسانيات ((من إدخال اللغة العربية في حوار مباشر مع اللغات الأخرى، كما مكّنت من تصحيح مجموعة من الآراء والمغالطات التي عرقلت انفتاح اللغة العربية على البحث اللساني الحديث، من قبيل تلك التي تجعل اللغة العربية مقدسة لا يمكن أن تخضع لآليات الوصف والتفسير اللساني، وإنه من غير المعقول أن نقاربها بمناهج وضعت أصلا للغات أخرى))[٤١]، وهناك من يؤمن ويعتقد حتى يومنا هذا بأن الانفتاح على اللسانيات هو بمنزلة الحكم بالضياع على النحو العربي[٤٢]، ولنا الحق في الردّ مرة أخرى ونقول: إن علم اللسانيات ليس بديلا عن علوم اللغة العربية (النحو، والصرف، والمعجم) فهي إن دخلت إلى هذه العلوم أعادت تنسيقها وتحديثها؛ لتخرج بثوب جديد، لكن هذا لا يعني إلغاء الموروث العربي القديم[٤٣]، وقد وسَّع الباحثون العرب دائرة المشاركة في هذا المجال، حتى أصبحت حقبة السبعينيات نقطة تحوّل في الدرسِ اللساني العربي، وامتدّ إلى سائر البلدان العربية، ممّا أوجد تفاعلا ملحوظا من خلال إقامة المراكز، والمعاهد، وتنظيم الندوات، والملتقيات العلمية، وقد كانت كلٌّ من جامعة تونس، والجزائر، والمغرب مسرحا مهمّا لهذه الفعاليات[٤٤]، واختلفت توجهات التطبيق اللساني النصيِّ عند الباحثين العرب المحدثين إلى أربعة اتجاهات رئيسة، هي:

الاتجاه الاول: اتجه صوب النص القرآني، وكتب التفاسير واعجازه، متخذين منها منطلقا ليفتشوا عن جذور لسانيات النص عند أصحاب المدونة التفسيرية، ويعَدُّ هذا الاتجاه نقلة مهمة من مراحل تنوع التطبيق اللسانيِّ النصيِّ، أمثال دراسة الدكتور أشرف عبد البديع (الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم)

الاتجاه الثاني: اختار من كتب الحديث النبوي الشريف بوصفها نوعا جديدا في التطبيقات في الحقل اللساني النصي، وعلى الرغم من أهمية الأحاديث النبوية وقدسيتها عند العلماء، أمثال دراسة الباحث فهد رشد حسن (الترابط النصيّ في الحديث النبوي الشريف كتاب رياض الصالحين مثالا)

الثالث: راح يحلّل الشعر العربي وفق نظرية التماسك النصي، وأظهروا جماله، وترابطه، وانسجامه على وفق أحدث النظريات اللسانية، وأبرز من مثَّل هذا الاتجاه دراسة الدكتور عثمان أبو زنيد (نحو النصِّ الشعري دراسة تطبيقية في رثاء المدن في الشعر العربي)

الاتجاه الرابع: وجد في كتب التراث العربي مكانا رحبا وأرضا خصبة لمفاهيم الدرس اللساني النصي، إذ بحثوا وفتَّشوا عن أصول المعايير النصِّية في كتب العرب القدماء، النقدية، والبلاغية، والنحوية، ومنها دراسة الباحث بو جلال ربيع (المعايير النصِّية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني)، وغيرها .

خاتمة البحث

١- أثبت البحث أن علماء العرب القدماء سبقوا الغرب في الجانب التطبيقي، في حين أن علماء الغرب كان لهم الفضل في تنظير المعايير ووضعها في إطار محدّد

٢- يعدّ عبد القاهر الجرجاني المؤسس الحقيقي لنظرية

لسانيات النص القرآني، في كتابه دلائل الإعجاز، ونظرية النظم، وكذلك حازم القرطاجني في تقسيمه فصول القصيدة العربية.

٣- أكد البحث على ضرورة التخلي عن بعض الأفكار والتي ترى بأن اللسانيات علم غربي جاء لهدم النحو العربي الأصيل.

٤- إن اللسانيات النصية لم ترتبط في نشأتها في بلد معين ولا مدرسة معينة، وإنما جاءت نتيجة جهودة كبيرة بذلها مجموعة من علماء الغرب.

٥- انقسم الباحثون العرب في دراساتهم اللسانية النصية الى أربعة اتجاهات (القرآني، والشعري، والتراثي، وكتب الحديث النبوي).

الهوامش

١- ينظر: لسان العرب: مادة (نصص): ٩٨/٧

٢- ينظر: تهذيب اللغة: مادة (نص): ١٢١

٣- إشكالات النص دراسة لسانية نصية: ٢٥

٤- ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٧

٥- ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ٧٠

٦- ينظر: المصدر نفسه: ٧١

٧- ينظر: من نحو الجملة إلى نحو النص: ٤٠٩ - ٤١٠

٨- النظم وتضافر القرائن ونحو النص: ٧٧

٩- ينظر: نحو النص بين الأصالة والحداثة: ١٨٧

١٠- ينظر: نحو النص بين الأصالة والحداثة :١٨٧

١١- البيان والتبيين:٦٧\١

١٢- ينظر: أصول النظرية البلاغية: ٧

١٣- الحيوان: ١٣١/٣

١٤- عيار الشعر: ١/ ١١

١٥- الصناعتين الكتابة والنثر: ١٦

١٦- دلائل الاعجاز : ٤١٢ - ٤١٣، وينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص :١٩٢

١٧- النظم وتضافر القرآئن ونحو النص(بحث):٥٠

١٨- لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجا:٥٩

١٩- البديع في نقد الشعر:١٦٣

٢٠- ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ولسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموجًا : ٦٢-٦٣

٢١- بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٦٤

٢٢- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:٥٤٥/٢، ٥٦٢، ٦٤٩، ٦٩٢: والنحو القرآني دراسة في ضوء لسانيات النصّ: ١٩٥- ١٩٦، والخلاف النحوي في بنية النص القرآني:١٢

٢٣- البرهان في علوم القرآن:١٣١

٢٤- ينظر: الاتقان في علوم القرآن :٧١، ١٧٧، ٥٤١

٢٥- ينظر: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية:٥٠ ، والنحو القرآني دراسة في ضوء لسانيات النص: ١٨٢

٢٦- ينظر: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجا: ٥٦- ٥٧

٢٧- نحو اجرومية النص شعري دراسة في قصيدة جاهلية: ١٥٧، وينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ٧١

٢٨- النظم وتضافر القرائن ونحو النص(بحث):٧٧

٢٩- ينظر: نحو النصّ بين الأصالة والحداثة:١٨١

٣٠- ينظر: أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة : ٨
٣١- ينظر: نحو النصّ بين الأصالة والحداثة :٤٢
٣٢- ينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي:١١، وإشكالات النص دراسة لسانية نصية :٢٠، ومدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه : ٦٢
٣٣- ينظر:النص والخطاب والاتصال:٨٩، ومدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه:٦٣
٣٤- ينظر:علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٧، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق٣٦
٣٥- النظم وتضافر القرآئن ونحو النص(بحث):٥
٣٦- الألسنية المعاصرة والعربية(بحث):٣١
٣٧- ينظر:إشكالات النص دراسة لسانية نصية :٢٢، والنظم وتضافر القرائن ونحو النص:٤٩
٣٨- ينظر:اللسانيات والثقافة العربية المعاصرة :٥٠- ٥١
٣٩- نحو عربية ميسرة:٥٨
٤٠- ينظر:أصول النحو:١٤٥
٤١- مجلة الرافدين: ٥
٤٢- ينظر:اللسانيات والثقافة العربية المعاصرة :٩٣
٤٣- ينظر:اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة :١
٤٤- ينظر:أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة:٨-٩

المصادر والمراجع

أولا: الكتب والمصادر

١- الاتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي(ت٩١١)، تحقيق شعيب الأزنؤوط ، تعليق مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة،بيروت – لبنان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨ م .

٢- أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة، حيدر سعيد، رسالة ماجستير،كلية الآداب، جامعة بغداد،١٩٩٦م.

٣- أصول النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، الطبعة الثانية،١٩٩٢م .

٤- أصول النظرية البلاغية، محمد حسن عبد الله،القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

٥- إشكالات النص دراسة لسانية نصية، جمعان بن عبد الكريم، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي،الطبعة الاولى،٢٠٠٩م .

٦- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،القاهرة، د.ط.

٧- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤)، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الشيخ جمال حمدي الذهبي، الشيخ إبراهيم عبد الله الكردي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى،١٩٩٠م .

٨- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٩- بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، عالم المعرفة - الكويت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٠- البيان والتبين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥)، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،الطبعة السابعة،١٩٩٨م.

١١- تهذيب اللغة، للأزهري، دار الكتب العالمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

١١- الخلاف النحوي في بنية النص القرآني في ضوء الدراسات الحديثة، شيماء رشيد زنكنة،أطروحة دكتوراه،جامعة بغداد،كلية التربية للبنات،٢٠١٢م، بإشراف:أ.د كريم حسين ناصح الخالدي.

١٢- الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: مفيد قماحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨م .

١٣- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى

١٤- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، مؤسسة المختار،القاهرة،الطبعة الثانية،٢٠٠٣م.

١٥- لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجا، ليندة قياس، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الاولى،٢٠٠٩م.

١٦- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، لبنان-بيروت، الطبعة الاولى،١٩٩١م .

١٧- اللسانيات والثقافة العربية المعاصرة،حافظ إسماعيلي علوي، دار الكتابة الجديد- طرابلس، الطبعة الاولى،٢٠٠٩م .

١٨- مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه،محمد الأخضر الصبيحي، منشورات الاختلاف، بيروت - لبنان،الطبعة الاولى، ٢٠٠٨ م .

١٩- النحو القرآني دراسة في ضوء لسانيات النص، د.هناء محمود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى،٢٠١١

٢٠- نحو عربية ميسّرة، أنيس فريحة، لبنان-بيروت،الطبعة الاولى،١٩٥٥م

٢١- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الاولى،٢٠٠١م .

٢٢- نحو النص بين الأصالة والحداثة، أحمد محمد

عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨ م .
٢٣- النص والخطاب الاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م .

ثانيا: البحوث والدوريات

١- الأنظار اللسانية بين متن القطيعة وهامش الإسقاط(بحث) مؤيد آل صوينت، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية
٢- الألسنية المعاصرة والعربية(بحث) رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة الذخائر، العدد الاولى،٢٠٠٠م .
٣- اللسانيات النصية بين النشأة والمفهوم، تغريد الشمري،مقالة، ٢٠١٠م، منتدى الايوان http://www.iwan7.com/t5091.html .
٤- اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة،(مقالة)حسن خميس الملخ .http://www.aljabriabed.net/n96_07khamis.htm
٥- مجلة الرافدين(حوار) دائرة الثقافة والاعلام- الشارقة،٢٠٠٦م hafidsmaili@xahoo.fr.
٦- معايير علم لغة النصّ مقاربة نسقية(بحث) د.هاتف بريهي شياع،جامعة القاديسية - كلية التربية المفتوحة .
٧- النظم وتضافر القرائن ونحو النص(بحث) في جذور النظرية وعناصر مكوناتها، د.وحيد الدين طاهرعبد العزيز،كلية الآداب بقنا،جامعة جنوب الوادي- مصر.

القلبُ المكانيُّ بين العربيّة واللّغات الساميّة

دراسةٌ ساميّة مقارنةٌ

Spatial reversing between Arabic and Semitic languages Semitic Comparative Study.

م .م. ميعاد مكي فيصل الركابي
مديرية تربية واسط
Mrs. Meead Maki Al-Rekabi
Wasit Education Directorate.

كلمات مفتاحية : القلبُ المكانيُّ / اللّغات الساميّة / التخفيف اللفظيّ

ملخص البحث

سلطَّ هذا البحثُ الضوء على ظاهرة لغويّة صوتيّة ، اتسمت بها بعض اللّغات ، ولاسيما اللّغة العربيّة ، فهي ظاهرة شغلت اهتمام اللغويين العرب قديماً وحديثاً ، فنالت اهتمامهم بالبحث والدراسة ، وأخذت نصيباً ليس بالقليل في هذه اللّغة .

القلب المكانيّ موضوع مشترك ، له جذور قديمة تعود إلى لغات قديمة ، اللّغات التي عادت مع العربيّة إلى أصل لغويّ واحد ، وهي اللّغات الساميّة شقيقات اللّغة العربيّة .

أراد الباحث أنْ يُبيّن هنا ، اشتراك العربيّة مع أخواتها الساميّات في هذهِ الظاهرة ، مع عقد المقارنة بين هذه اللّغات ؛ للتعرف على أصول الألفاظ ، فأصل الألفاظ لا يتضح إلاّ بالمقارنة، وبما أنّ الباحث غايتهُ التعرف على الأصول المشتركة بين هذه اللّغات ، فهذه المقارنة تدلّ بطبيعتها على عمق الجذور المشتركة بين هذه اللّغات وتأصيلها .

تضمن هذا البحث التعريف بالظاهرة ، والتعرف على أسبابها ، وموقف العلماء قديماً وحديثاً فيها ، ثُمّ التعرف على الجزء الأهم في البحث ، وهو عقد المقارنة اللّغويّة ؛ للتعرف على أصول هذهِ الظاهرة ، ثُمّ التعرف على أهم نتائج البحث .

Abstract

This research highlighted a phonetic linguistic phenomenon، characterized by some languages، especially the Arabic language، a phenomenon that preoccupied the interest of Arab linguists of old and recent، and received their interest in research and study، and took a share not a little in this language. Spatial reversing is a common theme، with ancient roots dating back to ancient languages، languages that returned with Arabic to one linguistic origin، the Semitic languages of the Arabic language sisters. The researcher wanted to show here the participation of Arabic with her sisters in this phenomenon، with the comparison between these languages; to identify the origins of the words، the origin of the words is not clear only compared، and since the researcher aims to identify the common assets between these languages، At the depth of roots shared between these languages and rooting them.

This research includes the definition of the phenomenon، the identification of its causes، and the attitude of scientists in ancient and modern times، and then identify the most important part of the research، namely the linguistic comparison contract; to identify the origins of this phenomenon، and then identify the main results of the research.

المقدمة

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد ، سيدنا محمد المختار وعلى آله وصحبه المنتجبين وبعد .....

للقلب المكانيّ علاقة واضحة مع اللّغة العربيّة ، فهو لكثرته فيها صار عاملاً من عوامل تنميتها ، فقد لعب دوراً كبيراً ، بل أساسياً في توسيع كمي لهذه اللّغة ، وهذه السعة المعجميّة ، التي عُرفت بها عربيتنا سليلة اللّغة الساميّة الأُمّ ، جعلتها تفوق في كمّ مفرداتها المعجميّة معظم لغات العالم .

لم يكن وجود القلب المكانيّ مقتصراً على العربيّة ، بل هو من الظواهر التي انمازت بها شقيقات العربيّة من اللّغات الساميّة ، فكان له حضور ملحوظ في هذه اللّغات ، وهو كان سبباً دافعاً للبحث في هذه الظاهرة ، مع عقد المقارنة بين العربيّة وشقيقاتها الساميات ، فهو من الظواهر التي لا تتضح معالمها إلاّ بالمقارنة الساميّة ، فالكثير من الكلمات الناشئة عن القلب المكانيّ يتضح أصلها بهذه المقارنة ، وهي بدورها تكشف صلة القربى بين العربيّة وشقيقاتها الساميات .

سيكون تناولي لهذه الظاهرة على شكل محاور ، وهي كالآتي :

المحور الأول : التعريف بالقلب المكانيّ في اللّغة والاصطلاح .

المحور الثاني : موقف علماء العربيّة من النحاة واللّغويين في ظاهرة القلب المكانيّ .

المحور الثالث : التعرّف على أسباب حصوله .

المحـور الرابع : المقارنات اللفظيّة .

المحور الأول / التعريف بالقلب المكانيّ في اللّغة والاصطلاح

القلب في اللّغة : هو » قلبه يقلّبه قلباً من باب ضرب حوّله عن وجهه كأقلبه ... وقلبه أصاب قلبه أيّ فؤاده .... وقلب الشيء حوّله ظهر البطن ... وتقلب الشيء ظهر البطن كالجثة تتقلب على الرمضاء ...»[١].

أمّا في الاصطلاح ، فقد عُرّف بتعريفات كثيرة ، أذكرُ منها :

- القلب المكانيّ : هو تقديم وتأخير بعض حروف الكلمة على بعض مع بقاء المعنى نفسه[٢].
- هو تغيير مكانيّ في أصوات الكلمة مع بقاء المعنى واحداً[٣].
- هو أنْ يرد لفظان اتفقا في الأصول إلاّ أنّ أحد هذه الأصول اختلف موضعه فيهما[٤].
- هو التقديم والتأخير في ترتيب حروف الكلمة ؛ بسبب اختلاف اللهجات ، أو بسبب الخطأ في الاستعمال كما حصل في اللهجة المصرية في (أهبل) المحرّفة عن (أبله) الفصيحة[٥]. وقد ردّ الدكتور مجدي وهبه حصوله في العربيّة إلى سببين : اختلاف اللهجات ، أَو الخطأ في الاستعمال .

وعلامة صحته أن تكون تصاريف إحدى الكلمتين تامة ، فيُصاغ منها الفعل والمصدر والصفة ، وتكون الأُخرى ليست كذلك ، فبعدم اكتمال تصاريفها يُعلم أنّها ليست بناءً أصلياً[٦]. وهذا ما ذهب إليه ابن جني (ت٣٩٢ هـ) ، فإذا كانت الكلمتان تتصرفان تصرفاً

واحداً فلا قلب فيهما ، أمّا إذا كانت إحدى الكلمتين أوسع في التصريف من صاحبتها فهي الأصل ، وعندئذٍ يحصل القلب[٧].

المحور الثاني / موقف علماء العربيّة من النحاة واللغويين في ظاهرة القلب المكانيّ

القلب المكانيّ من الظواهر الصوتيّة المشروطة ، فهو في الأغلب يستعمل هذا المصطلح في علم اللّغة على القلب المكانيّ الصوتيّ دون غيره[٨]. وهو من الموضوعات التي تعود إلى جذور عميقة في التراث العربيّ ، فقد شغل الكثير من النحاة واللغويين قديماً وحديثاً ، فتناولوه في مصنفاتهم ، وكان محلاً للخلاف بينهم .

يعدُّ الخليل (ت١٧٥هـ) هو أوّل اللغويين الذين أشاروا لهذه الظاهرة ، فذهب إلى أنّها لهجة قبيلة[٩]، والأمر مشابه مع ابن فارس (ت٣٥٩هـ) ، الذي عدّه من سنن العرب ، ويكون في الكلمة ، وفي القصّة ومن أمثلته في الكلمة ، قولهم : (جذَبَ ، جبَذَ)[١٠]، وهذا ما ذهب إليه الثعالبيّ أيضاً ، عندما جعل (جبذ ، جذب) من القلب المكانيّ[١١].

إلاّ أنّ ابن فارس أنكر وجوده في القرآن الكريم[١٢]، وأثبت عكس ذلك بعض المحدثين أمثال الدكتور أحمد الجندي معتمداً في رأيه على القراءات القرآنيّة في ذلك الوقت[١٣].

لقد عرّف علماء العربيّة القلب المكانيّ ، فمنهم من أشار إليه في مصنفه ، أمثال: سيبويه(ت١٨٠هـ) ، والمازنيّ(ت٢٤٩هـ) ، وابن جني(ت٣٩٢هـ) ، ومنهم من ألّف في هذه الظاهرة أمثال: ابن السكيت (ت٢٤٣هـ) ، ومنهم من جعل للقلب باباً أو فصلاً في مصنفه ، أذكر منهم: القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ) في الغريب المصنف ، وابن قتبة(ت٢٧٦هـ) في أدب الكاتب ، وابن دريد(ت٣٢١هـ) في الجمهرة ، وابن سيده(ت٤٥٨هـ) في المخصص ، والسيوطي(ت٩١١هـ) في المزهر[١٤].

وعلى خلافهم ابن درستويه (ت٣٤٦هـ) ، فقد بالغ في نكران القلب المكانيّ ، وجاء برأي خالف به جمهور علماء العربيّة ، فأبطل وجوده في كتابه (إبطال القلب) ،وهذا ليس بغريب عليه؛ لأنّه أنكر الكثير من الظواهر كالتضاد والترادف ، وألفّ كُتباً في بطلانها . فالقلب عند ابن درستويه هو من اللّغات[١٥]، فقال: في البطيخ لغة أُخرى هي الطبيخ وهي ليست عندنا من القلب كما زعم اللغويون[١٦].

ومن أمثلة القلب المكانيّ عند العرب: (اضمحل ، امضحل) ، و (لبكت ، بكلته) ، (مكفهر ، مكرهف) ، (ضمرز ، ضمزر) ، (طامس ، طاسم) / (مكبل ، مكلب) ، (ربض ، رضب)[١٧]، ومن أمثلته أيضاً قالت قريش: (صعق) ، وعند تميم (صقع) ، وقالت أهل الحجاز: (أعمق) ، و(العمري) ، وعند تميم (أمعق) ، و (رعملي)[١٨]وغيرها كثير .

المحور الثالث / أسباب حصول القلب المكانيّ

عنى الباحثون من العرب والمستشرقين قديماً وحديثاً بظاهرة القلب المكانيّ ، فحاولوا تفسيرها، وبيان أسباب حدوثها ، وفيما يأتي عرضٌ لبعض الأسباب في حدوث هذه الظاهرة :

• من القدامى من جعل الضرورة الشعرية والتوسع هي من أسباب حصول القلب المكانيّ ، وهذا ما ذهب إليه ابن عصفور الاشبيلي ، فمن أمثلة الضرورة قول الشاعر :

كأنّ أُولاها كداب مُقامِرٍ

ضُرِبت على شُزُنٍ فُهُنَّ شواعِي

فالقلب هنا (شواعِي) في (شوائع) للضرورة .

أمّا التوسع فهو في قولهم : (لاثٍ ، و شاكٍ) والأصل هو : (شائك ، و لائث)[١٩].

• من بين المحدثين الذين عرضوا لهذه الظاهرة ، وحاول أنّ يفسّرها في ضوء الدراسات اللّغوية الحديثة فندريس ، الذي علّل هذه الظاهرة بسهو المتكلم[٢٠].

• الأب انستاس ماري الكرمليّ أرجع القلب ، والإبدال ، والتصحيف ، والتحريف ، وتشابه رسم الحروف والتعريب من مُوسّعات اللّغة العربيّة[٢١].

• الدكتور رمضان عبد التواب ، علّلها بنظرية السهولة والتيسير ، وهذا يعني أنّ التطور اللّغوي يسير نحو السهولة والتيسير ، فنحن نحاول التخلّص من الأصوات العسيرة ، واستعمال الأصوات التي لا تتطلّب ذلك المجهود العضلي الكبير[٢٢]، فصعوبة نطق الألفاظ قد يكون سبباً في حصول القلب المكانيّ ، وهذا ما نلاحظه عند الأطفال ، الذين يقلبون الألفاظ بسبب صعوبة نطقها ، ونلاحظ ذلك أيضاً في لغة عامّة المصريين عند نطقهم لكلمة (مسرح) بـ (مرسح)[٢٣].

• سببه عند الدكتور إبراهيم السامرائي ، هو عيوب النطق والسمع[٢٤].

• الدكتور حسام النعيمي عدّ تدافع الحروف على اللسان والخطأ في إخراجها ، هي من أسباب حصول القلب المكانيّ[٢٥].

• الدكتور محمد حسين آل ياسين عدّها من الظواهر التي تحدث اعتباطاً ، ولا وجود لأيّ قاعدة محدّدة نسير عليها في إحداث هذه الظاهرة ، فالناطق يميل بفطرته إلى السهولة في الكلام[٢٦].

• الدكتور أحمد علي الجندي يُعلّل هذه الظاهرة بالميل إلى التخفيف اللفظيّ ، فالبعض يقول: (مفلعص) ، والبعض الآخر يرى صعوبة في ذلك ، فيقول: (مفعلص) ، ويُعلّلها أيضاً بالتوهم السمعي ، فالإنسان يسمع كلمة (حفر) ، ويتوهم أنّه سمع (فحر)[٢٧].

بعد التعرّف على أهم أسباب هذه الظاهرة عند اللغويين من القدماء والمحدثين ، يتفق الباحث مع اللغويين ، الذين ردّوا هذه الظاهرة إلى السهولة ، والتخفيف اللفظيّ .

المحور الرابع / المقارنات اللفظيّة

مفهوم القلب المكانيّ في اللّغات الساميّة ، لا يختلف عن مفهومه في العربيّة ، فيُراد به في

هذه اللّغات ، هو تغيير موضع الحرف في الكلمة . ويحدث في الأسماء والأفعال على حدّ سواء ، وليس له ضوابط يستند عليها ، ويحدث في معظم اللّغات الساميّة[٢٨]. وهذا يدلّ على تقارب المفهومين في العربيّةِ وأخواتها الساميّات ، وإنْ كانت العربيّة أُوفر حظاً من شقيقاتها الساميّات في بيان مفهومه ، وأسبابه وموقف العلماء منه ، فهي لغة متكاملة ناضجة ، يُعتمد عليها في بيان الظاهرة اللّغويّة ، فهي وريثة تلك اللّغات ، التي اندثرت وانقرض معظمها .

سأتناول في هذا المحور طرحاً لمجموعة من الألفاظ ، التي ثبت بأنّها تعرضت للقلب المكانيّ في شقيقات العربيّة من اللّغات الساميّة ، ورتبتها ترتيباً ألف بائياً بالاعتماد على لفظها في اللُّغة العربيّة ، أمّا ما تبقّى من الألفاظ ، التي لم يُذكر لفظها في العربيّة ، فجعلتها في السطور الأخيرة من المقارنة ، ومنها :

• حصل القلب المكانيّ في اللُّغة السريانيّة في لفظة (أ تْ ر عْ ث ا) صارت (ع ث ت ر) ، بالمعنى نفسه : (الأرض) في اللّغةِ نفسها[٢٩] .

• حصل القلب المكانيّ في اللُّغةِ الأَكديّةِ في لفظةِ (أ سْ كُ فُّ م) صارت (أ ك سُ فُّ م) بمعنى : (أسكفة) في اللّغةِ نفسها [٣٠].

• الوزن (افتعل) في العربيّة ، ناتج عن القلب المكانيّ بتقديم التاء على الفاء ، فأصله (hiṯpaʿél) في اللّغات الساميّة ، فحروف الزيادة تكون في الغالب قبل أصول الفعل ، كـ : (أفعل ، تفاعل)[٣١] ، والأمر لا يختلف مع الوزن (استفعل) في العربيّة ، فأصله يأتي بتقديم التاء على السين في الأكديّة ، والعبريّة ، والآراميّة والحبشيّة[٣٢] .

• حصل القلب المكانيّ في لفظة (أيقم) الآراميّة ، التي صارت (آقيم) بمعنى: (أقام) في آراميّة الحضر ، والآراميّة القديمة ، والآراميّة التدمريّة ، والسريانيّة والمندائيّة[٣٣] .

• حصل القلب المكانيّ في لفظة (بلك) الأَكديّة ، مقلوبة (لبك) بالمعنى نفسه: (اختلط) في اللُّغةِ نفسها[٣٤] .

• حصل القلب المكانيّ في لفظة (ت رْ ع ا) السريانيّة ، التي أصبحَت (ت ع ر ا) ، في المعنى نفسه : (الباب) في اللُّغةِ نفسها [٣٥] .

• الفعل (جزر) ومقلوبه (جرز) في العربيّة الدال على القطع ، يقابله في العبريّة أيضاً (gāraz) ومقلوبه (gāzar) ، بالمعنى نفسه : (القطع)[٣٦].

• حصل القلب في اللُّغة الأَكديّة في لفظة (ت ش م ا) ، صارت (ش ت م ا) بالمعنى نفسه: (واصل الاستماع) في اللُّغةِ نفسها[٣٧] .

• حصل القلب المكانيّ في لفظة (تعرا tára) السريانيّة ، صارت (ترعا tarʿā) بالمعنى نفسه: (بوابة) في اللّغةِ نفسها [٣٨] .

• لفظة (حكل) الأَكديّة مقلوبة (حلك) ، وبالمعنى نفسه: (ظلام حالك: أسود لا نور فيه) ، ومنه أيضاً (كحل) في اللُّغةِ نفسها[٣٩] .

• لفظة (حلف) الأَكديّة مقلوبة (لحف) بالمعنى نفسه: (اللباس) في اللُّغةِ نفسها[٤٠] .

• حصل القلب المكانيّ في لفظة (خ ش ا دُ) الأَكديّة ، صارت (خ د ا ش) بمعنى : (أعرس) في اللُّغةِ

نفسها[٤١] .

• لفظة (dipšu/ دِپْشُ) الأَكديّة ، صارت (dišpu/ دِشپُ) بمعنى: (عسل) في اللُّغةِ نفسها[٤٢] .

• لفظة (dituku/دِتوك) الأَكديّة ، صارت (tiduku/ تِدُوك) بمعنى: (يبارز) في اللُّغةِ نفسها[٤٣] .

• لفظة (ربك) في المندائيّة ، صارت (برك) في السريانيّة ، وبالمعنى نفسه[٤٤] .

• لفظة (رُكبة) في العربيّة هي ناتجة عن القلب المكانيّ ، فهي مقلوبة عن الجذر (ب ر ك)، ففي الأكديّة هي : (birkn) ، وفي العبريّة (berek) ، وفي الحبشيّة (berk)[٤٥]، و (بركا بُرْكا) في السريانيّة[٤٦] .

• ولفظة (رند) الأَكديّة ، مقلوبة (نرد) بالمعنى نفسه: (عود الطيب) في اللّغة نفسها[٤٧] .

• حصل القلب في اللُّغة العبريّة في لفظة (šimlā شملة) ، صارت (šalmā شلمة) في اللّغة نفسها[٤٨] .

• لفظة (sitbutu/ صِتْبُت) الأَكديّة ، صارت (tisbutu/ تِصْبُتُ) بمعنى: (يمسك) في اللُّغةِ نفسها[٤٩] .

• لفظة (sitmur/صِتْمُر) الأَكديّة ، صارت (tismur/تِصْمُر) بمعنى: (يرغب) في اللُّغةِ نفسها[٥٠] .

• حرف الجرّ (مع) في العربيّةِ ، هو (ع م) في العبريّة ، و (ع م) في الحضريّة و (عم) في السريانيّة[٥١].

• حرف الجرّ (עם مع) ومقلوبه (אם/ عم) في العبريّة ، يقابله في العربيّة (مع / عم) ، وبالمعنى نفسه أيضاً[٥٢].

• حرف الجرّ (من) في العربيّة ، ناتج عن القلب المكانيّ ، فأصله (نم) في الثموديّة[٥٣] .

• لفظة (نبق) الأَكديّة ، هي مقلوبة (نقب) في اللُّغةِ نفسها[٥٤] .

• لفظة (نزب) في العربيّة ، ناتجة عن القلب المكانيّ ، فأصلها (nabâzu) بالمعنى نفسه: (صوت الخروف) في الأكديّة[٥٥] .

• لفظة (nsk/ نسك) الأثيوبيّة ، صارت (nks/ نكس) ، بالمعنى نفسه : (عضٌّ) في اللُّغةِ نفسها[٥٦].

• لفظة (يادلتيه) في المندائيّة ، صارت (يلدثليه) في السريانيّة ، وبالمعنى نفسه : (ولدته)[٥٧].

• حصل القلب المكانيّ في لفظة (يهرا) في المندائيّة ، صارت (يرحا) في السريانيّة مع إبدال الهاء حاءً ، وبالمعنى نفسه: (الشهر)[٥٨] .

• حصل القلب المكانيّ في اللُّغةِ العبريّة في لفظة (הִסְתַּדֵּר) هي مقلوبة (הִתְסַדֵּר) بالمعنى نفسه: (انتظم) ، ولفظة (הִשְׁתַּמֵּשׁ) مقلوبة (הִתְשַׁמֵּשׁ) بالمعنى نفسه : (استعمل) ، ولفظة (הִזְדַּקֵּן) مقلوبة (הִדְזַקֵּן) بالمعنى نفسه في اللّغةِ نفسها[٥٩].

• حصل القلب المكانيّ في اللُّغةِ العبريّة في لفظة (מַהְסְתַּפֵּחַ) في عبارة (כִּיגֵּרְשׁוּגִיהַיוֹם מַהְסְתַּפֵּחַ חַבְּגַהְלַתַּיִי/ لأنّهم طردوني اليوم من أنْ انضم إلى ملك الربّ) فعند بناء الفعل على وزن (הִתְפַּעֵל) يتقدم السامخ ، وهو من حروف الصفير على تاء الافتعال ، فيصبح (הִסְתַּפֵּחַ) بدلاً من (הִתְסַפֵּחַ)

بالمعنى نفسه في اللّغة نفسها [٦٠].

• حروف الصفير (שׂשׁס) مع تاء الوزن ، تكون سبباً في القلب المكانيّ في العبريّة ، كما في : (הִשְׂתַּתֵּף) أصله (שָׂתַף) بالمعنى نفسه: (اشترك) ، و (הִסְתַּכֵּל) أصله (סָכַל) بالمعنى نفسه: (نظر) ، و (הִשְׂתַּכֵּר) أصله (שָׂכַר) بالمعنى نفسه: (استأجر)[٦١].

• حصل القلب المكاني في الحبشيّة في لفظة (efsentū) صارت (esffentū) بالمعنى نفسه في اللُّغةِ نفسها[٦٢].

• حرفا الصفير (צז) مع تاء الوزن ، يكون سبباً في حصول القلب المكانيّ في اللّغة العبريّة ، كما في : (הִצְטוֹפֵף/ احتشد) ، و (הִזְדַּיֵּן/ تسلح) ، و (הִשְׂתַּעֵל/ سعل) ، و (הִסְתַּרֵק/مشط) ، و (הִשְׂתַּעֵר/ أغار)[٦٣].

• حصل القلب في اللّغة العبريّة في لفظة (כְּשָׂבִים) في عبارة (וְאִם-מִן-הַצֹּאן קָרְבָּנוֹ מִן הַכְּשָׂבִים אוֹ מִן הָעִזִּים/ وإنّه كان قربانه من الغنم الضأن أو الماعز)[٦٤]، فأصلها (כִּבְשִׂים) ؛ لأنّ مفردها (כֶּבֶשׂ) ، وليس (כֶּשֶׂב)[٦٥].

• حصل القلب المكانيّ في المسند السبئي (34 / C54) في لفظة (و ل د) صارت (ء ل و د)، و (و ي ن) صارت (ء ي و ن) في المسند السبئي (SABR٤١٩٤/٣) بالمعنى نفسه: ، و (ي و م) صارت (ء و ي م) ، و (و س ع) في المسند (12/C315) صارت (س و ع) في المسند (C79/7) بالمعنى نفسه: (ساعد) ، و (س ي ف) من الأصل (و س ف) بالمعنى نفسه: (أعطى) في المسند (Fa120/15) ، و(ق م ل) صارت (ق ل م) في المسند (R4230/10) بالمعنى نفسه: (حشرات ضارة)[٦٦]، وفي السريانيّة (قلما) أيضاً ، وبالمعنى نفسه[٦٧].

• حصل القلب المكانيّ في اللّغة العبريّة في الفعل (יִסְתַּמּוּם) في عبارة «וַיִּסְתַּמּוּם פַּלֲשְׁתִּים אַחֲרֵי מוֹת אַבְרָהָם»[٦٨]/ (وطمها الفلسطينون بعد موت إبراهام) ، فهو مقلوب (יִתְסַמּוּם)(٦٩)، والفعل (מְסְתוֹלֵל) في عبارة «עוֹרְךָ מְסְתוֹלֵל בְּעַמִּי לְתִישְׁלְחֶם»[٧٠]/ أنت معاند بعد الشعبي حتى لا تطلقهُ) ، فهو مقلوب (מִתְסוֹלֵל) في اللُّغةِ نفسها[٧١].

• حصل القلب في اللّغة السريانيّة في الفعل (زرع) ، فصار (اِزْدَرِّع) بالمعنى نفسه (زُرِعَ)، والفعل (اِطْأَلَّب) صار (اِأَطَّلب) بالمعنى نفسه (صُلِبَ) في اللُّغة نفسها[٧٢].

• حصل القلب في اللُّغة العبريّة في لفظة (הִשְׁתַּפֵּךְ) في عبارة (אֲבִתַּר לַנַּפְשִׁי לְהִשְׁתַּפֵּךְ בְּמָקוֹם אֲשֶׁר רוּחַ אֱלֹהִים שָׁפוּכָה עַל בְּחִירֵךְ / اختار لنفسي أن تنسكب في مكان حيث أن روح الربّ مسكوبة على من اصطفيه) ، هي مقلوبة عن (הִתְשַׁפֵּךְ) في اللّغةِ نفسها[٧٣].

• لفظة (כְּשִׁלְמָה) العبريّة في عبارة (לְהִתְעַטֵּף כְּרִדְיוֹ אֶפְלָה כְּשִׁלְמָה / كي يتوارى بوشاح الظلمة كأنه عباءة) ، هي مقلوبة عن (כַּשְׁמְלָה) في اللّغةِ نفسها[٧٤].

• حصل القلب المكانيّ في اللُّغةِ المندائيّة في لفظة

(يتزجا) صارت (يزضجا) من الفعل (زجا) بالمعنى نفسه: (زُرِع) ، ولفظة (يتصلدب) صارت (يصطلدب) من الفعل (صلاب) بالمعنى نفسه: (صُلِب) في اللّغةِ نفسها[٧٥].

• لفظة (הִתְזַיֵן) العبريّة ، أصبحت (הִזְדַיֵן) ، وبالمعنى نفسه: (سُلِحَ) ، ولفظة (הִתְצַדֵק) أصبحت (הִצְטַדֵק بُرِيء / הִטַמֵא دُنِسَ) في اللّغةِ نفسها[٧٦].

• حصل القلب المكاني في السريانيّة في لفظة (اسكرو) مقلوبة عن (ازسو) بالمعنى نفسه: (جُرِدَ) من الفعل (سو) في اللّغةِ نفسها[٧٧].

نتائج البحث

١- القلب المكانيّ ظاهرة صوتيّة عُرفت بها اللّغة العربيّة ، فهو عامل من عوامل تنميتها ، وله دور بارز في توسيع كمي لمفرداتها المعجميّة .

٢- القلب المكانيّ من الموضوعات التي شغلت الكثير من علماء العربيّة قديماً وحديثاً ، فكان من الموضوعات التي شكّلت خلافاً بين مؤيد لهذه الظاهرة ، ومعارض لها .

٣- القلب المكانيّ من الموضوعات التي شهدت خلافاً أيضاً في سبب حصولها ، فالبعض ردّه إلى اختلاف اللهجات ، والبعض إلى صعوبة نطق الأصوات ، والبعض إلى عيوب النطق والسمع كما مرّ علينا سابقاً .

٤- القلب المكانيّ من الموضوعات التي عادت إلى جذور عميقة ، فلم يكن وجوده مقتصراً على اللّغة العربيّة ، بل كان له حضور ملحوظ في شقيقات العربيّة من اللّغات الساميّة ، فدّلت المقارنات اللفظيّة السابقة على وجوده في هذه اللّغات وبكثرة كما هو الحال في العربيّة ، ودلّت على عمق الجذور المشتركة بين هذه اللُّغات وتأصيلها .

٥- دلّت المقارنة اللفظيّة على صلة القربى بين العربيّة وأخواتها الساميّات ، فالقلب المكانيّ كغيره من الظواهر اللّغويّة ، التي اشتركت بها اللّغة العربيّة مع أخواتها الساميّات ، وإن اتضحت ملامح هذه الظاهرة في العربيّة ؛ لأن العربيّة لغة متكاملة ناضجة ، لم تصل إلى تكاملها ووضوح معالمها بقية أخواتها الساميّات .

٦- القلب المكانيّ كغيره من الظواهر التي لا تتضح إلاّ بالمقارنة ، فالمقارنة الساميّة يتضح بها أصول الألفاظ .

الهوامش

١- تاج العروس: مادة ((قلب)) .
٢- يُنظر: شرح الشافية: ٢١/١ .
٣- يُنظر: القلب والإبدال في اللغة: ١٧٨ .
٤- يُنظر: الدراسات اللهجيّة والصوتيّة عند ابن جني: ١٩٠ .
٥- يُنظر: معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب: ٢٩٧ .
٦- يُنظر: القلب المكانيّ في صوامت صيغ العربيّة : ١٩٤ .
٧- يُنظر:الخصائص : ٣٥٢/٢ .
٨- يُنظر: فقه اللّغة العربيّة المقارن (دراسات في أصوات العربيّة وصرفها ونحوها على ضوء اللّغات الساميّة):٨١ .
٩- يُنظر: الدراسات اللّغوية عند العرب: ٤٠٦ ، ٤٠٧ .
١٠- يُنظر: الصاحبي في فقه اللّغة: ١٣٩ ، ١٤٠ .
١١- يُنظر: فقه اللّغة وسرّ العربيّة: ٣٧٢ .
١٢- يُنظر: الصاحبي في فقه اللّغة: ١٤٠ .
١٣- يُنظر: اللهجات العربيّة في التراث: ٦٥٣ .
١٤- يُنظر: القلب المكانيّ في صوامت صيغ العربيّة: ١٩٥ .
١٥- يُنظر: تصحيح الفصيح: ٧ .
١٦- يُنظر: المزهر: ٣٧٩/١ .
١٧- يُنظر: الجمهرة: ٤٣١/٣ .
١٨- يُنظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموّحدة: ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ .
١٩- يُنظر: الممتع الكبير في التصريف: ٣٩١ .
٢٠- يُنظر: المصطلح الصوتيّ في الدراسات العربيّة: ٢٦٨ .
٢١- يُنظر: نشوء اللّغة العربيّة ونموها واكتهالها: ١٦ .
٢٢- يُنظر: التطور اللّغويّ مظاهره وعلله وقوانينه: ٧٥ - ٨٩ .
٢٣- يُنظر: التطبيق الصرفيّ: ١٤ .
٢٤- يُنظر: التطور اللّغوي التاريخي: ١١٦ .
٢٥- يُنظر: الدراسات اللهجيّة والصوتيّة عند ابن جني: ١٩٢ .
٢٦- يُنظر: الدراسات اللّغوية عند العرب: ٤٠٦ .
٢٧- يُنظر: اللهجات العربيّة في التراث: ٦٥٤ ، ٦٥٥ .
٢٨- يُنظر: فقه لغات العاربة: ١٧٤ .
٢٩- يُنظر: المصدر نفسه : ١٧٥ .
٣٠- يُنظر: المصدر نفسه : ١٧٤ .
٣١- يُنظر: فقه العربيّة المقارن: ٨٣ .

٣٢- يُنظر: المصدر نفسه: ٨٤ .
٣٣- يُنظر: آراميّة الحضر: ١٠١ .
٣٤- يُنظر: الأكديّة العربيّة: ٣٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٨٦ ، ١٩١ .
٣٥- يُنظر: فقه لغات العاربة: ١٧٥ .
٣٦- يُنظر: فقه العربيّة المقارن: ٨٣ .
٣٧- يُنظر: فقه لغات العاربة: ١٧٤ .
٣٨- يُنظر: مدخل إلى نحو اللّغات الساميّة المقارن: ١١١ .
٣٩- يُنظر: الأكديّة العربيّة: ٣٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٨٦ ، ١٩١ .
٤٠- يُنظر: المصدر نفسه .
٤١- يُنظر: فقه لغات العاربة: ١٧٤ .
٤٢- يُنظر: مدخل إلى نحو اللّغات الساميّة المقارن: ١١١ .
٤٣- يُنظر: اللّغة الأكديّة: ١٩٠ .
٤٤- يُنظر: بين السريانيّة والمندائيّة: ٣١٥ ، ٣١٦ .
٤٥- يُنظر: فقه العربيّة المقارن: ٨٣ .
٤٦- يُنظر: بين العربيّة والسريانيّة: ٢٨ .
٤٧- يُنظر: الأكديّة العربيّة: ٣٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٨٦ ، ١٩١ .
٤٨- يُنظر: مدخل إلى نحو اللّغات الساميّة المقارن: ١١١ .
٤٩- يُنظر: اللّغة الأكديّة: ١٩٠ .
٥٠- يُنظر: المصدر نفسه .
٥١- يُنظر: حروف الجرّ والأداة (د ، دي) في الكتابات الحضرية: ١٧٣ .
٥٢- يُنظر: العبريّة لهجة عربيّة عادية –دراسة لغويّة مقارنة بين اللّغة العربيّة والعبريّة: ٥٦ .
٥٣- يُنظر: عربيّة ثمود: ٤٨ .
٥٤- يُنظر: الأكديّة العربيّة: ٣٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٨٦ ، ١٩١ .
٥٥- يُنظر: تأصيل الجذور الساميّة وأثره في بناء معجم عربيّ حديث: ٩١ .
٥٦- يُنظر: مدخل إلى نحو اللّغات الساميّة المقارن: ١١١ .
٥٧- يُنظر: بين السريانيّة والمندائيّة: ٣١٥ ، ٣١٦ .
٥٨- المصدر نفسه .
٥٩- يُنظر: بعض المتغيرات اللّغويّة والنحويّة في اللّغتين العبريّة والعربيّة – دراسة مقارنة : ١٠٥
60- The pencuin Book of Hebrew، Verse ، P.277 .
٦١- يُنظر: التغيرات الصوتيّة المشروطة في الأصوات الأسنانيّة اللثويّة (د،ت،ط) في اللّغات الساميّة:٧٩ .
٦٢- يُنظر: الأصوات المذلقة في اللُّغة العربية: ١٠٤ .
٦٣- يُنظر: التغيرات الصوتيّة المشروطة في الأصوات الأسنانيّة اللثويّة (د،ت،ط) في اللّغات الساميّة:٧٩ .

٦٤- سفر اللاويين: ١٠/١ .
٦٥- يُنظر: بعض المتغيرات اللّغويّة والنحويّة في اللّغتين العبريّة والعربيّة – دراسة مقارنة : ١٠ .
٦٦- يُنظر: قواعد العربيّة الجنوبيّة: ٣٦ .
٦٧- يُنظر: تناظر الحروف العربيّة والسريانيّة في الصوت والصورة: ٢٤ .
٦٨- سفر التكوين: ١٨/٢٦ .
٦٩- يُنظر: بعض المتغيرات اللّغويّة والنحويّة في اللّغتين العبريّة والعربيّة – دراسة مقارنة: ١١ .
٧٠- سفر الخروج: ١٢/٩ .
٧١- يُنظر: بعض المتغيرات اللّغويّة والنحويّة في اللّغتين العبريّة والعربيّة – دراسة مقارنة: ١١ .
٧٢- يُنظر: الأصول الجلية في نحو اللّغة الآراميّة: ١٦٨ .
٧٣- يُنظر: بعض المتغيرات اللّغويّة والنحويّة في اللّغتين العبريّة والعربيّة – دراسة مقارنة: ٦١ .
٧٤- يُنظر: المصدر نفسه .
٧٥- يُنظر: قواعد اللّغة المندائيّة: ١١٠ .
٧٦- يُنظر: الأصوات مخارجها وطبيعة الإبدال فيما بينها – دراسة ساميّة مقارنة : ٢٩٤ .
٧٧- يُنظر: المصدر نفسه .

المصادر والمراجع

• الكتاب المقدس .

١- آراميّةُ الحضر ، يعقوب حنا ، ط١ ، دار المعارف ، بيروت ، ٢٠٠٩م .

٢- الأصواتُ المذلقةُ في اللُّغةِ العربيّةِ، أطروحةُ دكتوراه ، ولاء صادق محسن ، جامعةُ بغداد - كليةُ الآدابِ ، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢ م .

٣- الأصواتُ مخارجُها وطبيعةُ الإبدالِ فيما بينها (دراسةٌ ساميّةٌ مقارنةٌ) ، م.حيدر حسن عبيد ، مجلةُ بيتُ الحكمةِ ، ع٥٨ ، بغداد ، ٢٠٠٣ م .

٤- الأصولُ الجليّةُ في نحو اللُّغةِ الآراميّةِ ، المطران يعقوب أوجين منّا ، منشوراتُ مركز بابل ، بيروت ، ١٩٧٥م .

٥- أصولُ الكلامِ بينَ العربيّةِ والسريانيّةِ ، المطران إندراوس صنا ، مجلةُ المجمع ِالعلميِّ العراقيِّ ، العدُد الخاصُ بهيئةِ اللُّغةِ السريانيّةِ ، مج ١٢ ، بغداد ، ١٩٨٨ م .

٦- الأكديّة العربيّة ، د. علي فهمي خشيم ، ط١ ، مركز الحضارة العربيّة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م.

٧- بعضُ المتغيراتِ اللُّغويّةِ والنحويّةِ في اللُّغتين العربيّةِ والعبريّةِ(دراسةٌ مقارنةٌ) ، أطروحةُ دكتوراه ، خديجة عطية ناصر الجبوريّ ، جامعةُ بغداد - كليةُ اللُّغاتِ ، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م.

٨- بينَ السريانيّة والمندائيّةِ ، بنيامين حداد ، مجلةُ مجمعُ اللُّغةِ السريانيّةِ ، مج٣، بغداد ، ١٩٧٧م

٩- تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، ط١ ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦هـ .

١٠- تأصيلُ الجذورِ الساميّةِ وأثرهُ في بناءِ معجمٍ عربيٍّ حديثٍ ، د. حسام قدوري عبد ، دارُ الكتبِ العلميّةِ ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

١١- تصحيح الفصيح ، ابن درستويه ، تحقيق : د. محمد بدوي المختون ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٩٩٨ .

١٢- التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، دار النهضة العربيّة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٩ .

١٣- التطور اللّغوي التاريخي ، د. إبراهيم السامرائيّ ، دار الرائد - بغداد ، ١٩٦٦م .

١٤- التطور اللّغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب ، ط٣ مكتبة الخانجي ، ١٩٩٧م

١٥- التغيّراتُ الصوتيّةُ المشروطةُ في الأصواتِ الأسنانيّةِ اللثويّةِ (د،ت،ط) في اللُّغاتِ الساميّةِ ، م. أحمد سامي جاسم ، مجلةُ كليةُ اللُّغاتِ- جامعةُ بغداد ، ع٢١ ، ٢٠١٠ م .

١٦- تناظرُ الحروفِ العربيّةِ والسريانيّةِ في الصوتِ والصورةِ ، المطران إندراوس صنا ، مجلةُ المجمعِ العلميِّ العراقيِّ ، هيئةُ اللُّغةِ السريانيّةِ، مج ٣٦ ،بغداد ، ١٩٨١ - ١٩٨٢ م .

١٧- جمهرة اللّغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، طبعة أوفسيت ، مكتبة المثنى عن طبعة ١٣٤٦ هـ .

١٨- حروفُ الجرِّ والأداةُ (د ، دي) في الكتاباتِ الحظريّةِ ، د.عادل هامل حسين الجادر ،مجلةُ المجمعِ العلميِّ العراقيِّ ، العددُ الخاصُ بهيئةِ اللُّغةِ السريانيّةِ ، مج١٤، بغداد ، ١٩٩٣ م .

١٩- الخصائص ، ابن جني ، ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٠م .
٢٠- الدراسات اللّغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، محمد حسين آل ياسين ، ط١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٠م .
٢١- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ،د.حسام سعيد النعيمي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٠م .
٢٢- شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ، تحقيق: محمد نور الحسن و محمد محيي الدين عبد الحميد و محمد الزفزاف ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م) .
٢٣- الصاحبي في فقه اللّغة ، أحمد بن فارس ، ط١ ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
٢٤- العبريّةُ لهجةٌ عربيّةٌ عاديّةٌ – دراسةٌ لغويّةٌ مقارنةٌ بين اللّغة العربيّة والعبريّة – سلامة سليم ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية – فلسطين ، ٢٠٠٠-٢٠٠١م .
٢٥- عربيّةُ ثمود ، يعقوب حنا ، ط١ ، دار المعارف ، بيروت ، ٢٠٠٩م .
٢٦- فقه العربيّة المقارن (دراسات في أصوات العربيّة وصرفها ونحوها على ضوء اللّغات الساميّة) ،د.رمزي بعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٩م .
٢٧- فقه اللّغة وسرّ العربيّة ، الثعالبيّ ، تحقيق: عمر حافظ سليم ، ط١ ، شركة القدس ، القاهرة ، ٢٠٠١م
٢٨- فقهُ لُغاتُ العاربةِ المقارنِ ، مسائل وآراءٌ ، د. خالد إسماعيل ،أربد ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
٢٩- القلب المكانيّ في صوامت صيغ العربيّة ، د. محمد يحيى سالم ، مجلة الجامعة الإسلاميّة ، العدد السادس عشر .
٣٠- القلب والإبدال في اللّغة ، عادل أحمد زيدان ، (أطروحة دكتوراه) ، كلية الآداب-جامعة بغداد ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
٣١- قواعدُ العربيّةِ الجنوبيّةِ ، ف.ل. بيستون ، ترجمة د. خالد إسماعيل ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م .
٣٢- قواعدُ اللُّغةِ المندائيّةِ ، أمين فعيل حطاب ، مراجعةُ أ.د.يوسف متي قوزي ، مركزُ البحوثِ والدراساتِ المندائيّةِ، ط١ ، بغداد .٢٠٠٢ م .
٣٣- اللّغةُ الأكديّةُ (البابليّةُ والآشوريّةُ) تاريخها وتدوينها وقواعدها ، د. عامر سليمان ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .
٣٤- اللهجات العربيّة في التراث (القسم الثاني – النظام النحويّ) ، أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربيّة للكتاب ، ١٩٨٣ .
٣٥- لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموّحدة ، غالب فاضل المطلبي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، دار الحرية - بغداد ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م
٣٦- مدخلٌ إلى نحو اللّغاتِ الساميّةِ المقارن ، سباتينوموسكاتي ، ادفارداولندروف ، انطون شيتلر ، فلرام فون ، ترجمة د. مهدي المخزومي ، د.عبد الجبار المطلبيّ ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

٣٧- المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ، السيوطي ، المكتبة العصرية ، بيروت .
٣٨- المصطلح الصوتيّ في الدراسات العربيّة ، د.عبد العزيز الصيغ ، ط١ ، دار الفكر - دمشق ، ودار الفكر المعاصر - بيروت ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
٣٩- معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب ، مجدي وهبه ، ط٢ ، مكتبة لبنان- بيروت ، ١٩٨٤م .
٤٠- الممتع الكبير في التصريف ، ابن عصفور ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، ط١ ، مكتبة لبنان ، ٦٦٩هـ .
٤١- نشوء اللّغة العربيّة ونموها واكتهالها ، الأب انستاس ماري الكرملي ، المطبعة العصرية ، القاهرة ، ١٩٢٨ .
المصادر الأجنبيّة
1- Carmi .the Penguin Book of Hebrew verse، England 1976 .

ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

التّــرخُّص في قرينةِ الرتبة

دراسة في استعمال القرآن الكريم

Permission in the rank presumption.
"Study in the use of the Holy Quran"

م.د.شكيب غازي بصر ي الحلفي.
Dr. Shakib Ghazi Al-Halafi.

كلمات مفتاحية : الأعراف اللغوية/ التّــرخُّص/ قرينة الرتبة/
القرينة الإعرابية/ الترتيب

ملخص البحث

استنتجَ هذا البحثُ ان الرتبة قرينة لفظية وعلاقة بين جزئين من أجزاء السياق يدلّ موقع كل منهما من الآخر على معناه وتؤلف هذه القرينة أحد دعائم النظام اللغوي الدقيق، ولذلك يؤدي خرقها إلى اللبس الذي عدّ آفة البيان،ومن هنا قسّمها النحاة على قرنية محفوظة وأخرى غير محفوظة لتحديد مساحة الحركة الجائزة للعنصر اللغوي كما أن الترخّص ظاهرة لغوية تمثّل تطبيقا محترفا وعاليا لنظام اللغة وأعرافها،و إنها ليست خروجا على النظام، بل هناك ضوابط لابدّ من توفّرها تتمثل بضرورة توفر قرينة لغوية (لفظية أو معنوية) تقوم مقام القرينة التي أهدرت،وإلاّ نسب الكلام إلى الخطأ، ذلك أنّ اللغة-بوصفها نظاما- تتكون من مجموعة أنظمة جزئية تؤلف بمجملها وحدة النظام الكلي وتعدّد القرائن في الجملة الواحدة من أجلى مظاهر ذلك النظام ولهذا جرت عادة بعض علماء اللغة أن يشبّهوا هذا النظام بنظام أجهزة الجسم الإنساني،كل جهاز فيه،وكل عضو يعمل من أجل الحياة،وكذلك الأنظمة اللغوية تعمل من أجل الفهم والإفهام والله من وراء القصد .

Abstract

This research concluded that the rank is a verbal presumption and a relation between two parts of the context. The location of each other indicates its meaning. This theory constitutes one of the pillars of the precise linguistic system. Therefore، the breach leads to confusion which counted the scars of the statement. To determine the area of the movement of the prize for the linguistic component and licensing is a linguistic phenomenon represents a professional and high application of the language system and customs، and it is not an exit on the system، but there are controls must be provided is the need to provide a linguistic (verbal or moral) that serves as the basis of the lost، Speech to error. That the language - as a system - consists of a set of partial systems consisting in its entirety the unity of the total system and the multiplicity of clues in the sentence one of the most manifestations of that system and therefore it was usually some linguists to resemble this system of human body organs، every device in it، and each member working for Life، as well as linguistic systems work for understanding.
God is intended.

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين. أمّا بعدُ...

فلعلّ من الثابت عند المتخصصين أن النص القرآني نصّ عجز عن مجاراته أهل القول على الرغم من براعتهم فيما نظموه شعرا او أرسلوه نثرا، فقد فارق الشعر والنثر من حيث السّمات فكان قرآنا في أسلوبه وسماته على وفق أعراف اللغة ولكن بطريقة مخصوصة أخرجته من منطقة المألوف إلى منطقة الإعجاز، فبسبب من هذا بدأت محاولات تفسير هذه الظاهرة القرآنية تفسيرا علميا امتدت من سؤالات نافع بن الازرق لابن عباس إلى الآن، كلّ يحاول أن يجيب عن كيف أصبح هذا النص معجزا؟ بالرغم من:

١. إن المفردات التي استعملها القرآن الكريم هي المفردات نفسها التي استعملتها العرب.

٢. إن الأعراف اللغوية التي التزم بها الشعراء والأدباء هي نفسها التي التزم بها النص القرآني.

فلماذا أصبح نصّا معجزا على الرغم من تشابه المادة والأعراف[١] ؟ فقال بعضهم:إنه معجز بغريبه فظهرت كتب الغريب، وقال آخرون إنه معجز بفصاحته وبلاغته فظهرت عشرات المؤلفات في معانيه وإعرابه ،إلى غيرها من المحاولات التي انتهت برأي النظّام[٢] القائل بالصرفة ليغلق بهذه الدعوة باب العمل الفكري في الكشف عن سرّ الإعجاز فيه، فإذا ما وصلنا إلى القرن الخامس الهجري بزغ عقل كبير تمثّل بالشيخ عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) من خلال كتابه الشهير(دلائل الإعجاز)ليقدّم لنا (نظرية النظم)التي فسرّت سرّ الإعجاز من خلال التركيب[٣] ،يقول الجرجاني((وهاهنا أمرٌ عجيبٌ وهو أنّه معلومٌ لكلّ من نظر أن الألفاظ من حَيْثُ هي ألفاظٌ وكَلِمٌ ونطقُ لسانٍ لا تختصُّ بواحدٍ دونَ آخر وأنها إنما تختصُّ إذا تُوُخِّيَ فيها النظمُ)) [٤] ،الذي عدّ سرّ الإعجاز فيه.

إن قرينة الرتبة واحدة من القرائن المعنوية الثمان التي رتبّها الدكتور تمّام حسّان في كتبه اللغوية، ووظيفتها الكشف عن معنى الباب النحوي من فاعلية ومفعولية وابتداء ...الخ، فضلا عن وظيفتها كمؤشر أسلوبي في الكشف عن خصائص النص الأدبي المتميز وتشخيص المعنى الدقيق ،فهي تقوم بوظيفتين الأولى نحوية والاخرى أسلوبية-كما مبين في متن البحث-ومع ذلك لم تلق هذه القرينة اهتماما كبيرا من النحاة بسبب اهتمامهم بقرينة الإعراب فقط فضاعت بسبب هذا حقائق لغوية قرآنية كان يمكن لها أن تسهم في الكشف عن مسارات لغة القرآن الكريم

إنَّ هذه الدراسة الموسومة بـ((الترخّص في قرينة الرتبة-دراسة في استعمال القرآن الكريم))سبقتها دراستان الأولى((الترخص في القرآن الكريم-دراسة في المفهوم)) والثانية((الترخص في القرينة الإعرابية –دراسة في استعمال القرآن الكريم)) في ضمن مشروع((الترخص في القرآن الكريم))يمتدّ بامتداد القرائن الثلاث عشرة التي وضعها الدكتور تمّام حسّان في كتبه اللغوية،وقد جاء البحث على قسمين الأول: مفهوم الرتبة وأنواعها وأثرها في المعنى،والثاني: التطبيقات القرآنية على الظاهرة ،ثم الخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع وملخص باللغة الانكليزية.

القسم الأوّل: الجانب النظري.

أولا: مفهوم التّرخُّص.

كنت قد انتهيت من بحث سابق[٥] إلى أن الترخّص ظاهرة لغوية تمثّل تطبيقا محترفا وعاليا لنظام اللغة وأعرافها ،وأنها ليست خروجا على النظام ،بل هناك ضوابط لابدّ من توافّرها تتمثّل بضرورة توفر قرينة لغوية (لفظية أو معنوية) تقوم مقام القرينة التي أهدرت ،وإلاّ نسب الكلام إلى الخطأ ،ذلك أن اللغة-بوصفها نظاما- تتكوّن من مجموعة أنظمة جزئية تؤلف بمجملها وحدة النظام الكلي وتعدّد القرائن في الجملة الواحدة من أجلى مظاهر ذلك النظام ولهذا((جرت عادة بعض علماء اللغة أن يشبهّوا هذا النظام بنظام أجهزة الجسم الإنساني ،كل جهاز في الجسم الإنساني ،وكل عضو يعمل من أجل الحياة ،وكذلك الأنظمة اللغوية تعمل من أجل الفهم والإفهام، وأعضاء الجسم الإنساني خلقت لكي يعمل كل منها عند الحاجة إليه، وقد يؤدي الإنسان عملا من الأعمال ببعض أعضائه التي أعدّت وخلقت لمثل هذا العمل، وهو بالطبع لا يستعمل الأعضاء الأخرى غير المهيأة لهذا العمل ،ولا يعني هذا أن الإنسان يستغني عن العضو الذي يشارك في كل عمل فيسمح ببتره مثلا)) [٦] ،وكذا القرائن اللغوية ،ولكل منها مكان لا يسدّ اختلاله مكان قرينة أخرى في الجملة،وقد تجتمع في جملة مجموعة منها من دون بعضها، وليس من اللازم أن تجتمع كل القرائن بلا استثناء في كل جملة من الجمل ،ولا يعني هذا أنه يجوز لنا أن نلغي قرينة من القرائن عندما يكون نصيبها في بيان المعنى النحوي ضئيلا، وما دام الأمر يتطلّب أن تحتوي الجملة أكثر من قرينة فهي لذلك تتطّلب كفاءة لغوية وقدرة في استعمال النظام استعمالا جيدا ،ولهذا لم نجدها إلاّ في النصوص اللغوية العالية كالنص القرآني وانعدم أو قل مجيئها في النصوص البشرية ،ولذلك يمكن أن نجد لكثير ممّا أطلق عليه النحاة بـ(الشاذ والغريب والخطأ... [٧] الخ) تفسيرا على وفق ظاهرة الترخص.

إن القاعدة التي وضعها النحاة كانت((تلخيصا لتقلّب العلاقات السياقية التي تقوم بين عناصر السياق وما يصاحب هذا التقلّب من تغيّر في المباني اللغوية ومن ثم تكون وصفا لتقلّب العلاقات)) [٨] ،ولكنهم وقعوا في أخطاء منهجية من حيث المكان والزمان فخرج جمع كبير من مادة اللغة ولم يستطع النحاة ملاحظته بسبب تمسّكهم بمنهجهم في جمع المادة اللغوية، إضافة إلى أنهم جعلوا العلامة الإعرابية هي القرينة الأساس في تحديد المعنى وفاتَهم أن هناك قرائن متعددّة يمكن أن نستعين بها لأجل تحديد المعنى منها الرتبة والربط والتضامّ ...الخ، ولهذا نجدهم يذهبون إلى التأويل اذا ما خالف القول القاعدة في الظاهر،((ومن هنا لا ينبغي أن تكون القاعدة معيارا على مستوى العلم ،وإن وجب أن تكون كذلك على مستوى التعليم في قاعة الدرس ،ومعنى ذلك انه يقبل من العالم الباحث أن يقول:العرب تقول كذا، والعرب تقدم كذا على كذا، ويمتنع كذا، فالعالم الباحث ينظر إلى مشكلة الصواب والخطأ من زاوية اجتماعية ترى الاستعمال سُنة متبّعة ،والمعلم ينظر(وهو على حق)إلى هذه المشكلة من زاوية فرض القاعدة على الاستعمال ،الباحث يستنبط القاعدة بالأسلوب العلمي من المستعمل والمعلم يفرضها بالأسلوب التعليمي على الاستعمال نفسه، والصواب عند الباحث ما جرى به الاستعمال وعند المعلم ماحّددته القاعدة، وصاحب السليقة كالباحث لايهمّه من أمر القاعدة

شيء مادام حدسه اللغوي يرى الصواب فيما قيل)) [٩] ،وعلى هذا الأساس لايمكن أن نجعل من معيار الصحة النحوية أساسا تقاس عليه سلامة القول –وهي ليست دعوة إلى الفوضى بقدر ماهي دعوة الى اعادة استقراء أوسع لما يتوقّع ان يقال من كلام البشر- لأن القاعدة أضيق من أن تحيط بالكلام على أوجه تقلبّه واحتمالات تعددّ صوره لارتباطهما بالكفاءة اللغوية عند المتكلم ،وذلك أن البشر باستطاعتهم أن يكوّنوا جملا عديدة لم يسمع بها من قبل - ومنطيقا -لايمكن أن نضع قواعد بعدد المقول ولهذا نجد أن كل القواعد التي وضعها النحاة إنما هي قواعد كلية، وأما الاستثناءات التي جمعها قولهم(لكل قاعدة شواذ) فهو إجراء جعلوا به الكثير من القول أساس القاعدة والقليل(المخالف للقاعدة)هو الشاذ ،وهو إجراء خاطئ لأن القاعدة لا تؤسّس على وفق الكم من القول، وإنما على القول كله مادام أن الكلام يكشف عن وعي المتكلم وتصوراته وآماله وتطلعاته ،وامّا خطأ التفسير لجملة-ظن النحاة انها تخالف القاعدة- فليس القصور بالجملة انّما القصور بقدرتهم على حلّ ظاهرة اللغة بصورة عامة، وسأعرض هنا ماخالف ظاهر اللغة مع رصد التفسير المنطقي لها

ثانيا:الرتبة(لغة).

يدلّ المعنى اللغوي للجذر(رَتَبَ)على الثبات والتموضع ،جاء في معجم العين((الرُّتُوبُ: الانِتصاب كما يُرتِبُ الصَّبيُّ الكَعْبَ إرتاباً)) [١٠] ، وعَيْشٌ رَاتِبٌ : ثَابِتٌ دَائِمٌ، وأَمْرٌ راتِبٌ أَي دَارٌّ ثَابِتٌ[١١] ،والمُصَلِّي يَرْتُبُ أي ينتَصِبُ[١٢] ،والرَّتَبَةُ واحدةٌ من رَتَبات الدَّرَج. ورَتبْتُه ورَتَّبْتُه سواء، والمُرْتبةُ: المنزلة عند الملوك ونحوها،وتَرَتَّبَ فلانٌ أي عَلا رُتْبة أي دَرَجةً[١٣] .

فالملاحظ من النصوص أعلاه دلالتها على الثبات وعدم التغيّر ،فضلا عن دلالتها على قيمة الفرد في مجموعته ودوره الكبير –وهذا المعنى-لا يختلف عن مفهومها الاصطلاحي –كما سيرد-.

ثالثا:الرتبة(اصطلاحا).

لم ترد مفردة الرتبة لوحدها ،وانّما الذي ورد(قرينة الرتبة)،بوصفها واحدة من القرائن المقالية الثلاث عشرة[١٤] ،ولذلك يجب –منهجيا- أن نقدّم مفهوم القرينة أولا،ومن ثم مفهوم الرتبة ثانيا، فالقرينة((في اللغة فعيلة بمعنى المفاعلة مأخوذة من المقارنة وفي الاصطلاح أمر يشير إلى المطلوب)) [١٥] ،وهي تمنع التباس الأشياء ببعض، ولأهميتها نجدها في علوم كثيرة ومتعددة ،فقد قسّمها التهانوي(من رجال القرن الثاني عشر) على أربعة أقسام في كشّافه[١٦] ،أمّا الرتبة فهي((قرينة لفظية وعلاقة بين جزئين من أجزاء السياق يدلّ موقع كل منهما من الآخر على معناه)) [١٧] ، والواضح أن معنى الاصطلاح لا يبعد عن معناه اللغوي ؛ إذ يدلّ على المنزلة أو القيمة الموقعية في الكلام[١٨] ؛ فهي تعنى بملاحظة ((موقع الكلمة في التركيب الكلامي)) [١٩] .

إن قرينة الرتبة من الظواهر اللفظية التي تُسهم في تحديد مواقع الكلمات ومعانيها في السياق الواردة فيه ، فـ« تُساعد على رفع اللبس عن المعنى بتحديد موقع الكلمة فيها»[٢٠] ؛ فكلّ كلمة أو عبارة تتخذ موضعاً خاصاً بها ، وترتيباً خاصاً ، فإن تغيّر ذلك الترتيب أو زال ، تغيّرت دلالتها في سياق التركيب الكلامي[٢١] ، وترتبط وظيفتها السياقية بالسوابق واللواحق على أساس ذلك الموقع الثابت لها في السياق ، وهذا يوحي بتعالق أجزاء الكلام وتماسكها، فالتركيب الكلامي يرتكز بشكل أساس على «موقع

العنصر وهو ثابت نسبياً في التركيب اللغوي»[٢٢] ، ما يعني أنّ هذا الترتيب يُعطي الجملة العربية نظاماً خاصاً، متى ما تغيّر ذلك الترتيب اختلّ النظام ، فلو تقدّمت كلمة على أُخرى أو حرف على فعل ؛ لاختلّ المعنى أو اختلف وانتفتْ دلالة التركيب أو تغيّرت ، وقد يصبح مجرد كلمات مصفوفة لا ترابط بينها ، وعليه فالإخلال بقرينة الرتبة يُخرجها من كونها نسقاً ويفقدها دلالتها بالضرورة[٢٣] .

فالقول بـ»الرتبة» يدفعنا إلى توقّع الترابط بين العناصر المكوّنة للجملة ، بما يضمن لها تلازماً على هذه الحال، فليس بمقدور أي تركيب أن يُعبّر عن الأفكار الذهنية المقصودة من دون التزامٍ دقيق لترتيب منظم ، يعينه على أداء المهمة بدقة ، ولا سبيل إلى تحقق ذلك من دون مراعاة الأحكام التي تحفظ لكل كلمة رتبتها في الجملة[٢٤].

وبهذا يكون مصطلح (قرينة الرتبة) عبارة عن علامة دالّة على المعنى النحوي في الجملة كمعنى الفاعلية والمفعولية ...الخ ومن دونها يصبح الكلام غير ذي فائدة، وهي مؤشر أسلوبي يكشف عن خصائص النص المتميّز بوساطة التطبيق الأمثل لإمكانات النظام اللغوي.

رابعا :قرينة الرتبة في التراث.

من خلال متابعة كتب التراث(نحوية ولغوية وبلاغية) اتضح أن مصطلح الرتبة ومفهومها لم يكن غائبا عن وعي العلماء،فقد وردت إشارات قيمة في ذلك، وإن الذي كان غائبا هو الترتيب المنهجي لهذه الظاهرة، وسيتابع البحث جذور الظاهرة على النحو الآتي:

ا. عند النحاة.

((لقد جعل النحاة لمواقع الكلام رتباً بعضها أسبق من بعض ، فثمَّة تصوّر لهم يكشف عن أنَّ رتبة العمدة قبل رتبة الفضلة ، فرتبة المبتدأ قبل رتبة الخبر، ورتبة ما يصل إليه الفعل بنفسه قبل رتبة ما يصل إليه بحرف الجر، وإنْ كانا فضلتين ، ورتبة المفعول الأول قبل رتبة المفعول الثاني)) [٢٥] ؛ لأنّه فاعل في المعنى[٢٦] .

فترتيب الكلمات في العربية يتجه نحو الاستقرار؛ لأنَّ النحو يفرض على الكلمات ترتيباً لا يتغيّر[٢٧] ، أمّا التغيير الحاصل هو نتيجةٌ لتغيير الحالة الانفعالية للمتكلم[٢٨] ؛ لأنّ «الحالة النفسية والعصبية لأي إنسان تنعكس على انفعالاته وسلوكياته ومنها السلوك اللغوي»[٢٩] ، فالترتيب يفرضه المقصد الدلالي لدى المتكلم، يكون ذلك على وفق دعامتين لغوية أو نفسية- سيأتي بيان ذلك-، ما يؤكد أنّ الترتيب الكلامي يأخذ حيزين في إنتاج الدلالة هما «الثبات الموقعي ، وحرية الحركة» ، يؤكد ذلك (فندريس) بقوله: «فالحقيقة أنّه لا توجد لغة واحدة تسير في ترتيب الكلمات على حرية مطلقة ، كما لا توجد لغة واحدة ترتيب الكلمات فيها جامد لا يتحرك»[٣٠].

وتزداد «أهمية الرتبة في اللغات الخالية من الإعراب»[٣١] ، وهي أكثر ورودا مع المبنيات منها مع المعربات، وورودها مع الأدوات والظروف من بين المبنيات أكثر اطرادا منه مع غيرها ، وربما يرجع ذلك إلى أنّ عدم وجود العلامة الإعرابية في المبنيات قد جنح بها إلى قرينة الرتبة ، وجعلت الرتبة عوضا لها عن العلامة الإعرابية[٣٢].

إن الذي اتضح من خلال رصد الظاهرة عند النحاة القدامى؛ هناك فريقان الأول لم يذكر المصطلح صراحة، والآخر ذكره صراحة من خلال تقسيمه للأبواب تقسيما بحسب المعنى النحوي، فمن الفريق الأول نذكر (سيبويه)(ت١٨٠هـ) في الكتاب،

(والفراء)(ت٢٠٧هـ) ، في (معاني القرآن) ، و(المبرد)(ت ٢٨٥هـ) في (المقتضب)، فأمّا (سيبويه) فإنه يقول في باب الفاعل الذي يَتعدّاه فعلُه إلى مفعول:«وذلك قولك: ضَرَبَ عبدُ الله زيداً... انتصب زيدٌ لأنه مفعول تعدّى إليه فعلُ الفاعل . فإن قدمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأوّل ، وذلك قولك: ضَرَبَ زيداً عبدُ الله ؛ لأنّك إنَّما أردت به مُؤخّرا ما أردت به مقدَّمًا ، ولم تُرد أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه وإنْ كان مؤخراً في اللفظ . فَمن ثَمَّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّما، وهو عربيٌّ جيِّد كثير، كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم»[٣٣] ، فتقديم المفعول جاء للاهتمام به والعناية[٣٤] .

وكان من معاييرهم في ذلك- التقديم والتأخير- أنَّ العامل رتبته التقديم ثم يأتي بعده المعمولات ، فالجملة الفعلية مثلاً يكون ترتيبها على تقديم الفعل ، ثم يأتي بعده الفاعل ، ثم المفعول به[٣٥] ، ولم يجوّزوا تقديم الفاعل على عامله ، في حين جوّزوا حرية التقديم للمفعول به ، فقدّموه على الفاعل والفعل معاً[٣٦]، ومعيارهم في ذلك أمن اللبس وتحقيق الفائدة ، فإذا اتضحت الدلالة السياقية في تقديمه فلا مانع من الترتيب اللفظي ؛ لأنَّه يعتمد في ذلك على الترتيب المعنوي للسياق.

أمّا من الفريق الثاني فلعلّ ابن السراج (٣١٦هـ) أول من قدّم اهتماما لهذه الظاهرة من خلال قوله ((أمّا تقديم المضمر على الظاهر الذي يجوز في اللفظ فهو أنْ يكون مقدّما في اللفظ مؤخرًا في معناهُ ومرتبته ، وذلك نحو قولك: (ضَربَ غلامَه زيدٌ) كان الأصل: (ضَرَبَ زيدٌ غلامَهُ) ، فقدمتَ ونيتُكَ التأخير، ومرتبةُ المفعول أنْ يكون بعد الفاعل»[٣٧]

((.-وقد عرض البحث في أثناء الحديث عن الرتب المحفوظة- ثلاثة عشر بابا يندرج ضمن الرتب المحفوظة كـ(الموصول وصلته ، والتوابع ، والتمييز والفاعل ، والمضاف والمضاف إليه وغير ذلك).

وقد أشار إليها (السيرافي) (ت٣٦٨هـ)في شرحه كتاب سيبويه ، يقول((فإذا بنيتَ الفعلَ على الاسم قلتَ: زيدٌ ضربته ، فلزمته الهاء ، يعني أنك إذا جعلت زيدا هو الأول في الرتبة ، فلا بد من أن ترفعه بالابتداء ، فإذا رفعته بالابتداء فلا بد من أن يكون في الجملة التي بعده ضمير يعود إليه ، وتكون هذه الجملة مبنية على المبتدأ ، كأنك قلت: زيدٌ مضروب)) [٣٨] .

٢.عند علماء اللغة.

ومن علماء اللغة (ابن جني) (ت٣٩٢هـ) الذي درس هذا الجانب في إطار تناولهم أهمية التقديم والتأخير، ففصّل القول في بيان مواضع الرتبة ، ومدى أثرها في المعنى النحوي أو السياقي في كتابه (الخصائص) ، من ذلك قوله في باب «نقض المراتب إذا عرض هناك عارض»: «من ذلك امتناعهم من تقديم الفاعل في نحو ضرب غُلامُهُ زيداً ، فهذا لم يمتنع من حيث كان الفاعل ليس رتبته التقديم ، وإنّما امتنع لقرينة انضمت إليه ، وهي إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول ، وفساد تقدّم المضمر على مظهره لفظاً ومعنى»[٣٩] ؛ لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً[٤٠] .

٣.عند علماء البلاغة.

يعتقد الدكتور تمام حسّان أن مصطلح(الترتيب) الذي ذكره الشيخ الجرجاني((قصد به الى شيئين؛ أولهما ما يدرسه النحاة تحت عنوان «الرتبة»... وثانيهما مايدرسه البلاغيون تحت عنوان التقديم

والتأخير)) [٤١] ؛ فـ«الترتيب عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها»[٤٢] ، فلا يقع الترتيب بحكم اللفظ من غير قصدٍ له في المعنى[٤٣] ، فسياق الكلام قائم عندهم على أساس الربط بين الترتيب والقصد الدلالي ، كما يقول في ذلك (الجرجاني)(ت٤٧١هـ): «لا يكون الترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة ، إن لم يُقدّم ، ولم يُؤخّر ما أخّر وبدئ بالذي يُثنى به أو تُثني بالذي ثلّث به لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصنعة »[٤٤] ، حتى بدت الرتبة –عندهم- فنّا من الفنون التي يوظفونها في أساليبهم ، وأجادوا في توظيفها في السياق الكلامي ووضعه الموضع الذي يقتضيه ، وأنَّ أخذ الكلمة مكانها في الأسلوب ناشئ عن ارتباط معناها بجاراتها [٤٥]. ومن ثمَّ فإنَّ الترتيب يتركّز على معنى السياق ، فغالباً ما ينصرم –الترتيب عندهم- في الفضاء الدلالي على وفق ضوابط تراتبية ؛ كالمتعلّق الزماني والمكاني ، والفضل والشرف ، والكلي والجزئي ، وغير ذلك[٤٦] .

ممّا تقدّم يتضح:

أن علماء اللغة والنحو قد رصدوا ظاهرة الرتبة في كلام العرب ولكن طبيعة اللغة العربية المعربة جعلتهم يركّزون اهتمامهم على الاعراب فقط، ولم يسمّوا قرينة الرتبة الاّ عندما يتعرضون إلى دقة المعنى الذي يعطيه التزام العنصر اللغوي رتبة واحدة لا تتغير.

خامسا: نوعا الرتبة.

قسّم اللغويون الرتبة على قسمين:

الاول: الرتب المحفوظة وهي رتب محفوظة في النظام وفي الاستعمال، إذ لا يجوز تغيير موقعها مطلقا ، ومتى اختلّ الموقع أدى إلى اختلال التركيب[٤٧] ، فأي اختلال يلحق بها يُبعد التركيب عن الصواب ، ولهذا تُعدّ محفوظة في نظام اللغة ، والاستعمال في الوقت نفسه [٤٨] ، ما يدلُّ على أنَّ ترتيب العناصر اللغوية في السياق الكلامي مرتبط بضوابط تحدّ من حريتها غالباً ما تتعلّق بالمعنى الوظيفي ؛ إذْ بوساطتها ((يمكن تحديد موقع الكلمة بين أقسام الكلم كما يمكن تحديد معنى الأبواب النحوية ومن ثمَّ معرفة وظائفها)) [٤٩] وهي ثلاث عشرة رتبة ذكرها ابن السرّاج:

١- تقديم الاسم الموصول على الصلة .

٢- حرف الجر على الاسم المجرور.

٣- تأخير البيان عن المبين.

٤- المعطوف بالنسق عن المعطوف عليه.

٥- التوكيد عن المؤكد.

٦- البدل عن المبدل.

٧- التمييز عن الفعل ونحوه.

٨- المضاف إليه على المضاف .

٩- الأفعال التي لا تتصرّف مثل(نعم وبئس وفعلا التعجب وليس وأسماء الافعال).

١٠- ما أعمل من الصفات تشبيها بأسماء الفاعلين وعمل عمل الفعل.

١١- العوامل من الاسماء والحروف التي تدخل على الأفعال عاملة كانت أم مهملة مثل(إن وأخواتها ونواصب الفعل المضارع وجوازمه وأدوات الشرط ولا النافية وحرف التحقيق» قد» وسوف وأدوات التحضيض.

١٢- الحروف التي لها صدر الكلام(عاملة أم مهملة). مثل(لا التي لنفي الجنس ولام الابتداء).

أن يفرق بين العامل والمعمول بما ليس فيه سبب

وهو غريب عنه.

١٣- تقديم المضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى.

١٤- التقديم إذا لبس على السامع انه مقدّم نحو(ضرب موسى عيسى)و(اخي صديقي)إذا كان طرفا الإسناد معرفة.

هذه هي مواضع الرتب المحفوظة التي ذكرها ابن السّراج(٣١٦هـ)في الاصول[٥٠] .

الثاني :الرتب غير المحفوظة :وهي رتبة في النظام فقط والعدول عنها ينقل النص إلى الأدبية مثل(رتبة تقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفعل والحال على صاحبه في حالة معينة...الخ)،فيمكن للمتكلم أن يأتي بها متقدّمة او متأخّرة بحسب الموقف والسياق إذا أمن اللبس فإن لم يؤمن وجب حفظ الرتبة ، وهذه الرتبة هي الأخرى تتطلّب نوعين من الوظيفة في سياق الكلام ؛ إذْ ثمَّة نوعان من حرية الرتبة :

أ- أولهما: يتقدّم فيه المتأخر مع المحافظة على وظيفته السياقية ، نحو تقدم «الخبر على المبتدأ» ، و»المفعول به على الفاعل» ، أو «على الفعل نفسه» ، الذي يحرس الوظيفة السياقية لهذه المفردات هو «العلامة الإعرابية» ، وكذلك إذا توسّط خبر كان وأخواتها أو تقدّم عليها ، وكذلك اسم أنَّ إذا تأخر وتوسّط الخبر وهو ظرف أو جار ومجرور وهكذا[٥١] .

ب- وثانيهما: ما يتقدَّم فيه المتأخر ولكَّنه لا يبقي على وظيفته السياقية التي كان عليها ، بل ينتقل إلى وظيفة أخرى ، نحو تقدّم الفاعل على الفعل ، ينقلهُ من فاعل إلى مبتدأ ، نحو قولك: «قام محمد» ، إذا تقدّم محمد لم يعد فاعلاً ، بل يصبح مبتدأ[٥٢] .

((فالرتبة غير المحفوظة رتبة مجرّدة في الذهن تُمثل أصلاً من أصول النحو صالحاً ؛ لأنّ يعدل عنه إلى ظاهرة التقديم والتأخير وهي ظاهرة مرتبطة بالأسلوب الذي هو عمل فردي في الأساس)) [٥٣] ،فينتج بسبب هذا مصطلحان الأول العدول وهو فكرة نحوية ،والثاني التقديم والتأخير وهي فكرة ترتبط بالأسلوب إلى نظام اللغة [٥٤] ، فهي تنطلق من دواعٍ أسلوبية ؛ ولذا انصبّ اهتمام البلاغيين عليها[٥٥] ؛ لكونها تمنح المتكلّم الحرية في التعبير.

إن الرتبة غير المحفوظة على الرغم من رفع القيود عنها وإعطائها الحرية في الترتيب ، إلاّ أنّها قد تكون أصعب وأدقّ من تقييدها ؛ لأن ممارسة الحق في التقديم والتأخير لابد من أن يفي بمتطلبات المقام و الانسجام بين المباني ، وعليه يمكن عدّ الرتبة المحفوظة علماً والرتبة غير المحفوظة فنّاً [٥٦].

وهناك فرق بين العلم والفن ، وإن كانا خاضعين لقانون المنزلة[٥٧].

ومن أمثلة الرتبة غير المحفوظة (رتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول ، ورتبة الضمير والمرجع ، ورتبة الفاعل والتمييز ، ورتبة المفعول به والفعل ، وغيرها) [٥٨] .

وثمَّة نوع آخر من الرتب ، يسميها (تمّام حسّان) بـ»أشباه الرتب»[٥٩] ليس هنا محلّ البحث فيها ،وإذا كانت بعض الأبواب النحوية يجوز فيها تشويش رتبتها ،فإن بعضها يجب حفظ رتبتها في الاستعمال وهي:

١- اذا كان الخبر فعلا مسندا الى ضمير المبتدأ المستتر نحو(زيد قام)،لئلاّ يلتبس المبتدأ بالفاعل[٦٠] ،فيجب هنا حفظ الرتبة كي لا يختلط الفاعل بالمبتدأ[٦١].

٢- اذا كان المبتدأ والخبر معرفتين نحو(زيد أخوك) فيجب تقديم المبتدأ هنا وتأخيره خطأ.

٣- يجب الحكم بأن المتقدّم حال في قوله تعالى((خُشَّعاً

أَبْصَارُهُمْ)) [٦٢] ،لئلا يلتبس التمييز بالصفة فهما لا يتقدّمان على عاملهما [٦٣]بينما يجوز تقديم الحال على صاحبه[٦٤] .

٤- اذا غابت القرينة الإعرابية في الفاعل والمفعول وذلك في الاسم المقصور مثل(ضرب موسى عيسى) إذ يتعذر ظهور العلامة عليهما وعندئذ يجب حفظ الرتبة فلا نعرب موسى الاّ فاعلا.

ومثلما يجب حفظ الرتبة إذ خيف اللبس ،يجب تغيير الرتب خوف اللبس أيضا في مواضع الرتبة غير المحفوظة فـ((إذا اقتضت ذلك ضرورة تركيبية فيصبح العكس رتبة محفوظة كرتبة الكاف في نحو(أكرمك الله))) [٦٥] ،ومن ذلك مثلا وجوب تقديم الخبر ليكون رتبة محفوظة وهي المواضع التي ذكرها ابن عقيل في قوله[٦٦] :

ونحو عندى درهم ولي وطر
ملتزم فيه تقدم الخبر
كذا إذا عاد عليه مضمر
ممّا به عنه مبينا يخبر
كذا إذا يستوجب التصديرا
كأين من علمته نصيرا

إشارة إلى المواضع التي يجب فيها تقديم الخبر وهي:

الأول: أن يكون المبتدأ نكرة ليس لها مسوغ إلاّ تقدم الخبر والخبر ظرف أو جار ومجرور نحو عندك رجل وفي الدار امرأة فيجب تقديم الخبر هنا فلا تقول رجل عندك ولا امرأة في الدار وأجمع النحاة والعرب على منع ذلك وإلى هذا أشار بقوله ونحو عندي درهم ولي وطر البيت فإن كان للنكرة مسوّغ جاز الأمران نحو رجل ظريف عندي وعندي رجل ظريف.

الثاني: أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء في الخبر نحو في الدار صاحبها فصاحبها مبتدأ والضمير المتصل به راجع إلى الدار وهو جزء من الخبر فلا يجوز تأخير الخبر نحو صاحبها في الدار لئلاّ يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة.

الثالث:ما له صدر الكلام كأدوات الاستفهام .

وكذلك يجب تقديم المفعول حفاظا على دقّة المعنى، إذا كان مفعولا به ضميرا منفصلا ليصبح رتبة محفوظة.

خامسا :الرتبة والأسلوب.

يقول الدكتور تمّام حسّان((أميل الى الاعتقاد أن عبد القاهر حين صاغ اصطلاحه «الترتيب» قصد به إلى شيئين؛ أولهما ما يدرسه النحاة تحت عنوان «الرتبة»...وثانيهما مايدرسه البلاغيون تحت عنوان التقديم والتأخير)) [٦٧] ،ثم يفسّر الدكتور تمّام هذ الاتجاه بقوله:((ولكن دراسة التقديم والتأخير في البلاغة دراسة لأسلوب التركيب لا للتركيب نفسه أي أنها دراسة تتمّ في نطاقين أحدهما مجال حرية الرتبة حرية مطلقة والآخر مجال الرتبة غير المحفوظة)) [٦٨] ،ولا يتناول دراسة الرتبة المحفوظة لأنها جزء من النظام الذي يحفظ قداسة اللغة في التعبير، وأن هذه الرتبة لو اختلّت لذهب المعنى وفسد النظام، فلا يجوز تقديم الاسم على الحرف فنقول(زيد إلى)بدلا عن(إلى زيد)وتقديم الصلة على الاسم الموصول فنقول(جاء أبوه الذي) بدلا عن(جاء الذي أبوه)وتقديم الخبر على المبتدأ عندما يكون طرفا الإسناد معرفتين فنقول(صديقي أخي)بدلا عن (اخي صديقي)...الخ من الرتب المحفوظة[٦٩] التي يجب حفظها.

إن اللّغة العربيّة –كما تقدّم- تعتمد الإعراب عكس اللّغات الأخرى ،كالإنكليزيّة مثلاً فإنها تعتمد التراتب(order)[٧٠]،وقد وفّر الإعراب للعربيّة حريّة

في تغيير رتب الجملة لأن العلامة ملازمة للعنصر اللغوي أينما كان ولذلك ينظر إلى الرتبة بأنها((قرينة نحويّة ووسيلة أسلوبيّة ؛أي إنها في النَّحو قرينة على المعنى وفي الأسلوب مؤشّر أسلوبي ووسيلة إبداع وتقليب عبارة وإستجلاب معنى أدبي)) [٧١] ولكنْ إذا كانت الرتبة محفوظة صحَّ ان نسميّها رتبة، فما بال الرتبة غير المحفوظة تُسمّى رتبة ؟الجواب :إنَّ الرتبة غير المحفوظة رتبة في نظام اللغة لا في استعمال النظام لأنها في الاستعمال معرّضة للقواعد النحويّة من حيث عود الضمير ،ثم للاختيارات الأسلوبيّة من حيث التقديم والتأخير ،فإن التقديم والتأخير في الرتب(غير المحفوظة) اختيار أسلوبي يتمرّد على القاعدة ويرجع إليها إنْ أحاط الكلام لبس[٧٢] ،فهو ذو ميزة خاصّة ولذلك عدّه الجرجاني(٤٧١هـ)من مزايا النظم الراقي ،قال((فلا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فلا تجد سبباً إنْ راقك ولطف عندك، إنْ قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكانه الى مكان آخر)) [٧٣] ،فهو باب((يشتمل على أسرار دقيقة)) [٧٤] ،وبهذا الفهم يكون التقديم والتأخير بنيّة خاصّة تفيد دلالة معيّنة لا يفيدها ترتيب آخر للعناصر اللغويّة في البنية نفسها[٧٥] ،إذ ينظر في هذا الشأن إلى كمية العدول وكيفيته، وهو عدول يظهر في عوامل نفسيّة تكثّف عملية التخاطب ،منها التشويق والتفاؤل والاختصاص والتعريض وغيرها[٧٦] ،

إن العربية تعتمد الإعراب بوصفها إحدى القرائن المميّزة للمعنى فضلا عن القرائن الاخرى ،ممّا أتاح لها حرية التعبير بأشكال متعدّدة على وفق المعنى والمقام ،فهذه الظاهرة جعلت العربية لغة مرنة ،قابلة لتقلبات كبيرة ،ومتعدّدة بتعدّد معاني الإنسان هذا من جانب، هذه الظاهرة جعلتها لغة دقيقة إلى حد ترفض معه كل تركيب خاطئ فضلا عن دقتها في التفرقة بين المعاني ، بخلاف اللغات الأخرى كالإنكليزية مثلا التي تعتمد التراتب في بناء جملها، ولذلك لا تملك حرية تغيير الرتب النحوية غير المحفوظة فضلا عن المحفوظة، فمثلا يمكن أن نجعل من جملة(جاء زيد إلى الجامعة)عدة جمل هي(زيد جاء إلى الجامعة) و(إلى الجامعة جاء زيد)و(زيد إلى الجامعة جاء)... الخ في حين يلزم الفاعل رتبة واحدة في الجملة الإنكليزية وهي تقدّمه على الفعل فلا يصحّ أن نقول(writes ali)في جملة(Ali writes)،وإنّما جاز التقديم والتأخير في العربية ولم يجز في الإنكليزية؛ لأن العلامة الإعرابية تلاحق المفردة في أي موقع إعرابي تكون فيه دالّة على وظيفته النحوية دلالة واضحة ،وليس هذا في الإنكليزية ،وقد أشار الدكتور محمد خير الحلواني إلى نحو من هذا فقال ((والإعراب بهذه الوظيفة أغنى اللغة العربية عن أن تجعل تركيبها ذا حدود صارمة مقيَّدة لا يمكن تجاوزها والخروج على أعرافها، كما هو الحال في اللغتين الفرنسية والإنجليزية، ومن هنا لم يكن التركيب فيها بحاجة إلى فعل الكون، أو إلى فعل مساعد، كما لم تكن به حاجة إلى تقديم الفاعل وتأخير المفعول تقديماً واجباً، ولا يشترط أن يكون الاسم قبل الفعل المخبر عنه، لأن صرامة التركيب جاءت في اللغتين الفرنسية والإنكليزية تعويضاً عن فقدان الإعراب الذي كان لأمِّهما اللاتينية والجرمانية اللتين تفرَّعتا عنهما)) [٧٧] ،ولا يعني هذا أن نجعل من القرينة الإعرابية هي الأساس في الدلالة على المعنى وانّما يجب الالتزام بمبدأ(تضافر القرائن) [٧٨] ،وهذا يفسّر اتساع قدرة اللغة العربية في التعبير

عن أدنى معاني فكر الإنسان تعبيرا دقيقا ،وهو يفسّر في الوقت نفسه سرّ اختيار القرآن الكريم لها، لأنها استطاعت أن تلبّي رغبات السماء في مخاطبة الإنسان ولذلك أجد في أثر القرآن في حفظ اللغة العربية رأيا مبالغا فيه[٧٩] .

إن قرينة الرتبة علامة دالّة على معنى الباب النحوي كالفاعلية والمفعولية والابتداء ،ولهذا نجد أن قيمتها كمقولة نحويّة ولسانيّة تبدو من خلال حاجة المتكلم والمستمع إلى معرفة ذلك

القانون الذي تسير عليه اللغة ، وإلى إدراكه طريقةَ تعبيرها ،ولو من خلال ما يكنّه من معارف خافية ملكية، إذ قد يوجد من لا يعرف أن هذا متقدم وهذا متأخّر، ولكنك حين تخاطبه على غير النسق اللغوي المقبول، الذي هو ملكته اللغوية، يجد نفسه قادرا على ان يقول لك: إن هذا الكلام غير موافق للنمط اللغوي الصحيح بسبب سوء استعمال النظام ،ومن هنا عدّت قرينة الرتبة ((قرينة نحوية ووسيلة أسلوبية ،أي انها في النحو قرينة على المعنى، وفي الأسلوب مؤشر أسلوبي ووسيلة إبداع وتقليب عبارة واستجلاب معنى أدبي)) [٨٠] ،والمراد بالمعنى أي معنى الباب النحوي((فهي تساعد على رفع اللبس عن المعنى بتحديد موقع الكلمة فيها)) [٨١] ،والمراد بالمؤشر الأسلوبي انتقال النص من النفعية إلى الأدبية بواسطة تحريك العناصر اللغوية التي تحتفظ برتب غير محفوظة كتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم المفعول على الفعل استجابة لدقة المعنى، ولذلك لا يجب البحث عن الترخص في الرتب المحفوظة إذ أنها ثابتة لا تتغير لا في النظام ولا في الاستعمال.

سادسا :الدراسات السابقة.

ينبغي –لأسباب منهجية- عرض الدراسات السابقة التي تناولت ظاهرة الرتبة في الدرس النحوي او البلاغي ،وقد رصدتها على النحو الاتي:

١- القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق (سورة الانعام أنموذجا ،دراسة وصفية احصائية)سليمان بوراس، إشراف أ.د.فرحات عياش لسنة ٢٠٠٨-٢٠٠٩،وتقع في مائة وسبعين ورقة من الحجم الكبير.

٢- القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق (سورة الأنعام أنموذجا ،دراسة وصفية احصائية)سليمان بوراس،إشراف أ.د.فرحات عياش لسنة ٢٠٠٨-٢٠٠٩،وتقع في مائة وسبعين ورقة من الحجم الكبير.

٣- القرائن النحوية اللفظية والاتساق النصي ،سليمان بوراس بإشرف الأستاذ الدكتورعياش فرحات، وهي أطروحة دكتوراه كلية الآداب واللغات-قسم اللغة العربية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية- جامعة الحاج لخضر باتنة، وتقع في مائتين وخمسين صفحة من الحجم الكبير.

٤- قرينة الرتبة في اللغة العربية ،م.م. أمل باقر جبارة، بحث منشور على شبكة الانترنت(٢٠١١م) ويقع في سبع وعشرين صفحة من الحجم الكبير.

٥- أثر القرائن العلائقية في اتساق النّصِّ في نهج البلاغة(خطب الحروب إنموذجاً)،إيناس عبد برّاك بشّان الحدراوي،وهي رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري،عام ٢٠١٥وتقع في مائتين وخمس صفحات من الحجم الكبير ،وتعدّ دراسة استقصائية لظاهرة القرائن العلاقية في اللغة العربية.

القسم الثاني:التطبيقات القرآنية.

تقدّم ان الرتبة نوعان ،رتبة محفوظة ورتبة غير محفوظة، والرتبة المحفوظة رتبة في النظام والاستعمال فلا ترخّص فيها ،ورتبة غير محفوظة

يجوز فيها الترخص لأنها تتغيّر بحسب دقة المعنى وجمال الأسلوب، ولذلك سيتّتبع البحث مختارات من النص القرآني :

أولا: تغيير رتبة الخبر.

إنَّ الأصل المعهود عند أغلب النحاة تقديم المبتدأ أو ما في رتبته على الخبر ؛ لأسباب منها عدّ المبتدأ هو الموصوف والخبر هو وصف له ، وكذلك كون المبتدأ محكوماً عليه والخبر هو الحكم[٨٢] ، ولكن قد يحدث أن يتقدّم الخبر على المبتدأ ؛ لتحقيق فائدة بلاغية أو معنوية ، مع مراعاة سياق الحال والمقال ، ما يولّد أثراً واضحاً في تحقيق الاتساق والانسجام داخل مكوّنات الوحدة النصية ، ومن ثمَّ التأثير البالغ في نفس المتلقي ، وهذا ما يبتغيه المتكلم ، فيرى أحد الباحثين أنَّ العدول يتوافق والنفس الإنسانية ؛ إذْ يقول: «التغيير في الترتيب أمرٌ طبيعي ؛ لأنَّ الكلام يعبّر عن نفس إنسانية تختلج فيها الانفعالات والمشاعر وتخضع لأحاسيس شتى ممّا يضطرها إلى تأكيد أجزاء من الجملة بتقديمها، أو تشويق السامع إلى أجزاء متممّة قطع ذكره لها»[٨٣] . فالتقديم والتأخير يُعد أداة أسلوبية غالباً ما يتكئ عليها المتكلّم بغية إظهار المعاني الدلالية بحسب ترتيبها في نفسه وشدة انتباه المتلقي والتأثير فيه عن طريق تحريك حسّه الفني وعواطفه[٨٤] ، فمن تقديم الخبر وتأخير المبتدأ قوله تعالى((هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ، وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ)) [٨٥]،فالآية(لهم مقامع من حديد))بينة متحوّلة من البنية الأصل(مقامع لهم من حديد)وإذا كان تشويش رتب العناصر اللغويّة-كما تقدّم-يأتي اختياراً أسلوبيّاً فكيف نفسّره ؟أقول :إنَّ جملة الأصل(مقامع لهم من حديد)علاقات الألفاظ فيها ستكون ضعيفة لأن شبه الجملة(من حديد)وهي هنا كاشفة ومبيّنة ستعود في جزء من عائديتها إلى الجار والمجرور(لهم)،في حين أنَّ بنية التحوّل-والتي يسمّيها التوليديون بنية التنفيذ[٨٦] -ستكون شبه الجملة(من حديد)كاشفة-حصراً-للمادة التي تصنع منها تلك المقامع في أنَّها من حديد، وتخصيص دلالة(لهم)عندئذٍ للكافرين فقط((أي لتعذيبهم)) [٨٧] ودلالة التخصيص هذه ستُعَمَّم في بنية الأصل فلا تخصّ الكافرين فقط،فالإختيار الأسلوبي-إذن-في الآية حقّق دلالتين الأولى: تخصيص شبه الجملة (من حديد)للكشف عن مادَّة المقامع، وثانيها تخصيص العذاب بالكافرين فقط وهاتان الدلالتان ستتغيران لو جاءت الصياغة القرآنية ببنية الأصل ،ومن مواضع تقديم الخبر على المبتدأ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) [٨٨] فالبنية المحوّل عنها هي(شركاء فيه متشاكسون) او(متشاكسون فيه شركاء)وإنَّما حوّل النَّص القرآنيّ هذه البنية إلى بنية أخرى طلباً لمعنى دقيق وذلك إنَّ تقديم الظرف(فيه)جعل هذا العبد الذي يعبد آلهة متعدِّدة ظرفاً صالحاً للضياع وفقدان التوازن بعدما تجاذبته الأهواء وفرّقته الاتجاهات وهو المعنى الذي أفرزته الصفة(متشاكون) فإنَّ((النَّكرة وإنْ وصفت يَحْسُن تقديم خبرها)) [٨٩] ودليل ذلك إنَّ(في)-بحسب ما يقول سيبويه(ت١٨٠هـ)-((للوعاء)) [٩٠]والوعاء ظرف للمظروف الماء او أي سائل آخر فهي لا تخرج عن الظرفيّة البتة فكأن هؤلاء الشركاء المتشاكسون أصبحوا متلبسين(مظروفين) بذلك الرجل(الظرف)كلٌّ يدعيه له ويأمره بأمره ،في

حين أنَّ دلالة بنية الأصل(شركاء فيه متشاكسون) او(متشاكسون فيه شركاء)لا تعطي هذا المعنى الدقيق ،ففي الجملة الأولى المفترضة يكون المثل المضروب هم(الشركاء)لا العبد، وفي الثانية يكون المثل المضروب هم(المتشاكسون)لا العبد ايضاً، ولذلك ينبغي ألاّ نفسِّر كل تقديم وتأخير لشرف المقدَّم أو مكانته أو أهميته فهناك دواعٍ أخرى تتعلّق في أنَّ اختيار البُنى الأسلوبيّة يأتي لضرورات المعنى من دقّة الفروق او ملاءمة الموقف ،وقيل إن(فيه) صلة(شركاء)وهو مبتدأ خبره(متشاكسون) [٩١] ،والراجح أن((فيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه في الأصل كذلك ممّا لاحاجة إليه)) [٩٢]

ثانيا: حفظ رتبة الخبر وجوبا.

تقدّم أن رتبة الخبر نوعان ؛رتبة يجوز تشويشها وأخرى يجب حفظها ،فالتي يجوز تشويشها إذا كان الخبر شبه جملة(جار ومجرور أو ظرف) نحو(زيد في الدار)فيجوز أن تقول(زيد في الدار وفي الدار زيد)،والتي يجب حفظها إذا كان طرفا الاسناد معرفتين أو نكرتين وليس معهما قرينة تبيّن المخبر عنه من المخبر به [٩٣] ولعل التزام الرتبة هذا يفرضه عليه جانب المعنى، إذ إنه لم يحافظا على ذلك حدث اللبس واختلّ سياق التواصل الذي هو هدف اللغات الإنسانية ،فاذا كان الخبر معرفة كالمبتدأ لم يجز تقديم الخبر لأنه ممّا يشكل ويلبس ،إذ كان كل واحد منهما يجوز ان يكون خبرا ومخبرا[٩٤] ،ففي قولنا: محمد أخي ،ليس يدري المخاطب أأنت تخبر أن محمدا هو اخوك وشقيقك أم انك تريد أن تقول :إن محمدا هذا هو الاخ الحقيقي، فإذا لم تكن هناك رتبة تدّلنا على المعنى وتشير إلى أن المخبر عنه هو محمد، وأن الخبر هو الوصف بالأخوة ،وهذا يلبسه يرفضه العرف اللغوي ويأباه ولذلك كانت الرتبة في هذا التركيب واجبة الالتزام ولولا ذلك لكان الخلط وحدث اللبس[٩٥] ،ومن ذلك قوله تعالى((الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)) [٩٦] ،وسبب حفظ الرتبة كون الخبر كالمبتدأ معرفة في جملتي(الذين اهتدوا ...أولئك وهم مهتدون)) فالمبتدأ (الذين) جاء خبره بعده محافظا على الرتبة بينهما وتمثّل في لفظ (أولئك)، أمّا في الجملة الثانية فقد جاء الخبر متمثّلا في لفظ (مهتدون) و جاء محافظا على رتبة التأخر عن مبتدئه لفظ)هم)، وبه فقد حافظ المبتدأ على رتبة التقدم ، و رعى الرتبة بينه وبين الخبر.

ثالثا:تغيير رتبة الفاعل.

يجيز الكوفيون تقديم الفاعل و تأخيره، ولا يجيز البصريون ذلك فالاسم -عندهم- الواقع في الابتداء يعرب مبتدأ ومابعده من جملة فعلية في محلّ خبر، والمهم ان هناك تحوّلا يصيب الجملة عندما تتغير رتبة الفاعل ،كما في قوله تعالى((اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ)) [٩٧] ،وهي جملة اسمية محوّلة عن جملة فعلية أصلها((يبسط الله الرزق))، ولكن ما الفرق بين التعبيرين؟ والجواب أن المعنى في الجملة القرآنية المختارة تركّز على (المُحدِث)وهو الفاعل وليس على الحدث ،لأن الفاعل لا يتحوّل إلى مبتدأ عندما يتقدّم بل يعطي وظيفة أخرى لإثراء المعنى في الموقع المتقدّم على المسند فهو يعبّر عن الاهتمام بالمتقدم أو تأكيده او كون المسند مختصّا به او مقصورا عليه[٩٨] ،وهي المعاني التي لا تتحقّق في الجملة الفعلية الأصلية، لأن التقديم هو تبادل المواقع ،فتترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحلّ محلها كلمة أخرى ،فتؤدي غرضا

بلاغيا ماكانت لتؤديه لو أنها بقيت في محلّها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي[٩٩] .

رابعا:عكس الرتبة وجوبا.

تقدّم[١٠٠] ،إنه يجب عكس الرتبة غير المحفوظة لتصبح رتبة محفوظة في موضعين أولهما ؛إذا خيف اللبس وثانيهما؛ اذا فقد المعنى الدقيق ،وهي إشارة تكشف عن أن إمكانات القول وتغيرات التركيب أكبر من أن تحيط بها قاعدة نحوية تصيّر من القول أعرافا جامدة، ومن شواهد حفظ الرتبة غير المحفوظة تقديم المفعول به وجوبا إذا كان ضميرا منفصلا كقوله تعالى ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) [١٠١] ،كي تختص الاستعانة به لوحده سبحانه وتعالى من دون غيره وهو المعنى الذي لا يتحقّق فيما لو قدّم المفعول فقلنا(نعبدك ونستعينك) إذ يحتمل عبادة الله وعبادة غيره، جاء في البحر المديد (({إياك } مفعول { نستعين } وقدّم أيضاً للاختصاص والاهتمام ، كما تقدم في { إياك نعبد } وكرّر الضمير ولم يقل : إياك نعبد ونستعين؛ لأن إظهارَه أبلغ في إظهار الاعتماد على الله ، وأقطعُ في إحضار التعلّق بالله والإقبال على الله وأمدحُ ، ألا ترى أن قولك : بك أنتصر وبك أحتمي وبك أنال مطالبي - أبلغ وأمدح من قولك : بك أنتصر وأحتمي)) [١٠٢] ،ومن ذلك قوله تعالى((هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ)) [١٠٣] ،ومحلّ الشاهد هنا تقديم المفعول(نفسا)على الفاعل(إيمانها) وجوبا ((لأن الفاعل لو تقدّم لعاد الضمير الذي فيه على متأخر لفظ ورتبة ،والحقّ أن الفاعل في هذه الآية وضع في موضع لا يمكن له معه تقديم أو تأخير مع فصل بين المفعول به وصفته ،إمّا عدم إمكان التقديم فلما مرّ من عود الضمير على متأخر ،وإما التأخير مع الفصل الذي يأتي الفاعل بحسبه بعد انقضاء صفة المفعول به(نفسا)فانه سيجعل الفاصل بين الفعل (ينفع)وفاعلها(إيمانها)من الطول بحيث تضعف العلاقة الاسنادية والسياقية بين الفعل والفاعل ،تأمّل ما يؤول إليه التركيب عندئذ إذ يكون على الآتية((يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا إيمانها))وهكذا يضعف ارتباط فعل القول بفاعله ،ومن ثم يمكن القول إنه لا يمكن أن يتغير ترتيب الكلام في هذه الآية على الرغم ما فيها من الفصل بين الموصوف وصفته- وما أحسنه وما أوجبه!)) [١٠٤] ،فاصبح تقديم رتبة المفعول هنا ضرورة ترتبط بصحّة الكلام وجمال الأسلوب الذين سيفقدان فيما لو تقدّم الفاعل مفعوله، ومثل ماتقدّم تقديم المفعول لأجله أولا ثم المفعول به الموصوف بشبه الجملة ثم الفعل وفاعله في قوله تعالى((أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ)) [١٠٥] ،وكان بحسب القاعدة التعليمية أن يقول (أتريدون آلهة دون الله إفكا)،ولو قال هكذا((لانطفأ كل ما في الكلام من حرارة الإنكار ولبدئ الكلام وكأنه سؤال لهم عمّا يفضلونه من أنواع الشرك)) [١٠٦] ،في حين أنّ التركيب القرآني اختار ((أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ)) ليدلّ على أن الآلهة من دون الله (إفكا) وهي توضيح وبيان لما بعدها قال الزمخشري ((فسر الإفك بقوله : { آلِهَةً } مّنَ { دُونِ الله } على أنها إفك في أنفسها . ويجوز أن يكون حالاً ، بمعنى : أتريدون آلهة من دون الله آفكين)) [١٠٧] ،ومن ذلك تقديم الخبر إذا كان شبه جملة وفي المبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر كقوله تعالى((أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ على قُلُوبٍ

أَقْفَالُهَا)) [١٠٨] وهي من المواضع التي يجب فيها عكس رتبة الخبر ليصبح تقديم الخبر رتبة محفوظة ولا يجوز تشويشها لئلاّ يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، والشاهد القرآني هو نفس الشاهد النحوي ((في الدار صاحبها)) فلو لم تحفظ الرتبة وقدّم الخبر فقلنا((صاحبها في الدار))لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة وهو ممّا لا يجوز ولاختلاف المعنى عن الجملة الاولى[١٠٩] .

دواعي الترخّص.

أ- فالأسباب اللغوية :

١- العناية والاهتمام: ومن أوائل من أشار لهذا المقصد (سيبويه) في كتابه كما سبقت الإشارة إلى ذلك ،يقول:« إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم »[١١٠] ، ولا يقف (الجرجاني) عند هذا الحدِّ إنَّما يذكر دلالة أعمق من ذلك لتعلّق تفسيره بالبنية العميقة للنّصِّ ، إذْ يقول :«إنَّ معنى ذلك أنَّه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ، ولا يبالون من أوقعه، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيبعث و يفسد ، ويكثر به الأذى... فإذا قتل وأراد الإخبار بذلك ، فإنّه يُقدم الخارجي ، فيقول: (قتل الخارجي زيدٌ ولا يقول: زيدٌ قتل الخارجي لأنّه يعلم أنّه ليس للناس أن يعلموا القاتل له زيد جدوى وفائدة»[١١١] ، فتغيير الترتيب هنا جاء لمراعاة حال المتلقي ، وهذا ما يتضح من قوله أعلاه.

٢- الاختصاص: وهو أن يختصّ حدث أو ظرف أو حال لشخصٍ محدّد ونفيه عن غيره ، يقول (الجرجاني) :«وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنصّ فيه على واحد فتجعله له ، وتزعم أنّه فاعله، دون واحد آخر أو دون كلّ أحد»[١١٢]، نحو قوله تعالى:(إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) ، [الشورى:٥٣] ، فصيرورة الأمور خاصة بالله تعالى دون غيره.

٣- إفادة العموم: وعادة ما يكون بتقديم أدوات العموم كـ»جميع وكلّ» وهذا مختصّ بأسلوب النفي ، كتقديم أداة العموم على أداة النفي ، نحو قولك:» كلُّ إنسان لم يقم» نفيت القيام عن كلِّ واحد من الناس، بعكس لو قدّمت أداة النفي على أداة العموم نحو قولك:» لم يقم كلُّ إنسان» لم يشمل النفي جميع الناس[١١٣] .

٤- تقوية الحكم: يفيد التقديم أحياناً تقوية الحكم ، وذلك عند تقديم المسند إليه ، نحو قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ) [المؤمنون:٥٩] ، فقد ذكر الضمير «هم» ثم كرّره من خلال الفاعل في الفعل «يشركون» ، فيفيد التأكيد في نفي الإشراك عنهم ، وإذا قال: «والذين لا يشركون بربهم أو: بربهم لا يشركون ، لم يفد ذلك»[١١٤] .

ب- الأسباب النفسية:

غالباً ما ينتج التغيير في الترتيب السياقي من مكوّن نفسي فـ«مجرد تغيير موضع الكلمة عن المعتاد يُشير إلى غرض ما في نفس المتكلّم فيستطيع أن يُعبّر عن الأفكار المهمة بوضعها في المقدمة سواء أكان الأهم فعلا أم فاعلا أم مفعولا أم ظرفا»[١١٥] ، وهذا ناتج عن طبيعة التجربة الشعورية ومدى تعلّقها بالأبعاد النفسية ؛ إذ تثير انفعالا مبايناً للانفعال الذي يريده المتكلّم في نفس المتلقي ، ومن ثمَّ إيصال المعنى المراد إليه ؛ لغرض إثارته ومن ثم استمرار تواصله[١١٦] ، ومن المعاني النفسية التي يُعبّر عنها: هي « الشّكُّ ، التشوق ، التلذّذ ، الدهشة ، وغيرها».

غالباً ما تتعالق قرينة الرتبة مع القرائن الأُخر ؛ لتحديد المعنى النّصي ، ولاسيما القرائن اللفظية ، وفي مقدمتها قرينة التضام ؛ لكون الترتيب مفتقراً

للتضام ، ومن ثم يكون تابعاً له ، وعليه فالرتبة «فرع على التضامّ بمعناه العام، إذْ لا رتبة لغير متضامّين »[١١٧] ، فهي علاقة نحوية بين جزئين مرتبّين من أجزاء السياق تخضع لمطالب أمن اللبس ، فيدلّ موقع كل منهما من الآخر على معناه الوظيفي أو الباب النحوي الذي ينتمي إليه[١١٨] ؛ إذ يكون أحدهما مفتقراً إلى الآخر نحو (الصلة و الموصول ، أو الصفة والموصوف وغيرها) ؛ فلا يجوز تقديم الصلة على الاسم الموصول ، أو تقديم الاسم المجرور على حرف الجر ، وقد قرّر النحاة منع تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف الجر ، فلم يجيزوا قول القائل «مررتُ واقفا برجلٍ» . ويرى (الرضي) إن كان صاحب الحال مجروراً فإنّ الجرَّ معه بالإضافة إليه لم يتقدّم الحال عليه اتفاقا سواء كانت الإضافة محضة أو لا ، لأنَّ الحالَ تابعٌ وفرعٌ لذي الحال ، ومثله المضاف إليه لا يتقدّم على المضاف ، فلا يتقدم تابعه أيضاً[١١٩] ، ما يعني مدى تعالقهما في أداء المعنى ، إذ يتوقف أداء المعنى المراد على الترتيب والتضام .

النـتائج

يمكن ادراج أهم النتائج التي توصّل إليها البحث على النحو الآتي:

١- إن الرتبة قرينة لفظية وعلاقة بين جزئين من أجزاء السياق يدلّ موقع كل منهما من الآخر على معناه.

٢- تؤلف هذه القرينة أحد دعائم النظام اللغوي الدقيق، ولذلك يؤدي خرقها إلى اللبس الذي عدّ آفة البيان، ومن هنا قسّمها النحاة على قرينة محفوظة وأخرى غير محفوظة لتحديد مساحة الحركة الجائزة للعنصر اللغوي.

٣- الترخّص ظاهرة لغوية تمثّل تطبيقا محترفا وعاليا لنظام اللغة وأعرافها، وإنها ليس خروجا على النظام ،بل هناك ضوابط لابدّ من توفّرها تتمثّل بضرورة توفّر قرينة لغوية (لفظية او معنوية)تقوم مقام القرينة التي أهدرت،وإلاّ نسب الكلام إلى الخطأ،ذلك أن اللغة-بوصفها نظاما- تتكون من مجموعة انظمة جزئية تؤلف بمجملها وحدة النظام الكلي وتعّدد القرائن في الجملة الواحدة من أجلى مظاهر ذلك النظام ولهذا جرت عادة بعض علماء اللغة أن يشبّهوا هذا النظام بنظام أجهزة الجسم الإنساني ،كل جهاز في الجسم الإنساني،وكل عضو يعمل من اجل الحياة، وكذلك الأنظمة اللغوية تعمل من أجل الفهم والافهام، وأعضاء الجسم الإنساني خلقت لكي يعمل كل منها عند الحاجة إليه، وقد يؤدي الإنسان عملا من الأعمال ببعض أعضائه التي أعدّت وخلقت لمثل هذا العمل ،وهو بالطبع لا يستعمل الأعضاء الاخرى غير المهيأة لهذا العمل، ولا يعني هذا أن الإنسان يستغني عن العضو الذي يشارك في كل عمل فيسمح ببتره مثلا، وكذا القرائن اللغوية، ولكل منها مكان لا يسدّ اختلاله مكان قرينة اخرى في الجملة، وقد تجتمع في جملة مجموعة منها من دون بعضها، وليس من اللازم أن تجتمع كل القرائن بلا استثناء في كل جملة من الجمل، ولا يعني هذا أنه يجوز لنا أن نلغي قرينة من القرائن عندما يكون نصيبها في بيان المعنى النحوي ضئيلا، وما دام الأمر يتطلب أن تحتوي الجملة أكثر من قرينة فهي لذلك تتطلب كفاءة لغوية وقدرة في استعمال النظام استعمالا جيدا، ولهذا لم نجدها إلاّ في النصوص اللغوية العالية كالنص القرآني وانعدم أو قلّ مجيئها في النصوص البشرية،

ولذلك يمكن أن نجد لكثير ممّا أطلق عليه النحاة بـ (الشاذ والغريب والخطأ... الخ) تفسيرا على وفق ظاهرة الترخص.

٤- إن الترخّص في قرينة الرتبة ظاهرة لغوية لتقديم المعنى الدقيق ولا يكون الترخص الاّ في الرتب غير المحفوظة ولا ترخّص في الرتب المحفوظة ولذلك عدّت الأخيرة رتبة في النظام و الاستعمال والأولى رتبة في النظام فقط.

٥- إذا كانت بعض الأبواب النحوية يجوز تشويش رتبتها تقديما وتأخيرا ، فإن هذه الأبواب نفسها تحفظ رتبتها وجوبا وتشويشها يعدّ خطأ كما لو كان المبتدأ والخبر معرفتين نحو محمد أخي، أو أن الخبر شبه جملة وفيه ضمير يعود على بعض المبتدأ نحو في الدار صاحبها، فهي ممّا يستثنى من القاعدة فيجب حفظها.

٦- إن الترخّص في رتبة بعض الأبواب النحوية لا يعدّ عبثا في النظام اللغوي أو الاستعمال انّما يكون طلبا لمعنى دقيق لا يؤديه فيما لو أنشئ الكلام على معيارية القاعدة.

٧- لم تكن نظرية الرتبة غائبة عن وعي القدماء ،فقد عرض البحث جملة من أقول النحاة كسيبويه وابن السراج وابن جني والجرجاني ممّا يشير إلى رصدهم لهذه الظاهرة ولكن لم يكن رصدا منهجيا يستطيع أن يحلّ كثيرا من مشاكل فن القول ولذلك كثرت التأويلات وتعدّدت بسبب اعتمادهم قرينة واحدة وهي قرينة الإعراب.

٨- أن ترخّص النص القرآني في بعض الأبواب المعنى جاء حفاظا على تقديم دقيق للمعنى، ولو لم يترخّص في القاعدة لضاع المعنى ودقته.

٩- كشف البحث عن دواعي الترخّص في قرينة الرتبة، فقد يُترخص لأسباب لغوية أو نحوية عرضها الحث في بابها.

الهوامش

١- المراد بالأعراف اللغوية مجموعة القواعد التي تمثل نظام اللغة وان الخروج عنها يمثّل خطا.

٢- النظّام استاذ للجاحظ وهما معتزليان قالا بالصرفة في اعجاز القرآن الكريم.

٣- لا ضرورة لبيان(نظرية النظم)هنا فقد افاضت كتب البلاغة والأسلوب ببيانها وألفت بذلك كتب كثيرة،ولكن اودّ القول إن جملة معاني النحو التي وردت في نصّ عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ))((ليس النظمُ شيئاً غيرَ توخّي معاني النحو وأحكامِه فيما بينَ الكلمِ))دلائل الاعجاز:١للجرجاني:٢٩٣\١،أراد بها بالفرق بين جهات الاسناد في الجمل المتشابهة.

٤- دلائل الاعجاز:١\٣٤٣.

٥- ظ: الترخص في لغة القرآن الكريم-دراسة في المفهوم-م.د.شكيب غازي بصري الحلفي، مجلة مركز دراسات الكوفة العدد ٣٦لسنة ٢٠١٥.

٦- العلامة الإعرابية في الجملة :د .محمد حماسة عبد اللطيف:٣٣٩.

٧- مقالات في اللغة والأدب :د.تمام حسان:١٩٥\٢.

٨- م.ن:١٩٦\٢

٩-.م.ن.

١٠- العين:الفراهيدي:رتب،وظ:لسان العرب:ابن منظور:رتب.

١١- ظ:تاج العروس:للزبيدي:رتب.

١٢- ظ:لسان العرب :رتب.

١٣- ظ:العين:رتب.

١٤- القرائن اللغوية نوعان:

النوع الاول:القرائن المعنوية وهي خمس قرائن كالاتي:

١- الاسناد:ويكون بين جهتي الاسناد المسند والمسند اليه،كالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل ومايقوم مقامهما.

٢- التخصيص:وهي علاقة سياقية كبرى،وتتفرع عنها قرائن اخرى فرعية وهي((التعدية،الغائية،المعية،الظرفية،الحديد والتوكيد،الملابسة،التفسير،الاخراج،المخالفة)).

٣- النسبة:والمراد بها الاضافة في النحو القديم.

٤- التبعية:ويندرج تحتها اربع قرائن هي((النعت والعطف والتوكيد والابدال)).

٥- المخالفة.

النوع الثاني:القرائن اللفظية وعددها ثمان قرائن هي:

١- العلامة الاعرابية:وهي من أكثر القرائن أهمية واعتمادا في الدرس النحوي القديم وعليها أقيم النحو كله.

٢- الرتبة:وهي نوعان رتبة محفوظة واخرى غير محفوظة.

٣- الصيغة:وهي صيغة تهتم ببيان المعاني الصرفية للأبواب النحوية.

٤- المطابقة:ومسرحها الصيغ الصرفية والضمائر،فلا مطابقة في الأدوات ولا في الظروف.

٥- الربط:وتقوم بوظيفة الربط بين عنصري الجملة اللغوية الواحدة.

٦- التضام:وهي قرينة تكشف عن طرق الرصف اللغوي الممكنة.

٧- الاداة:وهي قرينة تستعمل للتعليق بين اجزاء الكلم كحروف الجر والاستفهام.

٨- النغمة:وهو الاطار الصوتي الذي تقال فيه الجملة في السياق.

١٥- كشاف اصطلاحات الفنون:للتهانوي:٥٧٥.

١٦- وهي:

• القرينة اللفظية،كقوله تعالى((اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى))المائدة:٨،اي العدل أقرب للتقوى.

• القرينة العقلية،كقوله تعالى((وأ شربوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ))البقرة:٩٣،اي حب العجل لان العجل لا يشرب.

• القرينة الحالية،كقوله تعالى((وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ))الكهف:١٦.

• قرينة السياق والمقام،ويعد من أكثر القرائن قدرة في تحديد المعنى المراد.

١٧- نظرية النحو العربي:نهاد موسى:٣٤،وظ:قرينة الرتبة في اللغة العربية:م.م.امل باقر جبارة.

١٨- ظ:اثر القرائن العلائقية في اتساق النص في نهج البلاغة(خطب الحروب انموذجا)رسالة ماجستير: إيناس برّاك بشّان الحدراوي:٨٦.

١٩- أقسام الكلام العربي: فاضل مصطفى الساقي :١٤٦.

٢٠- لغة الشعراء دراسة في الضرورة الشعرية: محمد حماسة عبد اللطيف:٢٨٥.

٢١- ظ: م .ن:٢٨٥

٢٢- البنى النحوية، نوم جومسكي، ترجمة يؤيل يوسف عزيز:٧.

٢٣- ظ: من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس:٢٩٥، و : المعنى وظلال المعنى: محمد محمد يونس علي:٣٣١ .

٢٤- ظ: ، الظواهر اللغوية :علي أبو مكارم:٢٣٣.

٢٥- ظ:اثر القرائن العلاقية في اتساق النص في نهج البلاغة(خطب الحروب انموذجا):٨٨.

٢٦- ظ: ، الجملة العربية تأليفها : وأقسامها فاضل السامرائي:٣٦.

٢٧- اثر القرائن العلاقية في اتساق النص في نهج البلاغة(خطب الحروب انموذجا):٨٨.

٢٨- ظ: القرينة في اللغة العربية :كوليزار كاكل عزيز :٩٩.

٢٩- الجوانب النفسية في اللغة د. سلطانة الجابر ، شبكة المعلومات العالمية (الأنترنيت)،منتدى التعليمي.

٣٠- اللغة :فندريس:١٨٧.

٣١- لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية:٢٨٥.

٣٢- ظ : اللغة العربية معناها ومبناها :٢٠٨،٢٠٩.

٣٣- الكتاب :٣٤/١.

٣٤- أثر القرائن العلاقية في اتساق النص في نهج البلاغة(خطب الحروب انموذجا):٨٨.

٣٥- ظ: ،الأصول: ابن السراج :٢٢٢/٢، و: ،الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس:٢٤٤.

٣٦- ظ : الأصول :٢٩٤/٢، و الإنصاف في مسائل الخلاف : ابن الأنباري: ٢٣٦/١.

٣٧- الأصول :٢٣٨/٢.

٣٨- شرح كتاب سيبويه السيرافي، ١٠١/٣.

٣٩- الخصائص: ابن جني : ٢٩٣/١.

٤٠- ظ : شرح ابن عقيل :ابن عقيل ،:٢٤٠/١.

٤١- اللغة العربية معناها ومبناها:٧٤.

٤٢- دلائل الإعجاز:٣٥٩.

٤٣- ظ : رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي ،:٤١١.

٤٤- دلائل الإعجاز:٣٣٧.

٤٥- ظ : ،القرينة في اللغة العربية:١٠٣.

٤٦- نحو قوله تعالى : (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(٦٤)) ،[النمل:٦٠-٦٤]

، فقد جاء الترتيب النّصّي في الآيات السابقة مراعياً بعدين من أبعاد الترتيب الأول: زمن وجود كلّ عنصر مذكور في الآيات فبدأ بذكر السموات فالأرض مهدتْ فيه للأرض ما جرى عليها وتشكّل ،ثم أعقب ذلك بزمن وجود الإنسان و استخلافه. والثاني: حجم العناصر في الوجود ، فبدأ بالكليات ثم أخذتْ مساحة هذه الموجودات تصغر شيئاً فشيئاً ،ممّا يؤكد على الترتيب الدقيق لعناصر التكوين ، ظ : د. أمير فاضل سعد ، الترتيب والتتابع

:٧٩،٧٨، وعليه فقيد الترتيب عند البلاغيين يأتي على وفق هذه الضوابط والأسس المنسجمة وسياق المعنى وهذا متعلق بالعمق الدلالي للترتيب.

٤٧- ظ : العربية معناها ومبناها :٢٠٧، وأقسام الكلام العربي :١٤٦.

٤٨- ، البيان في روائع القرآن: تمام حسان:٩١.

٤٩- أقسام الكلام العربي: ١٤٦.

٥٠- ظ:الاصول :٢٢٣\٢-٢٤٦.

٥١- ظ:العلامة الإعربية:٣١٤.

٥٢- ظ : م . ن :٣١٤.

٥٣- ظ:اثر القرائن العلاقية في اتساق النص في نهج البلاغة:٩٢.

٥٤- م.ن.

٥٥- ظ : الخلاصة النحوية :تمام حسان :٨٦.

٥٦- ظ:اثر القرائن العلاقية في اتساق النص في نهج البلاغة:٩٢.

٥٧- ظ : ، دور الرتبة في الظاهرة النحوية: عزام محمد ذيب إشريده: ١٠٨، وعليه فالعدول في الرتبة غير المحفوظة يخضع لاعتبارات بلاغية ومعنوية بخلاف الرتبة المحفوظة فلا نجد فيها البلاغة ؛ لكونها خاضعة للقاعدة الأصلية والقيود في النحو العربي ، ما جعلها تفتقر إلى التعليل، يؤكد ذلك « تمام حسان» بقوله: « لا يتناول التقديم والتأخير البلاغي ما يُسمى في النحو باسم الرتبة المحفوظة ؛ لأنَّ هذه الرتبة المحفوظة لو اختلت لاختل التركيب باختلالها» ، تمام حسّان ، اللغة العربية معناها ومبناها :٢٠٧؛ لذا حاول البحث الابتعاد عنها لأنَّها أصلٌ والأصل لا يُعلل ، فالتعليل دائماً يكون رفيق الانزياح ؛ واقتصر البحث على «الرتبة غير المحفوظة «لما لها من فوائد وأسباب أسلوبية ومعنوية .

٥٨- ظ :اللغة العربية معناها ومبناها :٢٠٧، و: أقسام الكلام العربي :١٤٧.

٥٩- وهذا النوع يتعلق بتعدد العناصر التي تقع في الباب النحوي الواحد ، كتعدد الخبر، والنعت ، والحال ، والمتعاطفات ، فتكون مختلفة إفراداً وتركيباً «مفرد ، شبه جملة ، جملة» ، ويُعرّف (تمّام حسّان) هذه الأشباه بقوله: «أفراد كلّ طائفة من الطوائف حين تتوالى فتثور قضية ترتيبها ، والنظر إلى أيِّها أولى بالتقديم من سواه» ، فاتخذ الصورة الآتية في ترتيبها على خط أفقي: «الكلمة المفردة+ المركب العددي أو الإضافي+ شبه الجملة +الجملة التامّة» ، مراعياً في ذلك الترتيب أمن اللبس مع تحقيق الفائدة، نحو قوله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) [غافر:٢٨] ، فقد جاءت صفات الرجل مترتبة بحسب الطول والقصر مبتدأً في ذلك من الإفراد «مُؤْمِنٌ» ، فشبه الجملة «مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ» ، فالجملة التامة «يَكْتُمُ إِيمَانَهُ»، وقد سبقه القدماء في بيان هذا اللون من الترتيب ؛ إذْ يُقدمون النعت المفرد ويوسطون الظرف أو شبهه ، ويؤخرون الجملة، وهذا (ابن جني) يُقدّم في ترتيبه البنيوي للكلمات الواحد على الجمع معللاً ذلك بقوله: «إنَّ الواحد أقدم في الرتبة من الجمع وإنَّ الجمع فرع على الواحد».

ولا يقتصر الأمر على الترتيب الموقعي للعناصر اللغوية ، وإنَّما يتعداه للترتيب الزماني ، فترتيب الأفعال زمانياً يكون بحسب نوع الفعل ، فيقدّم العلماء فعل المستقبل على غيره يُعلل ذلك (الزجاجي) بقوله: «أعلم أنَّ أسبق الأفعال في التقديم الفعل المستقبل ؛ لأنَّ الشيء لم يكن ثم كان والعدم سابق للوجود ، فهو في التقديم منتظر ثم يصيّر في الحال (ثمَّ) ماضيا ، فيخبر عنه بالمضي ، فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل ثم فعل الحال ثم فعل الماضي»وهذا الترتيب يفرضه ترتيب الأحداث التي ستقع وبعد وقوعها يصبح ترتيبها ماضوياً ، ما يؤدي إلى تحقيق الفهم و الإفهام ، ومن ثمَّ تعيين معنى الفاعلية ؛ لأنَّه بعد الفعل بحسب الرتبة.

ويشمل هذا الترتيب للعناصر اللغوية ترتيب الضمائر ولاسيما المتصلة منها ، فغالباً ما يُقدم العلماء ضمير المتكلّم على المخاطب ومن ثمَّ الغائب إن اجتمعن ، يقول (ابن مالك):

وقدّم الأخصَّ في اتصال وقدِّمنْ ما شئت في انفصال

فهذا الترتيب المختص بضمائر الاتصال ناتج عن علاقتها بمراجعها ، ومن ثمَّ أنَّ تلازمها مع مرجعها يُعطي البنية التركيبية تمييزاً ، ولاسيما في تعيين المعنى وتقريره

٦٠- ظ:اوضح المسالك:ابن هشام:١٤٦\١.

٦١- ظ:الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل للبطليوسي:١٥١.

٦٢- القمر:٧.

٦٣- ظ:مغني اللبيب:ابن هشام:٢٦٤\٢،والاصول:٢٩٢\٢.

٦٤- ظ:شرح ابن عقيل:٢٧٠\٢.

٦٥- البيان في روائع القران:٢٣٣\١.

٦٦- ظ:شرح ابن عقيل:٢٣٩\١.

٦٧- اللغة العربية معناها ومبناها:٢٠٧.

٦٨- م.ن.

٦٩- اضافة الى ما ذكر،فمن الرتب المحفوظة تقديم الموصوف على الصفة وتأخير البيان عن المبين والمعطوف بالنسق على المعطوف عن المعطوف عليه والتوكيد عن المؤكد والبدل عن المبدل والتمييز عن الفعل ونحوه وصدارة الادوات في أساليب الشرط والاستفهام والعرض والتحضيض ونحوها.

٧٠- ظ:اللغة:فندريس،تعريب عبد المجيد الدواخلي ومحمّد القصاص:١٨٧.

٧١- البيان في روائع القرآن:١١ ٦٧،٦٨.

٧٢- م.ن.

٧٣- دلائل الإعجاز:١٠٦.

٧٤- دلائل:١٠٦.

٧٥- المثل السائر: لأبن الاثير:٢١٦\٢.

٧٦- ظ:مفتاح العلوم للسكاكي :٢٩١،٣٣٧،٣٤٠،٣٤٢،والبرهان في علوم القرآن للزركشي:١٥١\٣.

٧٧- مجلة الفيصل:العدد:٣٧.

٧٨- مبدأ تضافر القرائن تفسير لغوي قال به الدكتور تمام حسان في اغلب كتبه اللغوية وينص على:ان المعنى النحوي او معنى الجملة لا يمكن تحديده من خلال قرينة واحدة كالقرينة الاعرابية مثلا لان هذه الاخيرة قد تغيب عن الجملة وبالتالي يجب البحث عن قرائن اخرى في النص تقوم تحديد المعنى المراد حتى وان غابت القرينة الاعرابية وهو تفسير يجعلنا نتخلص من كثير من المقولات النحوية التي اثقلت النحو وافقدته قمته كالقول بالشذوذ والتأويل ...الخ فضلا عن اسهام هذه النظرية في الغاء نظرية العامل فيكون هذا المبدا من مظاهر التجديد في الدرس النحوي،يقول الدكتور تمام حسان((((ان العلامة الاعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بدون ما اسلفت القول فيه تحت اسم (تضافر القرائن)وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية وبهذا يتضح ان (العامل النحوي)وكل ما أثير حوله من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة أدى اليها النظر السطحي والخضوع لتقليد السلف والأخذ باقوالهم على علاتها)) اللغة العربية معناها ومبناها:٢٠٧.

٧٩- اجد مقولة ان النص القرآني استطاع ان يثري اللغة العربية ثراء كبيرا من حيث النظام قولا مبالغا فيه،-وهذا لا يعد طعنا بأقدس نص نزل من السماء- بقدر ما هو تحديد لأصل الموضوع في ان اللغة العربية من الرصيد المعجمي الكثير، ولم يضف إليها القرآن الكريم مفردة واحدة غير ما موجود في المعجم،وان هذه الدقة التعبيرية التي نلمس آثارها في إعجاز القران انما هو دليل على مرونة اللغة ودقتها في التعبير عن ادق تفاصيل المعنى،إلا اذا كان المقصود بهذا الثراء استعمال اوسع النطاق لنظام اللغة العربية ،فهو رأي اتفق معه، لأن النص القرآني ولأنه نص مطلق من متكلم مطلق استعمل النظام اللغوي بأوسع مجال له وفي استعمال نسبة مئوية قليلة من رصيد المعجم العربي، لأن الاعجاز يصبح ذا قيمة اكبر اذا حسبنا نسبة ما استعمله القران الى نسبة الرصيد المعجمي كله.

٨٠- البيان في روائع القرآن:د.تمام حسان:٦٧\١.

٨١- الضرورة الشعرية في النحو العربي:٤١٤.

٨٢- لقد طُرحت أسباب وأوصاف تُبرر حفظ رتبة المبتدأ بتقدمه على الخبر ،منها ما عدّ بأنّ المبتدأ هو المحكوم والخبر هو الحكم ،ومن ثم فلابد أن يسبق الحكم وجود المحكوم ، هذا ما أكده (الرضي) بقوله : «إنّما كان أصل المبتدأ التقديم لأنّه محكوم عليه ولابد من وجوده قبل الحكم ، فقصد في اللفظ أيضاً أن يكون ذكره قبل ذكر الحكم عليه»، شرح الرضي على الكافية :٢٢٩/١، وكذلك ما قيل بأنّ الخبر هو وصف للمبتدأ من ناحية المعنى ،ومن ثم فلابد من تأخر الوصف عن الموصوف ،يقول (ابن عقيل) بهذا الشأن :«الأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر ؛ لأنّ الخبر وصف في المعنى للمبتدأ فاستحق التأخير كالوصف» ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك :٢٢٧/١.

٨٣- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: سناء حميد البياتي: ٣٨٨.

٨٤- ظ: ، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: سناء حميد البياتي: ٣٨٨، و: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: ١٤٣.

٨٥- الحج:٢١.

٨٦- المراد ببنية التنفيذ:البينة السطحيّة.

٨٧- تفسير ابي السعود:٤٥٩\٤.

٨٨- الزمر:٢٩.

٨٩- تفسير ابي السعود:٧\١٦وظ:روح المعاني للالوسي :٤٦٣\١٧،.

٩٠- الكتاب:٣٤٨\٤.

٩١- روح المعاني:٤٦٣\١٧.

٩٢- تفسير ابي السعود:٧\١٦.

٩٣- ظ:شرح الفية ابن مالك:ابن الناظم:٤٥.

٩٤- الأشباه والنظائر للسيوطي ٦٤\٢.

٩٥- ظ:القرائن العلائقية واثرها في الاتساق(سورة الانعام انموذجا):٨٤-٨٥.

٩٦- الانعام:٢٨.

٩٧- الرعد٢٦،ورد هذا التركيب في القران الكريم ثمان مرات وفي مرتين ذكرت مفردة(الرب)بدلا من لفظ الجلالة(الله).

٩٨- ظ:دلائل الاعجاز:١٢٨،وقرينة الرتبة في اللغة العربية :١١.

٩٩- ظ:بلاغة الكلمة والجملة والجمل:منير سلطان:١٣٨.

١٠٠- ينظر البحث:نوعا الرتبة.

١٠١- الفاتحة:٥.

١٠٢- البحر المديد:٦\١.

١٠٣- الانعام:١٥٨.

١٠٤- البيان في روائع القرآن:٧٠\١.

١٠٥- الصافات:٨٦.

١٠٦- البيان في روائع الكلام:٧٠.

١٠٧- الكشاف للزمخشري:٤٧١\٤.

١٠٨- محمد:٢٤.

١٠٩- المعنى في الجملة الاولى((في الدار صاحبها))يعود الضمير على الدار فهو صاحبها،أما قولنا((صاحبها في الدار))فيتحمل الامران ان يكون صاحبها في الدار أو غيره.

١١٠- سيبويه ، الكتاب:٣٤/١.

١١١- دلائل الإعجاز :١٠٧، ١٠٨.

١١٢- دلائل الإعجاز: ١٢٨

١١٣- ظ : القرينة في اللغة العربية :٢٦٨.

١١٤- دلائل الإعجاز:١٣٨.

١١٥- القرينة في اللغة العربية :٢٧٣.

١١٦- ظ : الأسس النفسية للبلاغة العربية: مجيد عبد الهادي ناجي:١٣٠.

١١٧- اللغة العربية معناها ومبناها :٢١٠.

١١٨- ظ : م . ن :٢٠٨، ٢٠٩.

١١٩- ظ : شرح الرضي على الكافية :٣٠/٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: مجيد عبد الحميد ناجي، مطبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت ،ط١ ، ١٤٠٤- ١٩٨٤.

٢- الأشباه والنظائر في النحو؛ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن :(ت٩١١هـ)السيوطي تح : د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م.

٣- الأصول في النحو؛ ابن السرَّاج ؛(ابو بكر محمَّد بن سهل ابن السراج النحوي البغدادي(ت٣١٦هـ))؛ تح: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٤- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي؛ المكتبة العصرية ، بيروت، (د. ط) ٢٠٠٤م.

٥- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي؛ مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط٢، ١٤٢٩هـ.

٦- الإنصاف في مسائل الخلاف ؛ ابن الأنباريّ(أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمَّد بن أبي سعيد ت-٥٧٧هـ))؛ تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، (د .ط)،(د .ت).

٧- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المطبعة : السعادة – مصر ، ط:٤ (١٩٥٦).

٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:الإمام العلامة ابي العباس احمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني المتوفى سنة(٢٢٤هـ)،تحقيق عمر احمد الراوي،راجعها ودققها وقارنها على الاصل المخطوط عبد السلام العمراني الخالدي العرايشي،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط٢(١٢٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٩- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي(ت٧٩٤هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١(١٤٢٨هـ٢٠٠٧م).

١٠- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:الدكتور فاضل صالح السامرائي،دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد،ط١(٢٠٠٠).

١١- البنى النحوية ، نعوم جومسكي؛ تر: د. يؤيل يوسف عزيز ،مراجعة: مجيد الماشطة،ط١، ١٩٨٧م.

١٢- البيان في روائع القرآن؛د.تمام حسان، عالم الكتب؛ القاهرة؛ ط٢؛٢٠٠٠م.

١٣- - تاج العروس من جوهر القاموس أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي :(ت ١٢٠٥هـ))؛؛تح: علي شيري، دار الفكر ، بيروت ، (د. ط)، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م.

١٤- الجملة العربية – تأليفها وأقسامها :فاضل صالح السامرائي ، منشورات المجمع العلمي ،بغداد.

١٥- كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل ؛ السيد البطليوسي،(أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي(ت٥٢١هـ))؛تح: سعيد عبد الكريم سعودي ،دار الرشيد للنشر، العراق،(د .ط)،١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م.

١٦- الخصائص؛ ابن جني؛(أبو الفتح عثمان بن جني(ت ٣٩٢هـ))؛ تح: محمد علي النجار؛ دار الكتب المصرية، مصر (د .ط)، (د.ت).

١٧- الخلاصة النحوية ،د.تمام حسان، عالم الكتب، للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة، ط١، ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م.

١٨- دلائل الاعجاز؛ الجرجانيّ (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن(ت٤٧١هـ))؛ تح: محمود محمد

شاكر، مكتبة الخانجي ،القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٩- شرح ابن عقيل ؛ ابن عقيل؛(بهاء الدين عبد الله:(ت-٧٦٩هـ))؛تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ،مصر، ط١٤ ،١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٢٠- شرح الرضيّ على الكافية؛ الرضيّ ؛ (رضي الدين محمَّد بن الحسن الاستر اباذيّ(ت٦٨٦هـ))؛ تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس،(د .م) ،(د .ط)،١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
٢١- شرح كتاب سيبويه؛ السيرافي؛ (أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت٣٦٨هـ))؛
تح : د. فهمي أبو الفضل، مراجعة: أ. د. رمضان عبد التوّاب، و أ.د. محمود علي مكي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٤٢١-٢٠٠١م.
٢٢- الظواهر اللغوية في التُراث النحوي علي ابو المكارم،دار غريب للطباعة والنشر ،القاهرة ،ط١، ٢٠٠٧م.
٢٣- العلامة الإعرابية في الجملة:د:محمد حماسة عبد اللطيف،دار الكتب المصرية-القاهرة،ط١(٢٠٠٠).
٢٤- كتاب العين، الخليل ؛ (أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ))؛تح: د. مهدي المخزومي ،و د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، (د .م)،ط٢، ١٤١٠ه.
٢٥- -قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: سناء حميد البياتي؛ دار وائل للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن- ٢٠٠٣م.
٢٦- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،محمد علي التهانوي(ت. ق١٢هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة الدكتور توفيق العجم، تحقيق الدكتور علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، الدكتور عبد الله الخالدي.
٢٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ؛ (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر :(ت ٣٧٥هـ))؛ تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوّض .شارك في تحقيقه د.فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ،دار الإحياء العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.
٢٨- لسان العرب:أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإغريقي المصري،دار صادر،بيروت ،ط٤(١٩٥٥).
٢٩- لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية:د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق ،القاهرة ، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٣٠- اللغة العربية معناها ومبناهاد:تمّام حسّان،عالم الكتب،ط٤(١٤٢٥هـ-٢٠٠٤).
٣١- اللغة :فندريس تر:عبد الحميد الدواخلي ،و محمد القصاص ،مكتبة الانجلو المصرية ،مطبعة لجنة البيان العربي- مصر(د- ت).
٣٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين بن الأثير(ت٦٣٨هـ)،قدمه وحققه وعلق عليه الدكتورأحمد الحوفي،الدكتوربدوي طبانة،مكتبة نهضة مصر،ط١)٣٨٠هـ/١٩٦٠م).
٣٣- المعنى وظلال المعنى-أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي ؛
، دار المدار الإسلامي ،بيروت- لبنان،ط٢، ٢٠٠٧م.
٣٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ((د.ط)(د.ت).
٣٥- مفتاح العلوم ؛ السكاكي ؛ (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر:(ت٦٢٦هـ)) ؛تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٣٦- مقالات في اللغة والأدب د.تمّام حسان،عالم الكتب-القاهرة،ط١(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٣٧- من أسرار اللغة العربية د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،ط٦، ١٩٧٨م.

الرسائل والأطاريح

١- الالفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم-دراسة لغوية،شكيب غازي بصري الحلفي،إطروحة دكتوراه،كلية الاداب،٢٠١١.

٢- أثر القرائن العلائقية في اتساق النّصِّ في نهج البلاغة(خطب الحروب إنموذجاً) إيناس عبد برّاك بشّان الحدراوي، بإشراف الأستاذ الدكتورعبد الكاظم محسن الياسري،كلية التربية للبنات-جامعة الكوفة ٢٠١٥.

٣- القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق (سورة الانعام أنموذجا،دراسة وصفية احصائية)سليمان بوراس،إشراف أ.د.فرحات عياش لسنة ٢٠٠٨-٢٠٠٩

٤- القرائن النحوية اللفظية والاتساق النصي،سليمان بوراس باشرف الاستاذ الدكتورعياش فرحات، وهي اطروحة دكتوراه كلية الآداب واللغات-قسم اللغة العربية،الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية-جامعة الحاج لخضر باتنة.

البحوث والدراسات.

١- الجوانب النفسية: سلطانة الجابر؛ المنتدى التعليمي، شبكة المعلومات العالمية (الأنترنيت).

٢- الترخص في لغة القرآن الكريم-دراسة في المفهوم-م.د.شكيب غازي بصري الحلفي،مجلة مركز دراسات الكوفة العدد ٣٦لسنة ٢٠١٥.

٣- قرينة الرتبة في اللغة العربية ،م.م أمل باقر جبارة،شبكة المعلومات العالمية(الانترنت).

اللهم إني أسألك
الأمن يوم الخوف

to the author.
• If the article has already been published online، depending on the nature and severity of the infraction:
1- an erratum/correction may be placed with the article
2- an expression of concern may be placed with the article
3- or in severe cases retraction of the article may occur.
The reason will be given in the published erratum/correction، expression of concern or retraction note. Please note that retraction means that the article is maintained on the platform، watermarked “retracted” and the explanation for the retraction is provided in a note linked to the watermarked article.
• The author’s institution may be informed
• A notice of suspected transgression of ethical standards in the peer review system may be included as part of the author’s and article’s bibliographic record.
Fundamental errors
Authors have an obligation to correct mistakes once they discover a significant error or inaccuracy in their published article. The author(s) is/are requested to contact the journal and explain in what sense the error is impacting the article. A decision on how to correct the literature will depend on the nature of the error. This may be a correction or retraction. The retraction note should provide transparency which parts of the article are impacted by the error.
Suggesting / excluding reviewers
Authors are welcome to suggest suitable reviewers and/or request the exclusion of certain individuals when they submit their manuscripts. When suggesting reviewers، authors should make sure they are totally independent and not connected to the work in any way. It is strongly recommended to suggest a mix of reviewers from different countries and different institutions. When suggesting reviewers، the Corresponding Author must provide an institutional email address for each suggested reviewer، or، if this is not possible to include other means of verifying the identity such as a link to a personal homepage، a link to the publication record or a researcher or author ID in the submission letter. Please note that the Journal may not use the suggestions، but suggestions are appreciated and may help facilitate the peer review process.

rized and/or paraphrased)، quotation marks (to indicate words taken from another source) are used for verbatim copying of material، and permissions secured for material that is copyrighted.

Important note: the journal may use software to screen for plagiarism.

• Authors should make sure they have permissions for the use of software، questionnaires/(web) surveys and scales in their studies (if appropriate).

• Authors should avoid untrue statements about an entity (who can be an individual person or a company) or descriptions of their behavior or actions that could potentially be seen as personal attacks or allegations about that person.

• Research that may be misapplied to pose a threat to public health or national security should be clearly identified in the manuscript (e.g. dual use of research). Examples include creation of harmful consequences of biological agents or toxins، disruption of immunity of vaccines، unusual hazards in the use of chemicals، weaponization of research/technology (amongst others).

• Authors are strongly advised to ensure the author group، the Corresponding Author، and the order of authors are all correct at submission. Adding and/or deleting authors during the revision stages is generally not permitted، but in some cases may be warranted. Reasons for changes in authorship should be explained in detail. Please note that changes to authorship cannot be made after acceptance of a manuscript.

*All of the above are guidelines and authors need to make sure to respect third parties rights such as copyright and/or moral rights.

Upon request authors should be prepared to send relevant documentation or data in order to verify the validity of the results presented. This could be in the form of raw data، samples، records، etc. Sensitive information in the form of confidential or proprietary data is excluded.

If there is suspicion of misbehavior or alleged fraud the Journal and/or Publisher will carry out an investigation following COPE guidelines. If، after investigation، there are valid concerns، the author(s) concerned will be contacted under their given e-mail address and given an opportunity to address the issue. Depending on the situation، this may result in the Journal's and/or Publisher's implementation of the following measures، including، but not limited to:

• If the manuscript is still under consideration، it may be rejected and returned

Publishing ethics

Researchers should conduct their research from research proposal to publication in line with best practices and codes of conduct of relevant professional bodies and/or national and international regulatory bodies. In rare cases it is possible that ethical issues or misconduct could be encountered in your journal when research is submitted for publication.

Ethical responsibilities of authors

This journal is committed to upholding the integrity of the scientific record. As a member of the Committee on Publication Ethics (COPE) the journal will follow the COPE guidelines on how to deal with potential acts of misconduct. Authors should refrain from misrepresenting research results which could damage the trust in the journal، the professionalism of scientific authorship، and ultimately the entire scientific endeavour. Maintaining integrity of the research and its presentation is helped by following the rules of good scientific practice، which include*:

• The manuscript should not be submitted to more than one journal for simultaneous consideration.

• The submitted work should be original and should not have been published elsewhere in any form or language (partially or in full)، unless the new work concerns an expansion of previous work. (Please provide transparency on the re-use of material to avoid the concerns about text-recycling (‘self-plagiarism’).

• A single study should not be split up into several parts to increase the quantity of submissions and submitted to various journals or to one journal over time (i.e. ‘salami-slicing/publishing’).

• Concurrent or secondary publication is sometimes justifiable، provided certain conditions are met. Examples include: translations or a manuscript that is intended for a different group of readers.

• Results should be presented clearly، honestly، and without fabrication، falsification or inappropriate data manipulation (including image based manipulation). Authors should adhere to discipline-specific rules for acquiring، selecting and processing data.

• No data، text، or theories by others are presented as if they were the author’s own (‘plagiarism’). Proper acknowledgements to other works must be given (this includes material that is closely copied (near verbatim)، summa-

Dawat Journal

Form of Full intellectual Property Rights Transfer to the Editorial Board of the Dawat Journal

I/ we hereby agree to transfer the full intellectual property rights including copyrights and distribution to the editorial board of Dawat Journal for the research article titled _____

L, the undersigned author(s), do undertake and acknowledge the following:

1- the research article does not include or contain material taken from other copyrighted sources .

2- the manuscript has not been submitted in whole or in part to any other party to be published in a scientific journal, a newspaper, or any other medium.

3- Commitment to the scientific integrity and the ethics of scientific research in writing the research titled above and assuming all legal liability for the intellectual and physical rights of others.

4- Giving approval for publishing the manuscript in any medium, whether printed, electronic, or otherwise and transferring the right of publication and writing to the editorial board of the Dawat Journal.

5- Complying with the publishing instructions in effect in the journal and editing the language of the research.

6- the obligation to pay the financial expenses of all evaluation procedures in the event of the desire to withdraw the research article or not to pursue the evaluation procedures when there is any desire to withdraw the research or not to pursue the procedures when there is any desire to withdraw the research or not to pursue the procedures of its publication.

7- the author(s) shall retain all property rights such as patent rights and the right to use all or part of the article in his her their future works such as lectures press releases, and the revision of textbooks.

8- If the editorial board agrees to publish the above mentioned research, I we agree that I we do not have the right to dispose of the research by translating, quoting, citing summarizing or any type of use in the media, without obtaining written approval from the editor.

Principal Researcher›s Name: ……..… phone Number: ……..…..……..

name of the Researcher›s Organization: ……..…..……..

Principal Researcher›s Email Address: ……..……

The researchers (if any) are arranged according to their sequence in the research when published in the journal:

Researcher Name: signature:

1-

2-

3-

Date:

Note: Please send a scanned copy of the duly signed form by e-mail to the editor –in- chief.

a. After submission، the author will receive notification that the article has been received

b. The author whose article is accepted for publication will be notified by the board of editors about the date of publication.

c.The articles which need modification and changes will be sent back to their authors in order to do the required changes.

d. Authors whose articles are rejected will receive notification of this decision without giving reasons.

e. A researcher destowed a version in which the meant research published.

12.Priority of article publication depends on:

a.Participation in the conferences held by the publisher .

b.The date of receiving the article by the editor.

c.The date of receiving the modified articles،and

d.The diversity of research areas in the journal.

13. An author can not get back his/her article if it is being under review by the editorial board unless there are substantive reasons، and this should be within two weeks of receiving the article.

Guidelines of Authors

1.The journal publishes the original scientific articles which adhere to the scientific procedures and the global common standards، and are written either in Arabic or English on various fields of Arabic language and literature، and education.

2.The author should provide 3 copies of the original article printed on A4 size، together with a CD copy ، within 10،000 -15.000 words in length ، usig simplified Arabic font and Word 2007 page numbering format.

3. Abstract should be submitted in a separate page written in both Arabic and English، and include the title of the article.

4.The first page of the article should include the author's name ، address ، institutional affiliation key words of article، mobile ،and e-mail ، but author's /s' name/s should not appear in the body of the article.

5. All sources in the article should be given a number placed in a superscript which will be in the form of endnotes at end of the article taking in consideration the common system of documentation.

6. All the sources listed in the endnote should be listed in a bibliography given on a separate page after the notes at the end of the article . in case of having foreign sources ، they should be grouped together in a separate list and arranged alphabetically.

7.Tables، photos، and drawings should be given in separate pages with a reference to their sources at the bottom in a caption.

8.A bioprofile should be given if the author collaborates with the journal for the first time، with an illustration if the article has previously been presented at a conference or not.

9.The article should not be published in any journal or submitted simultaneously for publication elsewhere.

10. The views expressed in DAWAT Journal are those of the article authors، and they do not necessarily represent the views of the journal.

11. Research articles are reviewed confidentially in order to assess its suitability for publication and they are not given back to the authors if they are accepted for publication or rejected،but in accordance with the following procedure:

Managing Editor

Dr. Lateef Al-Qasab

Proofreaders

Arabic Language

Dr.Ghanim Kamil Suood

Abass Al-Sabag

English Language

Mudhafer Al-Rubai

Electronic Website

Haider Al-Amiry

Design and Production

Hussamuldeen Mohammed

Coordination

Hassan Al-Zihary

Aiz Al-Din Al-Tai

Follow

Dr.Hussein Mohammedian

Muhammad Ali Al-Rubaie

Alaauldeen Al-Hassani

Qassem Al-Moussawi

Musaab Hadi Al- Numany

Haidar Azhar Al - Fatlawi

Editor-in-Chief

Assist.Prof.Khalid Abbas Al.Syab / Iraq / University of Karbala

Board of Editors

Prof.Dr.Mustafa AL-Ddabaa / Egypt / Fayoum University
Prof.Dr.Mahmoud Muhammad Al-Hassan / Syria / University of Hama
Prof.Dr.Abdalali Al-Wadghiry / Morocco / University of Rabat
Prof.Dr. Nasir A l-Din M. Al-Sadiq/Algeria/University of Shaheed Hama Lakhdar
Prof.Dr. Ghazali Hashmi/Algeria/University of Mohamed El Sherif
Prof.Dr.Sahib Jaffer Abujinah / Iraq / Mustansiriyah University
Prof.Dr.Sabah Abbas Al-Salim / Iraq / University of Babylon
Prof.Dr.Kareem Hussein Naseh / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr.Raheem Jabr Al-Hissnawy / Iraq / University of Babylon
Prof.Dr.Farooq Al-Haboobi / Iraq / University of Karbala
Prof.Dr.Ahmed Jwad Al-Atabi / Iraq / Mustansiriyah University
Prof.Dr.Mehdi Salah Al.Shimary / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr. Latifa Abdul Rasool Al - Dhaif / Iraq / Mustansiriyah University
Prof.Dr.Sadiq Hussein Knyj / Iraq / Mustansiriyah University
Prof.Dr.Muhammad Abd Mashkoor / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr. Najim Abdullah Ghali / Iraq / University of Maysan
Dr.Karimh Nomas Al-mdny / Iraq / University of Karbala
Prof.Dr. Faiz Hato Al-Shara / Iraq / Mustansiriyah University
Prof.Dr.Talal Khalifa Sulyman / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr.Hassan Jaffer Sadiq / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr.Khalid Sahr Muhi / Iraq / Mustansiriyah University
Dr.Haydar Abdali Hemydy / Iraq / University of Karbala
Dr.Gashf Gumall /India /University of Jawaharlal Nehru

In the Name of Allah, the most Gracious, the Most Merciful

(And His signs are the creation of heavens and earth and the diversity of your tongues and colors. Surely, there are signs in this for all the worlds)

(Surat Ar-Rum,Ayat 22)

DAWAT دوات

Quarterly Refereed Journal for Researchers, and Linguistic and Educational Studies

General Secretariat of the Holy Shrine of Imam Hussein،
Arabic Language House

Licensed by
Ministry of Higher Education and
Scientific Research،Republic of Iraq

Consignment Number in the Book-House and
Iraqi Documents: 2014،1963

www.dawat.imamhussain.org
E-mail: daralarabia@imamhussain.org
mob:+9647700477445 — +9647734616433
+9647827236864 — +9647721458001